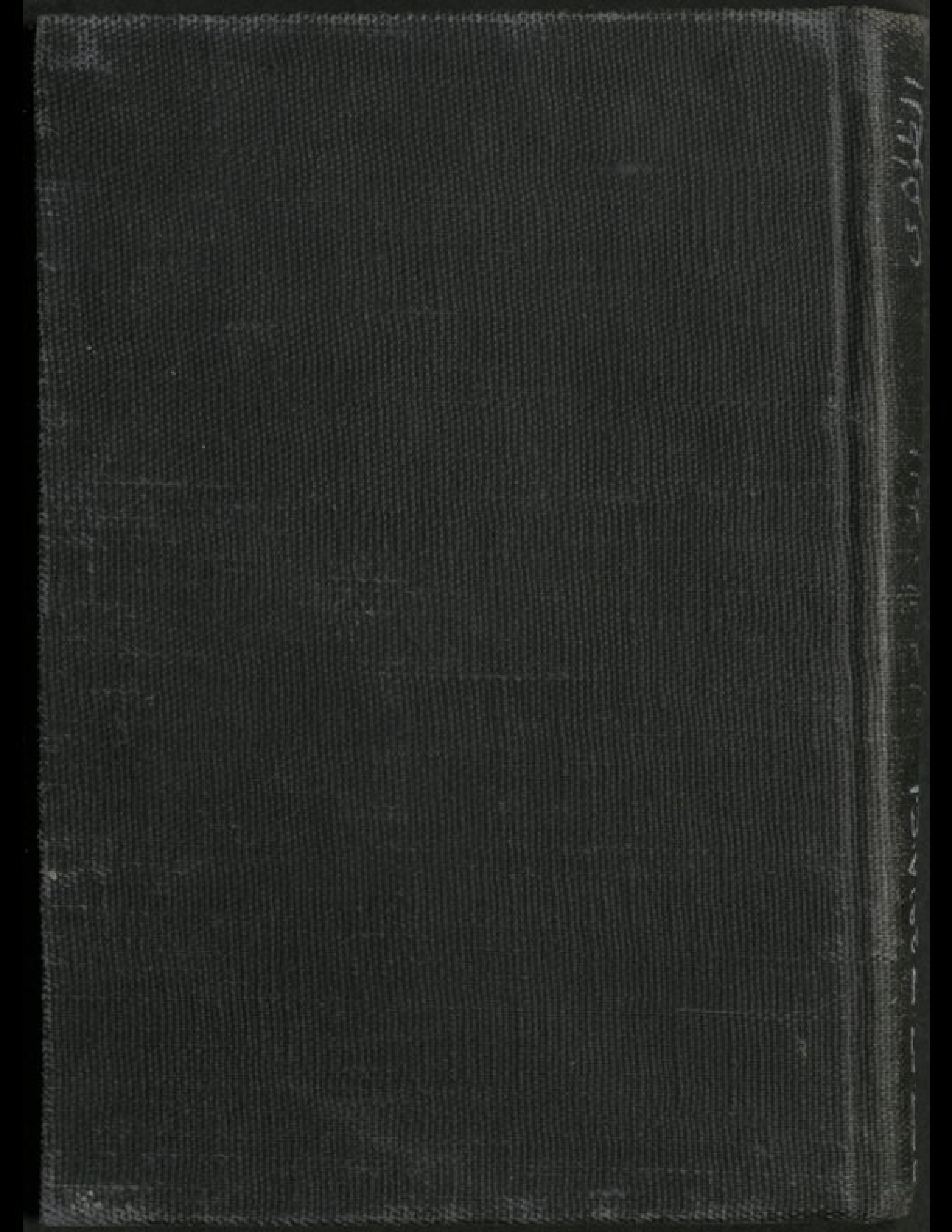
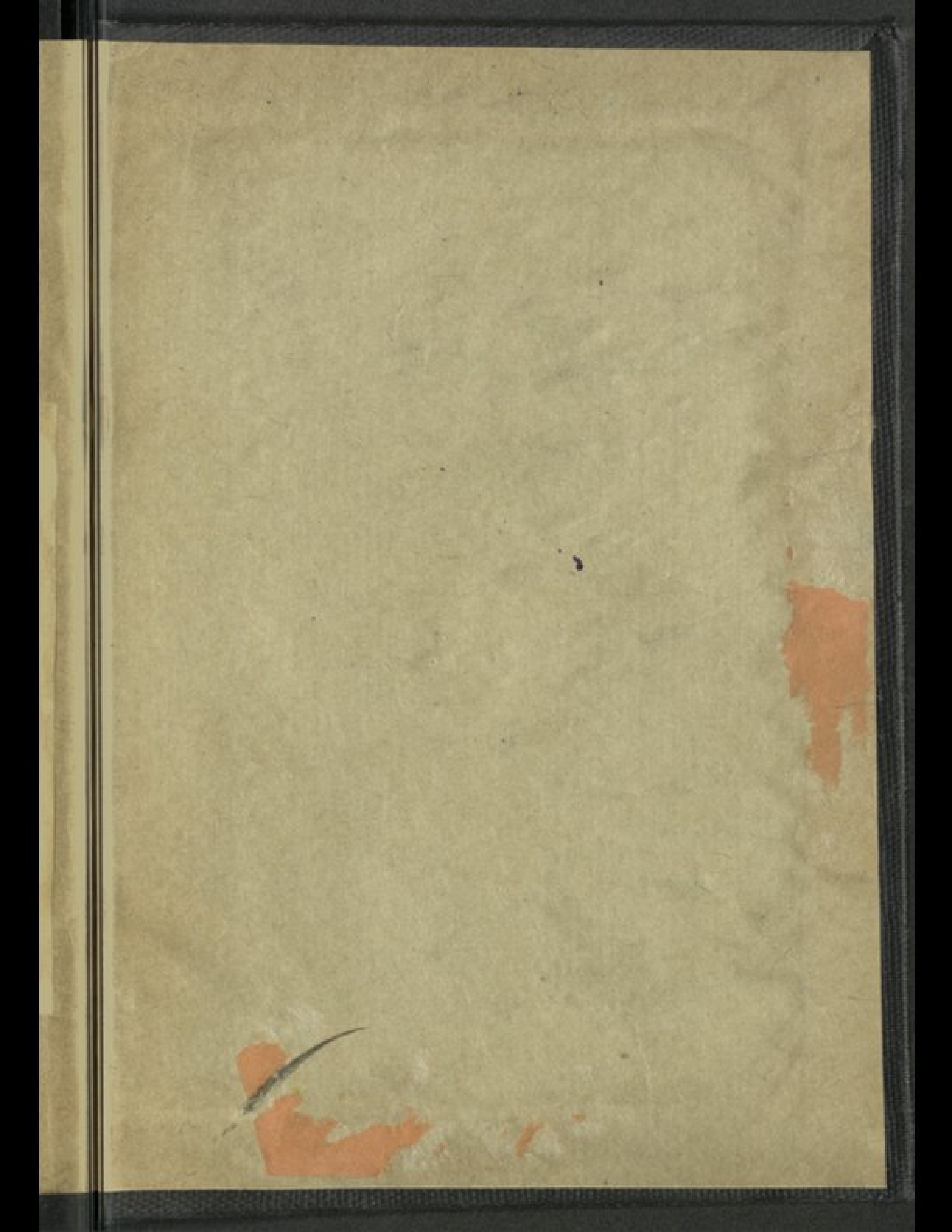
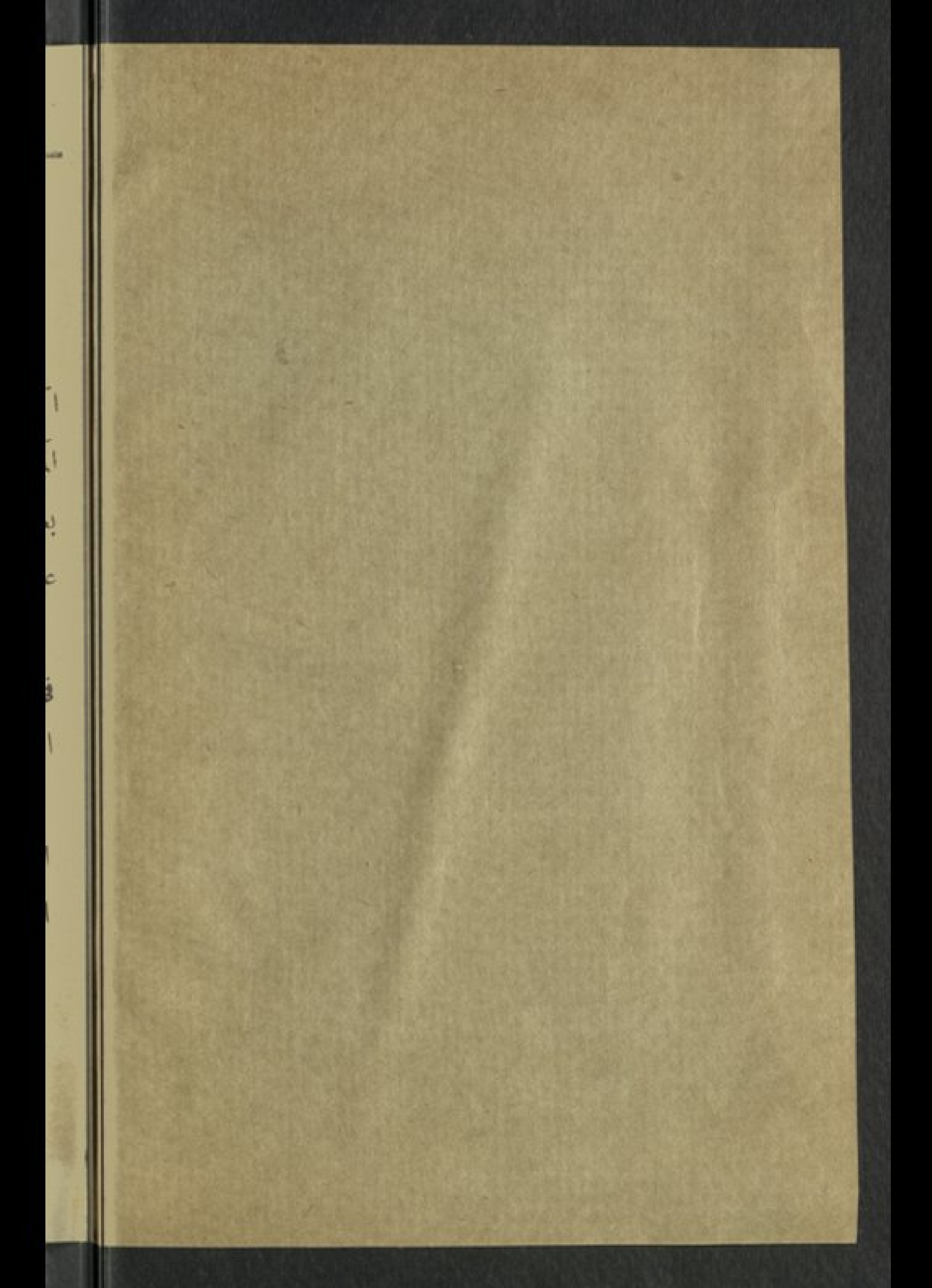






تنبيه

قد وقعت عند مباشرة نسخ الكتاب وطبعه غلطات يرجع اكثرها الى مخالفة اصول الرسم كوضع الهمزة ذات الفتحة موضع المكسورة والعكس وعدم نقط هاء التأنيث واسقاط الالف في بعض مواضعها والعكس ورسم الهمزة على ياء حيث ينبغي ان تكون على ألف وعلى ألف حيث ينبغي ان تكون على واو ونحو ذلك

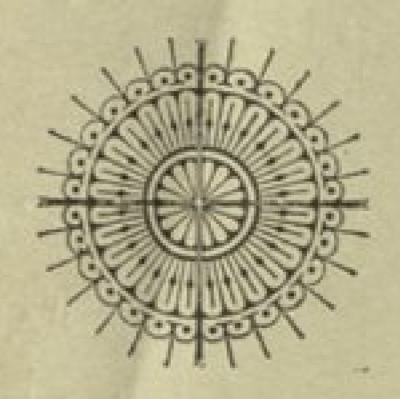
ولما لم يكن من المقصد في وضع الكتاب التانق واظهار البراعة في التأليف بل تأدية المعنى المقصود بعبارة مشهورة مفهومة بقطع النظر عن دقائق التعبير الفصيح كما اشير اليه في صفحة (٢٢٣) فقد بينا في جدول الصواب والخطأ عند اطلاعنا على ذلك ما عساه يلتبس او يحول بين القارئ وبين المعنى المراد واستغنينا بهذا التنبيه عن البيان التفصيلي فليتنبه الناظر

ولهذه المناسبة أرى انه لابأس مع هذا ان اصرح من الآن بنقصي وقصوري وعجزي وجهلي وكل ما يتصور ان يصفني به الواصفون المنتقدون من هذا القبيل ليرتاح اولئك الذين لايهمهم من النظر في

الكتب الحديثة الا انتقادها وان يقولوا اخطأً فى التعبير بكذا
واستعمال لفظ كذا من غير نظر الى موضوعها وانصحهم ان يقصروا
انتقادهم على ما يتعلق باصل الموضوع دون ما وراءه فهو
خير ما ينبغي ان يكون موضوع البحث والمناقشة وافضل
ما يتنافس فيه المتنافسون واني مستعد لقبول الانتقادات
الحقة التي تكون من هذه الجهة فاني لايهمني ان
اكون محقاً بل ان تظهر الحقيقة

والله الموفق

للصواب



فهرست

كتاب العلم والعلماء

صفحة

صفحة

الباب الثاني — في المدارس الدينية

صفحة

الباب الثالث ـ في العلوم

صفحة

صفحة

الباب الخامس – في تعليم الجمهور

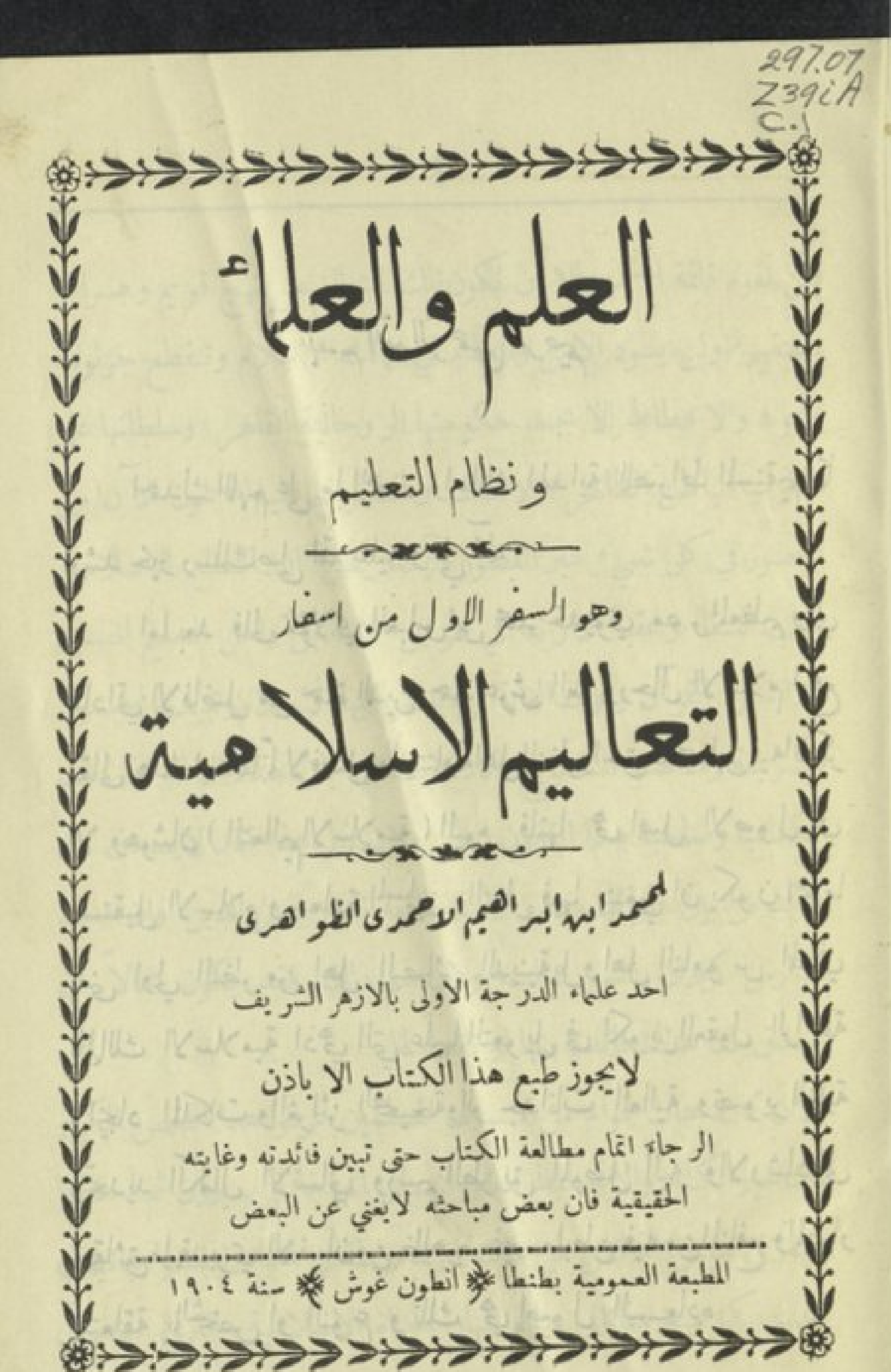
الباب السادس – في التعليم الابتدائي

الباب السابع – في الارشاد

صفحة

الباب الثامن — في طرق تنفيذ الاصلاح

الباب التاسع — في الادارة الدينية



العلم والعلماء

ونظام التعليم

وهو السفر الاول من اسفار

التعاليم الاسلامية

لمحمد ابن ابراهيم الاحمدي الظواهري

احد علماء الدرجة الاولى بالازهر الشريف

الرجاء اتمام مطالعة الكتاب حتى تبين فائدته وغايته الحقيقية فان بعض مباحثه لايغني عن البعض

المطبعة العمومية بطنطا ✻ انطون غوش ✻ سنة ١٩٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك اللهم على ما انعمت واسالك الهداية للصراط المستقيم كما ارشد خير رسلك صلى الله عليه وعلى آله

اما بعد فالى مولاي العباس ابن محمد خديوي مصر المعظم والي ساداتي الافاضل من حماة الدين وحملة عرش العلم ورجال الاسلام ارفع مقالى هذا استلفاتاً لافضل ما يتناوله اهل النظر واحق ما تتسابق فيه الفكر الا وهو شان (التعاليم الاسلامية) اليوم فانها هى اصل الاصول في مستقبل الاسلام وسعادة المسلمين والنظر فيها ينبغي ان يكون اهم ما يعنى اولي النظر من اهل البصائر الدينية بل واهل الناموس المدني بالممالك الاسلامية اذ هي التي عليها التعويل فى تكوين العقول الراجحة وايجاد الملكات والغرائز الصحيحة والوجدانات العالية وتصوير الغاية وتحديد الكمال الانساني ورسم الطريق الموصل اليه والارشاد الى حقائق ما قد يري الانسان من ظاهره غير ما بطن فيه من المنافع والمضار المتعلقة بالشخص او النوع وتلك هي اصول السعاده

فلن تقوم قائمة المسلمين الا ان تكون تلك التعاليم على نهج قويم وصراط مستقيم · ولن يسود الامن والنظام في ممالك الاسلام وتنقطع جرثومة الجمود والانحطاط الا بجند حكومتها الروحانية القاهر · وسلطانها على القلوب الباطن الظاهر * ولا شك ان الناظر فيما عليه المسلمون الآن (من القصور في كل شيء غير القصور) يكاد يظن ان التعاليم الاسلامية سبب الشقاء وعقبة الارتقاء في طريق الامة بل واهل التعليم انفسهم فاذا ماقرأ القرآن وعرف الغاية التي يدعو اليها الاسلام وتبينت له اسرار الشريعة ومقاصد التشريع كاد لايصدق بان هذه الامة امة ذلك الكتاب وصاحبة هذا القانون العالي ولان سلم هذا فقد لايصدق بان هناك من بين طوائف هذه الامة طائفة تقوم بامر الدين وان هناك مدارس كبرى لنشر تعاليمه ولان سلم ذلك فقد يكون محالاً ان يصدق بان هناك فائدة منها او تاثيراً لها

ولان كان هناك اقوام من متنوري المسلمين عرفوا هذا النقص الكبير والتاخير الكثير والانحطاط العام وانهم الى اي غاية يسيرون ثم اختلفوا شيئاً في سبيل التخلص من ذلك فليصغوا لمقالي هذا وليضعوا يدي في ايديهم كي نسير معاً الى منابع انهار الحياة الاسلامية والترقي الشرقي

وحيث تلاقى سبل السعادة والشقاء امام ابواب مدارس التعليم الاسلامي لكي لا يبعدوا النظر وليعلموا ان ماء الحياة الصافي لا يفيض عليهم من مجرد تقليد الامم الافرنجيه فيما يحسن و يقبح مع اهمال المبادي، الاسلامية بل من تحت ارجلهم ومن نحو مدرسة الازهر الشريف

هذا ان اخذت تلك المدارس حظها من الاستكمال وجرت في الآداب والعلم والتعليم على نظام له شاهد ان مما توحي به اسرار الشريعة وما يقتضيه العقل السليم ولم يقف بها العجز دون الغاية ...... ولم يخرج بها الغلو في حب الكمال عن الغرض المقصود ......

وهذا ما دعاني لان ارفع ندائي بمقالى هذا على حسب ما اعتقد وعلى وفق ما ارى وقد اكون مخطئاً كما يغلب ان اكون مصيباً * ولذلك فاني ارجو من ساداتي الافاضل ان لا يحملهم خطأي فيه على عدم الالتفات اليه ولا مخالفتي في الرأي على عدم التعويل عليه. ولا ان يكون صدوره من مثلي سبباً في الاستخفاف به واحتقاره . كما ارجو اعتباران جميع ما جاء في هذا الكتاب هو رايي في موضوع فني عام لا يؤثر الخلاف فيه على العلاقات الشخصية بوجه من الوجوه ولا يكون سبباً في بغضي او التحمل مني او فهم أني اريد التشهير بالعلماء خصوصاً وانا مدفوع الى بيانه مع تمام حسن النية بدافع

حب الخير لابناء جنسي خاصة وللمسلمين عامة * كما اني في استعداد
تام للتنازل عنه متى تبين لى خطأه . وليس هنالك افيد من تبادل البحث
على قاعدة الصفاء والحرية والتواضع . ولا افضل من الانصاف في الراي
والعاقل باخذ الحكمة حيثما وجدت . وليس في الحق صغير او كبير .
ولا اقبح ممن تاخذهم العزة بالاثم فلا يصغون الى الحق لكونه صدر
ممن هو اقل منهم على ما يعتقدون . اقول قولي هذا وانا احرص الناس
على الاتحاد والاتفاق فانى ارى الخلاف قد يكون مضراً ولو الى جانب
الحق

ولهذا فاني امد يدي مع مزيد الذل والتواضع الى سادتي العلماء خاطباً
ودهم ومحبتهم وصداقتهم عارضاً عليهم نفسي كي يرشدوني الى ما فيه
الخير والكمال . اتقرب ممن جافاني واحسن الى من اساء الي واسامح
كل من قال فيما يقول

هذا ويلوح لي ان ارتب مقالي على ابواب ليكون ذلك اضبط لمطالبه المنتشرة
وها انا ذا المسكين الكئيب الحزين الذى اضناه النقص واقلقه الانحطاط
المفكر دائماً فيما فيه الخير والكمال لابناء جنسه واهل ملته محمد الاحمدي
الظواهري

الباب الاول
في العلماء

العلماء ورثة الانبياء. او كما اقول انبياء لايوحى اليهم. او كما يقول الناس رؤساء الدين. هم الملقى اليهم قياد العقول. هم المعهود اليهم ايجاد الشعور والوجدان الحاكم على كل محكوم وحاكم. هم الذين تلقى اليهم فطرة الله التي فطر الناس عليها ليحيوها او يميتوها. هم الذين اعطو الحكم على الامة في الحقيقة وهم هم الملوك في الاسلام عند تحقيق النظر

العالم لايكون عالماً حقاً الا ان ظهر اثر علمه في قومه وبلغ شريعة ربه وكان في الامة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها من جهة العلم والارشاد. العالم مسئول عن نفسه وعن غيره امام الله فلا يكفيه ان يصلح نفسه دون ان يسعى في اصلاح قومه ايضاً. العالم الحقيقي شمس مشرقة صاعدة من الافق الاعلى يرتبط بها كمال الموجودات. وعين جارية يتوقف عليها امر الحياة* العالم هو الدواء السريع والعلاج النافع والطبيب الحاذق الذى تصح به اجسام الامم ونفوس الاشخاص. هو الذى يرتبط به كل سعادة وشقاء لانه الموكول

اليه امر العقائد والوجدانات والاخلاق والملكات والمبادىء التي تسعد وتشقي وتميت وتحيي. العالم هو الملك لان شعور الملك ومبدأه وتكوين عقله ونظره صورة من حال معلمه. الا ترى قصة معاوية ابن يزيد حين تبرأ على المنبر من عمل والده وسلك من العدل نقيض ما سلكه فاتهم اعوان الظلم معلمه بانه هو الذي دسّ له ذلك في تعليمه وهو الذي ولعه بمحبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

العالم هو الوزير والامير والحارس والقاضي والكاتب وصاحب الشرطة والزارع والصانع وهو الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة باجمعها فان احسنوا او اساؤا فللعالم نصيب مما عملوا. ذلك لان كل انسان يعمل على وفق مبدأه واستعداده والعلماء هم الموكول اليهم امر هذه المبادىء وهم بحسن وعظهم وكمال ارشادهم وقوة تاثيرهم قادرون على اصلاح تلك المبادي وافسادها. وعلى جلب الشرور وابعادها وهم هم الملقاة تبعة كل تقصير عليهم والراجع كل خير اليهم لان من وظيفتهم القيام بين الناس بالارشاد والاقناع والوعظ وقوة التأثير حتى يوجدوا في الناس ملكات ثابتة لفعل الخير ورغبة شديدة الى كل كمال. وعليهم ان يستعملوا عقولهم في ايجاد الطرق المتنوعة والاسباب التي يمكن ان يصل اليها

العقل الانساني (ولا حد له) المودية الى مقصودهم بلا فتور ولا كسل

العالمية عبء ثقيل ومرتبة شاقة الاعمال كثيرة المتاعب . اذا وجهت الى عبد من عبيد الله فحق عليه ان لا يفرح من اجل انه رقى بين الناس منصباً باهله لان يتصدر وتقبل يده مثلاً . بل عليه ان يفكر وينظر ويدعو الله ان يوفقه لاداء واجباتها والقيام بمهماتها فانما وجه اليه امر عظيم لا يقوم الانسان بحقه الا بتعب جسمه وعقله وان اهمل كان من اسفل السافلين

العالم اذا اصبح اصبح مجاهداً في سبيل الله ولا كن لا بالسيف والحراب المعلومة بل بسيف اقطع وسلاح امضى الا وانه قوة الفكر وفصاحة النطق يقضي بهما ما شاء الله ان يكون وعظاً وارشاداً وتعليماً . بينما تجده في درسه يقرر خفيات المسائل في العلوم المختلفة تجده قد خرج يخالط الناس على اختلاف طبقاتهم كانه واحد منهم يرشد هذا بالعباره وذاك بالاشارة . هذا بالاحاديث وهذا بالآيات هذا بالحجج العقلية وهذا بالمشاهدات والمكتشفات . طوراً يستشهد بحال الصحابة والتابعين . وطوراً بحال فلاسفة اليونان وحكماء الاوروباويين . وبينما تجده مع الملوك والامراء في قصورهم تجده مع

الفقراء في اكواخهم ومع التجار في حوانيتهم ومع الزراع في حقولهم لاتفتر له همة ولا يتراخى له عزم ولا يزال يتفنن في طرق التعليم ووسائل الارشاد كما يقتضي الحال . يخاطب كل انسان بلغته وعلى قدر عقله وبالاسلوب الذي يناسبه . لاينتظر ان يأتي الناس اليه ولاكن هو يسعى لكي يعلمهم ويرشدهم

وظيفة العلماء

العلماء لاتنحصر وظيفتهم في تعليم الطلاب فنون العلم في المدارس الدينية بالكيفية الجارية الآن* بل هي على الحقيقة اعم من ذلك واشمل وانفع . وظيفة لها دخل في سائر الاعمال والاحوال . وترتبط بسائر الامور الدنيوية والاخروية . لان العالم يعتبر موءسس المبدأ الذي يسير عليه الانسان و يبنى عليه سائر افعاله المتعلقة بالمعاش والمعاد . وواضع الخطة التي تجري عليها الامة في سائر شوءونها المادية والادبية وغيرها

وهو وان لم يمكنه ان يقوم للانسان بسائر ما يلزمه و يعلمه جميع ما يحتاج اليه من العلوم والاداب والصنائع . فلا شك ان ذلك كله يكون مبنياً ومركباً على القواعد العموميه والخطط الاساسيه التي يعطيها العالم للامة و يغرسها اولاً في افكار الناس . فهو الذي ينبغي ان

يرشد الى السعادة الروحانية ․ واللذائذ العقلية ․ والاسرار التشريعية ․ ويحمل على الكمال في الاخلاق والاعمال والتعبد ․ وهو الذي ينبغي ان يرشد الى فوائد السياحه واقتباس النافع من المدنية الحاضرة والسفر الى اوروبا والاندراج ضمن تلامذة مدارس الطب والصنائع والكليات الجامعة الى غير ذلك ․ بل بجوار المدارس الدينيه ينبغي ان تبنى مدارس الفنون المتنوعه ․ والصنائع المختلفه ․ لتزدحم بتلامذة المسلمين بناء على اوامر المدرسة الدينية وارشادات العلماء

ويمكننا الآن ان نقول على وجه الاجمال ان وظيفة العلماء تنقسم الى ثلاثه اقسام ․ تعليم ․ وارشاد ․ وقيام بالوظائف الدينيه من نحو الافتاء والقضاء

اما التعليم فمراتب (اولها) تعليم صغار المسلمين واطفالهم في المدارس الابتدائيه المسماه الان (بالمكاتب) و (ثانيها) تعليم جمهور الناس (والثالث) التعليم العالي في نحو الازهر والجامع الاحمدي ․ ولا جرم ان كل واحدة من هذه المراتب ضرورية وتحتاج الى ما لايحتاج اليه غيرهامن الاساليب ․ وتخالف اختيها في الكمية والكيفية ․ بل قدتنقسم الوسطي والتي بعدها الى اقسام شتى ․ فان تعليم المتنورين من متخرجي

المدارس مثلاً لا يكون ابداً كتعليم الباعة والزراع والصناع * ولكن من موجب الاسف ان علماءنا اعرضوا عن المرتبتين الاوليين ولم يعيروهما اقل التفات مع انهما من اهم الضروريات اللازمة التي يتوقف عليها تقدم الامة وحسن نشأتها في امري الدين والدنيا . بل هما اللذان ينبغي ان يكونا ثمرة هذا التعليم العالي الذي يشتغلون به في المدارس الدينيه و يضيعون فيه الاعمار من غير ان يعود على الامة منه فائدة تذكر . على انه في الحين الذي يأنف فيه العلماء من القيام بهذين الواجبين ارى انهم لا يمكنهم ان يقوموا بهما حق القيام . اي نعم هم يكبرون ان يكونوا فقهاء مكاتب مثلاً و انا لا ارى منهم من فيه تمام الاهليه لتولي هذه الوظيفة السامية التي هي مفتاح السعادة للمسلمين في سائر بقاع الارض . لان امر التربية ليس بالامر الهين ولا تكفي له معلومات النحو والفقه والاصول والبلاغة . واني ارجو من صميم قلبي ان يوجد الله بيننا علماء مرشدين عارفين باصول الاداب واساليب التربية ليكونوا بدل فقهاء المكاتب في كافة انحاء القطر بل وفي سائر البلاد الاسلاميه

واما الارشاد فاعنى به الحث على العمل باوامر الدين سواء فيما يتعلق باقامة الصلاة وايتاء الزكاة او ما يتعلق باحياء الصناعات والقيام

بالمطالب القومية والحاجات الاجتماعية والتفنن في اساليب الكمال والاخذ بالشيء المناسب . وتنمية الشعور الديني وتنشيط الهمم وتقوية العزائم على القيام بسائر انواع الكمال التي يدعو لها الدين لامر الدنيا وامر الآخره . اذ لايخفى ان مجرد المعرفة لاتكفي للعمل . فقد تقوي الشهوات وتؤثر العادات فلا يعمل الانسان بما يعلم . بل قد ينسى ما علم . والارشاد يضمن اصلاح هذا الفساد بل هو اعظم اساس يبنى عليه هيكل الاصلاح الاسلامي والكمال الانساني . ومما يوجب الاسف ان هذه الوظيفة السامية لايقوم بها العلماء الآن ايضاً وقد بني على اهمالها ما نراه باعيننا من النقص العظيم وعلى قواعد هذا الاهمال ثبتت جدرانه القوية التي قد لايهدمها الا معاول القدرة القاهرة والروح الالهي ان شاء الله تعالى

واما الوظائف الدينية فلا نعني بها كل ما له تعلق بالعلم بل ما للعلم مدخل كبير وتاثير فيه واهمها القضاء والافتاء . ومنها الخطبة لانها صاحبة المقام الاول في التعليم والارشاد وقد كانت من وظائف الخلفاء . واهم لوازمها قوة التأثير وهي تكون من العالم اكثر من غيره

وهذه الامور وان كان هناك من يقوم بها الآن ولكن من الصعب

ان يقال انها اخذت حظها من العناية والكمال فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

كمال العلماء

العالم لايستحق اسم الكامل حقاً الا اذا كان كاملاً في علمه. كاملاً في تعليمه . كاملاً في ارشاده . كاملاً في اخلاقه . كاملاً في تعبده . كاملاً في ملكاته ووجدانه . كاملاً في نفوذه وتأثيره. كاملاً في فعله . كاملاً في التنور العام . كاملاً فى تعمير قلبه بالنور الالهي والاقتراب من الملكوت. الى غير ذلك من ضروب الكمال * و بيان هذا كما ترى

الكمال في العلم

لانريد من ذلك بلوغ النهاية فى كل ما يطلق عليه اسم العلم فان هذا من المتعذر . فضلاً عن أن هناك من العلوم ما لايلزم للعالم التوسع فيه وان كان كمالا في ذاته . وانما نريد انه لابد من الكمال فى علوم الدين ومعرفة المقادير اللازمة من العلوم الاخري

التي يلزم ان يُلمّ بها العالم · وهذا من البديهي الذي لايحتاج الى الافاضة · وانما الكلام فى بيان علوم الدين وغيرها والقدر اللازم منها · وبيان اننا لم نصل قط الى هذا الكمال الاول · وسيأتي كل ذلك فى باب العلوم ان شاء الله

الكمال في التعليم

اذا كان التعليم شعار العالم الرسمي واخص صفاته فلا بد له من الكمال فيه · واذا كان هو اساس السعاده وواسطة التربية والترقي ونشر الدين فلا بد من الاعتناء به والسعي فى تسهيله · ولا يجوز الاقتصار فيه على ضرب غيره احسن منه

و بديهي انه لاتلازم بين العلم وحسن التعليم فكثيراً ما يكون الشخص من كبار العلماء ولكنه مشوش او عاجز البيان او قليل الخبرة باساليب الاقناع ليست عنده قوه التصرف ولا له دراية بطرق التفهيم التي تختلف باختلاف المتعلمين · ولا شك ان نجاح الطالب او سقوطه وسعادته او شقائه يرجعان الى امر التعليم · فهناك من يرفع البليد بحسن تعليمه ويقدمه الى صفوف الازكياء

و ياخذ بايدي الطلاب الى اسمى مراتب العلم واقصى وجوه النظر من اقرب الطرق بدون تعب يذكر. وهناك من يحط من قدر الاذكياء حتى يذهب ما كان ينتظر منهم ويضيع حسن استعدادهم ويكون كالعلة التي تلحق الحيوان او النبات في اول نشأته فتعوق نموه وتورثه الذبول

فمن الواجب اذا التنافس في ايجاد الطرق التعليمية الصحيحه والعمل لبلوغ الكمال في حسن التعليم * هذا كلام مجمل وسيأتى في باب التعليم تفصيله ان شاء الله

الكمال في الارشاد

الارشاد هو اهم ما يتوقف عليه ترقي الامة وحسن نشأتها في سائر الشؤون المادية والادبية والدينية. وهو العامل الاكبر للنهوض من هذا السقوط والانتباه من هذه الغفلة

الارشاد هو الوسيلة القوية الوحيدة التي يمكن بها انتشال هؤلاء الشبان الذين كمنت فيهم القوة الدينية كمون النار في الحجر وغلبت على ظواهرهم مظاهر الشهوات فانتهكوا حرمات الله تعالى

واهملوا ما فرض الله عليهم

الارشاد هو الذي يخرب بيوت الفسق ويعمر بيوت الله بجماهير المسلمين · هو الذي يقفل حانات الخمور ومناخ البطالة والكسل و يفتح ابواب الاستقامة والاجتهاد والعمل · هو الذي يمكن ان يقينا شر هؤلاء الاشقياء الذين يهددون الناس في انفسهم واموالهم · وهو الذي يخفف الاعمال عن عاتق عمال البوليس والنيابة وقضاة المحاكم الاهلية والشرعية · هو الذي يبدل الصفات والمعالم و يكاد يقلب الحقائق هو الذي يرفع عن الامة غشاوة الجهل و يطلقها من قيود الاوهام هو الذي يمكنه ان يأخذ بايدي هؤلاء السفلة والمتشردين من الشبان الذين لاعمل لهم حتى يخرجهم عن هذه الاطوار الناقصة ويجعلهم في صفوف الرجال الكاملين النافعين

هو الذي يوفق بين مصالح الدنيا ومطالب الآخرة و يؤاخي بين قوانين الاسلام ومنافع المدنية الحاضرة وهو الذى يمكن ان يرقى الرجل الشرقي فى العمل والفكر حتى يضارع او يفوق الغربي

و بالجملة فان الارشاد متى اعطي حقه من العناية والاستكمال جعل القطر كله مدرسة كلية جامعة · وجعل الناس كلهم تلامذة

يتلقون من العلماء دروس التربية العالية في كل زمان ومكان .
ومع كل عمل وعلى كل حال . وامة يكون هكذا شأنها لابد ان
تبلغ من الكمال ما لاتحيط بكنهه العقول

والذين ينبغي ان يقوموا بهذا الواجب المقدس والامر المهم
ويكونوا مصدر هذه الموهبة العظمى ومفتاح هذه السعادة ومحققي
هذا الكمال لاشك انهم العلماء . اولاً لانهم اعرف الناس بما يشير
اليه القانون الاسلامي وبالغاية التى يدعو اليها الاسلام واقدر الناس على
التأثير وابعدهم عن الاوهام (بحسب اصل الوضع) واعلمهم بفوائده
الجمة ومنافعه الكثيرة وثمراته العظيمة

وثانياً لان الارشاد هو المحقق لفائدة العلم ونشره بالتعليم
الذي يشتغلون به . فان مجرد معرفة احكام الدين لجمهور الناس
لاتستلزم العمل وهى بدون العمل لاتفيد

ولكن من اعجب العجيب انهم اهملوا الآن هذا الواجب
واعرضوا عنه فكان من نتايج ذلك ضعف الشعور الديني وانتهاك
حرمات الشرع حتى فيما يرجع الى مصالح هذه الحياة الدنيا . بل
كان من نتايج ذلك ضياع حرمة العلماء وانحياز امر الدين حتى كاد

يعد من الاحوال الشخصية والامور الاستحسانية التي تختلف باختلاف المشارب والاذواق

قدر الله تبارك وعلا ان ينفصل العلم عن العمل فاقتنع علماؤنا بتحقيق بعض المعاني الخفية والمفهومات المشتبهةووجدقوم غيرهم يتشبثون باذيال العمل ثم يتمسكون باهداب الارشاد (وهم اهل الطريق) حتى صارت كلمة مرشد وارشاد من القابهم الخاصة بهم عند الاطلاق

لا كن مما لايمكن التزامه انهم اعطوا هذه الصفة حقها وقاموا بواجبها فانه فضلاً عن قصرهم لها على مايتعلق ببعض اللذائذ الروحانيه دون غيره من سائر الكمالات والمطالب الواجبة فانهم اخرجوه فيه ايضاً عن الوضع الواجب بل اتخذه بعضهم شعاراً اسمياً فقط طلباً للشهرة والاحترام او الاسترزاق وتيسير امر المعاش

فواأسفا على هذه الوظيفة السامية والصفة العالية التي ضاعت بين رجال العلم ورجال الطريق . بل واأسفا على تركة الاسلام التي تفرقت ايدي سبا في ايدي من لم يعرفوا حقها ولم يقوموا بواجبها بل دنسوها وشوهوها حتى صارت فى ظاهر الامر من المعاني السافلة والامور الدنيئه . ومن لهذه التركه الثمينه بمن يعرف

قيمتها فيجمع شملها ويلم شعثها ويرجع اليها نضارتها الاولى ويكون كمن يلتقط نفائس الجواهر الملوثة بانواع الاقذار من وسط المزابل فينظفها ويميط عنها الاذى وينظمها عقداً يصبح به من كبار الاغنياء . تالله لايصلح العلم بدون الارشاد ولايفيد الارشادبدون العلم وهما لن ينفعا بدون العمل فما هذا التفريق والتمزيق فى الشيء الواحد

ولأن نقول للعلماء اعملوا وتنازلوا وخالطوا الناس وخاطبوهم على قدر عقولهم وارشدوهم علهم ان يهتدوا خير من ان نقول لغيرهم اشتغلوا بالعلم وجدوا فيه حتى تصيروا علماء ثم ارشدوا . فان العلماء ادرى بالواجب يعقلون ويعرفون قيمة ما يلقى اليهم من المقال وهم بهذا يكونون اقرب للكمال

فمن اجل هذا ارى ان امر الارشاد من اهم الامور التي ينبغي ان يتنافس فيها العلماء ويتحققوا بها علي اكمل معانيها واتم وجوهها ولهذا الاجمال تفصيل ياتيك ان شاء الله في باب الارشاد

الكمال في الاخلاق

اذا كان الكمال فى الاخلاق واجباً على سائر الناس فكيف

لايكون موضع نظر العلماء واهتمامهم . وكيف لايكونون اول من
يتحقق به . واذا كان من وظيفتهم الارشاد الى الكمال وتهذيب
الاخلاق فكيف لايكونون القدوة الحسنة في هذا الباب . واذا كانوا
هم الائمة الذين يقتدي بهم و ينبغي ان يسلك سبيلهم الذين يسالكونه
و يكون حسناً ما يأتون وقبيحاً ما يتركون فكيف لا يتكملون ولكن
هل هم الآن كذلك . ومن اين يكونون كذلك . هل في طبيعتهم
واصل تكوينهم ما يميزهم عن سائر الناس بالاقتراب من الفضائل
والتكمل بالاخلاق الحسنة . كلا فالناس في ذلك سواء . هل قرنت
بهم ملائكة تهديهم الى الصفات الحميدة . كلا وانما ذلك من
خصائص الانبياء . هل من الامور التي تتلقى في المدارس الدينيه
ومن العلوم التي درسوها في إبان تعلمهم علم الاخلاق . كلا .
اذاً فمن اين يكون تهذيب اخلاقهم . لاجرم انهم في ذلك كسائر
الناس منهم من تسوقهم المقادير والصدف الى التمسك بشيء من
الاخلاق الفاضلة ومنهم من يظل على حالته الاولى كأشجار (ام
الغيلان) ولا شك ان الكمال في الاخلاق الان ساقط الاعتبار
في تحقيق مفهوم العالمية وانه لاتلازم اليوم بين التخلق بالاخلاق

الحسنة وبين ان يكون الرجل من العلماء واهل الشهرة الفائقة في العلم واصحاب المناصب العالية. بل هذ الآن شيء وذلك شيء آخر. وقد يكثر في احاد الناس من هو ارقي فى الاخلاق من بعض العلماء وقد يوجد في العلماء من هو احط في الاخلاق من احاد الناس

ضرر النقص في الاخلاق ضرر شديد يضيع الفائده المنتظره من العلماء فانه اولاً يسري بالعدوي الى الالوف المألفة من الطلاب ومنهم الي غيرهم وثانياً يكون سبباً فى اتصاف كثير من الجمهور بالاخلاق الدنيئة اتكالاً علي ان هناك من العلماء من هو متصف بها او باكثر منها وثالثاً يكون سبباً فى خوض الناس فى حق العلماء واحتقارهم لهم بل وبغضهم وعدم الانصات لمقالهم وان كان حقاً بل ولا لمقال اهل الاخلاق الحميدة ورابعاً يكون سبباً في مثل ما نرى اليوم من انقسام العلماء على انفسهم وبغضهم لبعض وغيبة بعضهم للبعض الآخر وقيامهم فى وجه كل اصلاح وجمودهم على حال واحدة وان كان غيرها احسن منها. الي غير ذلك مما لا يحصى

وعلي الحقيقة ان العالم احوج الناس الي الكمال فى الاخلاق بل لايستحق الانسان هذا اللقب الا ان كملت اخلاقه: فان العالم ليس له قوة قاهرة من جيوش واساطيل ينفذ بها رغائبه ويبلغ بها مقاصده وينشر بها مبادئه وتعاليمه قهراً. وانما هو الخُلق الحسن والعقل المفكر واللسان المبين يجمع بها القلوب حوله ويسلك بها السنن الاقوم. ويقيم من هياكل الاصلاح ماشاء الله تعالي. والعالم الذي لاتكمل اخلاقه ضرره اكثر من نفعه يسيء من حيث يريد ان يحسن ويخذل الدين من حيث يريد ان ينصره ويكون عقبة كبرى في سبيل كل حركة خير او فكرة تقدم بل مهما كان علمه فسيجد من سوء خلقه سداً يحول دون الانتفاع به

وليس هناك اقبح واضر من اعطاء العالمية لاقوام من هذا القبيل يتحصنون بها ويتقوون على نشر مبادئهم الخبيثة وصفاتهم الناقصة ويكونون كالصخرة في فم النهر. وحقاً ان شر الشر اعطاء المهم لمن لايستحقه ومن يتخذه عوناً في بث مبدأه ومشربه الدنيء بين الناس

على اني لااريد ان افيض في هذا الموضوع وتالله اني ليسيئني الالماع اليه وما كنت فاعلاً لولا ان الاغضاء عنه وهو مشهور معلوم يعد نقصاً آخر

وعلى هذا فانى ارى اولاً انه لابد من دراسة علم الاخلاق والاعتناء بامر التربية وثانياً انه لابد ان يكون من موضوع التفاضل بين العلماء الكمال في الاخلاق ليكملوا فى انفسهم وليمكنهم ان يصلحوا من اخلاق الناس وخصوصاً الطلاب الذين اشتهر عدم حسن اخلاقهم عند الخاص والعام

واقترح هنا تأليف المجتمعات الخصوصية من جماعة الاصدقاء لكي يكون كل مرآة لاخيه بنصح بعضهم بعضاً ويرشد كل اخاه الى ما فيه من خير او شر بحيث لايخفى كل على اخيه شيئاً مما يراه. فمن تبادل النقد فى ساحة المودة على بساط الصفا يكون الكمال والله ولي الارشاد

الكمال في العبادة

لاحاجة الي لافاضة في بيان ان العلماء لابد ان يصلوا درجة الكمال في التعبد. فذلك امر ظاهر يدعو اليه حالهم الرسمي وشعارهم

العلم وكونهم القدوة للناس واعلمهم بما يترتب على فعل ذلك او تركه من خير او شر واحقهم بالقرب من حضرة الحق والعمل بسائر ما يعلمون حتي ان السنن في حقهم على اختلافها قد تكون كالواجب حملاً على العمل وبياناً لاحكام الدين بالفعل الذى هو ادعى للامتثال

ولكن الذي يحتاج الى البيان هو ان ذلك غير منظور اليه الآن الا بالنظر التبعي. فالعالم اليوم هو سريع الفهم كثير الشغب قوي التصور الملم بالمعلومات المتنوعة بقطع النظر عن ان يعمل او لايعمل ولقد قوي هذا المعني حتي وجد شعور يقضي بان الصلاح والتعبد قد ينافي العالمية ويعد من علامات الجهل والبساطة وهذا هو الشعور الذي اخذ ينمو في بعض الفرق الحديثة من العلماء الذين لايريدون من العالمية غير ان يكون لهم حيثية رسمية او ان يجوز لهم التوظف في القضاء. وهناك اقوام لم يزجو بانفسهم في بحار هذا التمدن الوهمي والتفلسف الكاذب فلم يضعف احترامهم للتعبد كسابقيهم ولكنهم مع ذلك لايعملون عليه ولا يجتهدون في التحقق به مع احترامهم له ولاهله واولئك هم من تغلب عليهم

الطباع الاولية والشهوات الحيوانية فيحصر العلم فى ادمغتهم من غير ان يظهر اثره فى اعمالهم. وهناك قوم يقتصرون من التعبد على نحو التسبيح وملازمة السنن الموكدة من الصلاة وزيارة قبور الاولياء مع ترك كثير من مظاهر التعبد كالوعظ والارشاد بل مع التلبس بما ينافيه كالغيبة والكذب والنفاق. وهناك فريق آخر يرى ان كثيراً من ضروب التعبد التي عليها القسم الذي قبله غير صحيحة او فيها غلو واغلبها يرجع الى الوهم. ولهذا فهو يهملها او يتراخى فيها. ويظهر من هذا وذلك ان هناك اهمالاً في التعبد وغموضاً وخلافاً فيما يحققه

فاما اهمال التعبد فلا يليق بعامة المسلمين فضلاً عن علمائهم اذ لو تصور من ينبغي ان تلي مرتبتهم فيه مرتبة الانبياء لكانوا هم العلماء (ولا شك فهم ورثتهم)

ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من عظيم المرتبة التي لا ينالها سابق ولا لاحق كان شديد التعبد كثير التهجد يصوم النهار ويقوم الليل حتى تتورم قدماه قائماً بالمصالح العامة والخاصة للمسلمين يعظ ويرشد ويبلغ رسالات ربه

ويدعو الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجاهد فى الله حق جهاده فما لعلماءنا لايكون لهم به قدوة . ها هم اصحابه والخلفاء الراشدون منهم كانوا على سننه القويم وصراطه المستقيم فما لنا لانقتدي بهم ونقتفي اثارهم . ها هم ساداتنا الاولون كانوا من كبار العاملين فلمَ لانكون مثلهم

مالنا نكاد نظن ان منهيات الدين لاتتجاوز الزنا وشرب الخمر وترك الصلاه دون ما عداها مما هو مثلها في الاثم . ما لنا نكثر من التحيل والتأويل في احكام الدين وماذا تركنا لغيرنا وما هي خصوصيتنا حينئذ

العلم ثمرته العمل فما هي فائدة حشوا ادمغتنا بفروع الفقه اذا لم نكن من العاملين بها فضلاً عن ان نكون فى مقدمتهم العلم عند المحققين هو المصحوب بالعمل حتى ان بعضهم اعتبر العمل فى مسمى الفقه فلم لانعمل حتي نتحقق بمفهوم العلم على التحقيق

لو تاملنا حال السلف الصالح رأينا انهم كانوا لايتوسعون في مسائل العلم الدينى اكثر من اللازم ولكنهم يكثرون من العمل بما يعلمون فما لنا الآن نكثر من التفلسف والتخيل والتفريع

ثم نقلل من العمل حتى نكاد نعدمه وما لنا نجعل الوسائل مقاصداً
العلم الاسلامي الذي كانت تنفعل عنه نفوس سلفنا الصالح
لايستمد من العقل فقط . بل منه ومن الوجدان الروحاني العالي
الذي لايتم الا بكثرة العبادة والاقبال على الحق والاقتراب
المعنوي من ملكوت الله . ذلك هو العلم حقاً وبه تتجلى المعانى
للنفس علي نحو لايحصل من مجرد التصور والفكر ذلك هو العرفان
الالهي المطلوب حصوله في قلب كل مسلم والعلم الرباني الذي ان
كمل كان هو الوحي ولا يكون الا للانبياء فمالنا نبتعد عنه ولا
نأخذ في الطريق الموصل اليه وما لنا نقصر في الغايتين العلمية
والعملية ولا نكون اول من يتحقق بما ندعو اليه

واما مايحقق التعبد فارى انه فى العالم غيره فى غيره لان
هناك من الواجبات الدينيه ما هو موجه الى العلماء دون غيرهم .
فهذا الذل والخشوع والزهد فى الدنيا وكثرة الذكر وزيارة الاولياء
والغلو في الاعتقاد لايحقق وحده معنى التعبد في العلماء . ومن
يكون هذا فقط حاله فمهما كان علمه لاينبغي ان يسمي عالماً بل
زاهداً مثلا واولى الاشياء به ان يذهب الى شعاب الجبال ليعبد

الله بعيداً عن الناس حتى يأتيه اليقين لا ان يكون من العلماء عمال الرسالة المحمديه ونواب الحضرة الاحمدية في هذه الامة لان العالم لابد ان يضم الى هذه الصفات المتقدمة الجرآة وقوة الفكر ومعرفة الاحوال الحاضرة وسائر ما يرتبط بشؤون وظيفته العلمية الارشاديه مع القيام بها اتم قيام. وهؤلاء الذين نسميهم صالحين ونعدهم من كبار العلماء ونجلهم ونحترمهم هم على الحقيقة مقصرون في واجبات العالمية وهذا الحال الذي يعجبنا منهم ليس كمالا لهم وان كان كمالا لغيرهم. وحقاً ان العالم الذي يشغل وقته بالصلاة والذكر والتسبيح وزيارة الاولياء ويترك الناس في غوايتهم ولا يلتفت لاعزاز الدين بالطرق الصحيحة المعقولة ثم اذا قيل له في ذلك اجاب بان هذا آخر زمان او بانه ماذا يصنع لايستحق المدح والثناء على حاله ولا يسلم اليه مقاله. وكذلك السعي وراء المصالح العمومية والنظر فى ما يرقى الامة والاتصاف بكثير من الصفات اللازمة للعلماء مع عدم العناية بانواع التعبد الاولى قصور بالغ حد النهاية لايعد صاحبه من اهل الكمال في شيء. وانما الكمال هو التحقق بكلا الامرين وعدم اغفال احدهما. فالعالم لابد ان يكون نهاراً

في وعظه وارشاده ونظره فيما يعود بالمنفعة على المسلمين واستعماله عقله وجسمه في هذا السبيل كالملك الذي يشتغل بمصالح رعيته ويدبر شؤونهم . واذا جن عليه الليل كان في تقديسه وتسبيحه واقترابه من ملكوت الله كالملائكة (كن ملكاً بالليل وملكاً بالنهار)

ولا شك ان كلا الامرين اهمال التعبد واختلاف المشارب فيما يحققه ناشئان من نقص بل عدم التربية الدينية في المدارس الكبرى التي يتخرج منها العلماء فالطالب متى قدم هذه المدارس فوجىء بدروس فروع الفقه الدقيقة ومعرفة احكام المتحيرة واحكام سهو الامام وسهو المأموم ونحو ذلك وظل على هذه الحال الى النهاية من غير ان يتلقى درساً واحداً في الحث على العمل بهذا العلم بالطرق المؤثرة ثم يخرج عالماً بدون ان يعرف من هو العالم وما هي واجبات العلماء . وغير خاف ان مجرد معرفة احكام الفقه لا تحمل على التعبد والعمل بها فلا جرم هم في ذلك على حسب الاستعدادات الاولى المختلفة وحكمهم فى هذا كحكم ساير الناس

ومن هنا ارى وجوب الاعتناء بتقوية الداعية الدينية في نفوس

الطلاب اولاً والاعتناء بالوعظ والارشاد فيما بينهم وبيان الغايه التى ينبغي ان يصلوا اليها والمبادي، التي يجب ان يكونوا عليها وان لايرقي منصب العالميه الا اهل الكمال فى التعبد والله الموفق الى ما فيه الخير والصلاح

الكمال في الملكات والوجدان

من اصدق المقال قولهم (المرء محكوم بوجدانه) اذ هناك عند التدقيق شعور خاص وتجلى للاشياء في نفس الانسان علي اوجه شتى وادراك دقيق للامور على انحاء مختلفة يتبع ذلك الميل لشيء دون شيء واستحسان لبعض الامور دون البعض. وبهذا كانت تلك الاحوال هى المسيرة للانسان والمرتبة عليها سائر اعماله والموجودة اثارها في قوله وفعله بل ومسكنه ونظامه وشكله وسائر ما يرتبط به ويكون له اثر فيه

الى هذه الاحوال النفسية والملكات الخفية والوجدانات المسخرة يرجع علو الانسان وانحطاطه وكماله ونقصه فهي اذاً مرجع التفاضل ومبنى الكمال وعلى مقدار حالها يكون حال الانسان الحقيقى

وهناك من الناس من يتكلف ان يظهر بمظهر موافق ويجري على سنن العقلاء في عاداتهم وتكون ملكاته ووجداناته على عكس ذلك فمثل هذا مهما تمكن من اخفاء حقايقه فلا بد من ظهور آثارها ومهما تمكن من الجري على خلاف ما يجد من نفسه فلا بد ان يغلبه وجدانه في بعض الاوقات

الملكات العاليه والوجدانات الطاهرة من شأنها ان تأخذ بايدي صاحبها الى موجبات الفضيله الحقيقية وتهديه الى الكمال وترشده الى الحقائق في سائر الشؤون والاحوال فمن فقدها فهو وان حسن حاله الظاهر فقد تبدو منه آونة نقائص لاتغفر ومعايب لايزول عارها مدى الزمان وقد يكون الفرق بينه وبين صاحب الوجدان العالي والملكات الكاملة كالفرق بين الببغاء الذي يتعلم جملامن الكلام وبين الانسان الفصيح فالببغاء قد يتقن الجملة التي يتعلمها حتى يخيل للجاهل انه ناطق كالانسان لافرق وانه قادر على كل كلام ولكن العالم يرى ذلك بتعليم في شيء خاص وانه بذلك لايخرج عن حيوانيته المطلقه

ولا ينكر علينا احد ان هذا المعني الذي اعجز عن بيانه

في هذه الجمل القصيره ينبغي ان يكون على اكمل وجوهه في العلماء كما لاينكر احد ان اصل العلم والتقدم فيه لايستلزمه، واننا نرى باعيننا من العلماء المشهورين الذين احرزوا التقدم وشغلوا الوظائف العالية وعدوا من الرؤساء من ينقصهم هذا المعنى وان ملكاتهم ووجداناتهم النفسيه دنيئة ناقصة تباين مراكزهم الرسمية وتضاد منزلتهم بين الناس وانهم لاتزال لهم من الصفات الناقصة ما يحطهم عن اكثر الناس وان كان ذلك لايتراءى الا لمن يعاشرهم ويعاملهم ويخترق حجاب المظاهر الكاذبة وقد ينبني على ذلك صدور اعمال منهم تعد من الاعمال التي تورث النقص العام وتوجب العار الفاضح للامة وللدين والشواهد على ذلك كثيرة

ومن هذا كان الواجب التنبه لامر الملكات والوجدان والسعي في ايجادها علي اكمل وجه في العلماء وكذا الطلاب. علي ان ايجادها ليس بالامر السهل وتربيتها في النفوس لايعرف صعوبتها ولا طرق الوصول اليها الا علماء التربية . ولكن ما لايدرك كله لايترك كله ومن جد وجد ومن لجّ فتح الباب وكل شيء سهل

مع المجاهدة وعلو الهمة والله ولي التيسير

الكمال في النفوذ والتأثير

النفوذ والتأثير لازمان للعالم من حيث هو مصلح مرشد فان مجرد معرفة الحق والخير لاتكفي في حمل الناس على العمل به وكثيرا ما ينادي بالحق من لايكون له شيء من النفوذ فيذهب نداءه كصرخة في واد وطالما جاهر بالباطل واحد من ارباب النفوذ والتأثير فتابعه الناس عليه

اصبح علمائنا اليوم فاقدين كل شيء من معني النفوذ والتأثير عارين عن سائر موادها ولا شك ان هذا نقص شديد يجب تداركه. لااقول فقدوا النفوذ والتأثير فقط بل واكتبسوا صبغة الاستثقال والاحتقار من اكثر الطبقات العليا حتى كاد يكون الحق منهم باطلا والصدق منهم كذبًا والنصح منهم غشًا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

لو نظرنا بعين الاستبصار الى سائر المرشدين الى الحقائق وهداة العالم واولهم نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رأيناهم

اولاً كانوا موضع الازدراء والتحقير من الناس وان من يتبعهم كان اقل القليل فاذا ما اكتسبوا قوة النفوذ والتاثير انعكس الامر واقبل الناس عليهم ودخلوا فى دين الله افواجاً ورأوهم بعين غير الاولى كأنهم ليس هم اولئك الاولون. ذلك لان الناس دائماً اسراء العادة عباد المظاهر ايمانهم في عيونهم كما قال بعض العارفين فهم دائماً لايستمعون الا لمقال من يكتسب صفات الاحترام العام ولا يرضخون الا لمن يحرز قوة النفوذ. واذا كان الامر هكذا فلم لانكتسب هذه القوة لنتمكن من نشر الحقائق الاسلامية ونتوصل الى اعلاء كلمة الله ثم لِمَ لانكتسبها وهي التي ترفع الانسان من الطبقات السافلة الى اعلى المراتب وتجعله سلطان القلوب وقائد الافكار

ها هو فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده واحد منا انظر لماذا علا دون امثاله ولم وصل الى ان صار صاحب الرأي الاعلى في سائر الشؤون الازهرية وصاحب الاحترام والمكانة والكلمة المسموعة عند اكثر اهل الطبقة العاليه حتي امكنه ان يسود اكثر الذين يبغضونه من العلماء وقد كان في اول قدومه للازهر عند الناس كآحاد الطلاب . اشيء جاء بالصدفه ام هذا نتيجة

العمل والاجتهاد . لا جرم ان هذا كان اولاً نتيجة النفوذ المكتسب من قوة العقل وحسن البيان واتقان العمل وذلك جعل له مكانة عند الطبقة العليا وتلك المكانة اكسبته نفوذاً آخر وجعلت تأثيره اقوى وقد تمكن بهذا وذاك ان يرأس العلماء وتكون له كلمة التصرف حتى على شيوخه ومن يبغضونه وان ينشر مبادئه ويدعو الناس اليها ويلبي دعوته كثير من الناس وهو لو دعا اليها في بدء نشأته ما اجتمع اليه اكثر المجتمعين حوله الآن

تأمل ما وظيفته الآن في الازهر . فاما الافتاء فهو من وظائف الحكومة لا تعلق له بالازهر وانما وظيفته انه عالم من العلماء ثم هو عضو من اعضاء مجلس الادارة لا فرق بينه وبين باقي الاعضاء بل هو وفضيلة الشيخ سليمان العبد والشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ احمد الحنبلي متساوون . اذاً فما هذه الغلبة الهائلة والصولة العظمى والتأثير الكبير حتى يكاد الناس يحترمونه اكثر من شيخ الازهر نفسه وهم يعتقدون انه الآمر الناهي وان كل شيء صادر عنه ومنسوب اليه . لاشك ان هـذا كله بقوة نفوذه وتأثيره . وهكذا تكون الرجال

فلأن كان هذا الاستاذ محقاً فلِمَ لانكتسب نفوذاً كنفوذه ونكون انصاراً للحق

ولان كان مبطلاً وقد تمكن بنفوذه ان ينصر الباطل، ويصل الى هذه الدرجه من القوة والتأثير فلِمَ لا نحرز مثل هذا النفوذ بل ما هو اقوى منه لنتمكن من نصرة الحق وخذلان الباطل ولِمَ نجبن ونضيع بجبننا الحق معنا ٠ لاشك ان هذا هو الموت الادبي والشقاء الابدي والصغار السرمدي وما يعقله الا العالمون

بقي علينا ان نعرف ما هي الوسائل التي تفيدنا قوة النفوذ والتأثير وهي على الحقيقة ليست محصورة في شيء خاص ولا مقصورة على ضرب معين ولكن كلها ترجع الى قوة العقل وفصاحة البيان والاتجاه نحو العلو والاتصاف بكل شيء شريف من شأنه ان يرفع الانسان في الناس مع كثرة المخالطة والابتعاد عن النقائص

فالواجب اذاً على العلماء التمسك بهذا المعنى والسعي وراء الاتصاف به والله خير موفق ومعين

الكمال في الفعل

من الواجب ان يكون صدور سائر الافعال والاقوال والحركات

والسكنات من العاقل على وضع حكيم وترتيب حسن ونظام تام اذ قد لايوجد اثر يدل على كمال العقل وقوة الاقتدار اكثر من فعل الانسان ونظامه . وهناك من الناس من قد يتصور الحسن والقبيح ويكون شديد الادراك ثم لايكون لذلك اثر في فعله فهذا لاينبغي ان يعد في صفوف اهل الكمال فان المجنون قد يدرك تماماً كما يدرك العاقل ولكن ادراكه لاتنفعل عنه حواسه ولا تظهر له ثمرة ما في فعله فما اشبه من لايحسن اعماله ويتقنها ومن لايضع الشيء موضعه بالمجنون مهما كان ادراكه ومهما كانت قوة فكره. وماذا تفيد سعة الاطلاع وقوة الذاكرة وكمال الادراك اذا كان صاحبها همجياً لايحسن شيئاً من عمله ولا يتقنه بل سائر اعماله خلل وتشويش وجميع حركاته مثال الرعونة والطيش . وامثلة هذا كثيرة فكم مرة تقع اعيننا على اناس او تجمعنا بهم جامعة في مجلس فيظهر منهم شيء من عدم الاتقان في اقوالهم او اعمالهم او حركاتهم فيكونون بهذا موضع الازدراء والتحقير من سائر الناس واذا كان هذا الحكم حكماً عاماً فهو بالعالم الصق واختصاصه به اشد . فالعالم ما لم تظهر عليه الرزانة وتكون جميع اقواله وافعاله وحركاته

وسكناته واقعة موقعها لا يعول عليه مهما كان كبيراً في العلم

العالم لابد ان يكون مع سائر الدوائر المرتبطة به على جانب عظيم من الاحكام والنظام وان كان هذا غير المشاهد الآن

العالم لابد ان يوجد في كل شيء يلتصق به حتي زيه ولباسه ما يشير الى حكمته وحسن تدبيره فلا نري في عمامته مثلاً ولا سائر ملابسه ما يشير الى فساد في النظام او ما يستلفت اليه الانظار على وجه ينافي الاحترام . العالم لابد ان ترى في مشيه وسكونه واشارته بالتحية وفي منظره اذ تبسم وفي منطقه اذ تكلم ما يشير الى جلاله ووقاره وكمال عقله وحسن خلقه واكثر ما ينبغي ان يكون ذلك في المحافل الرسمية ومجامع الناس

ولكن مما يوجب الاسف انهم يخالفون ذلك الآن مخالفة كلية فمثلاً فى حفلات التشريفات تجد منهم من يأ تى قبل الميعاد المحدد بزمن كثير ومنهم من يتاخر عنه وهذا مما يخفض من احترامهم في اعين الناس وخصوصاً عمال المعية ثم تجد منهم من لا يحافظ على قصب كسوته فيتغير لونه تغيراً مشيناً ويصير بهيئة مزدراة ولا شك ان هذا من دواعي الانتقاد ثم تجد هم ايضاً في هذه الاجتماعات

غير مرتبين وغير بادية عليهم سيماء الوقار بل هذا يذهب هكذا وهذا يأتي هكذا والصغار منهم يتقدمون الكبار الى غير ذلك من دواعي التشويش وعدم النظام وكثر ما يزاحم صغار الشبان كبار الشيوخ حتى لايجد بعض اكابر اهل الدرجة الاولى كرسياً ولا شك ان هذا من اسواء الاحوال التي لاتليق بفئة من الناس ويعلم الله ان صغار تلامذة المدارس يفوقون عنهم فى مقتضيات الحكمه ودواعي النظام الاجتماعي في امثال هذه الحفلات

وفي تشييع الجنائز قلما تجدهم على حال لايوجب الانتقاد من العامة والخاصة ولعل اكبر جنازة رأيتها مدة عمري جنازة المرحوم اسماعيل باشا وهم فيها كانوا على حال سيء غير مرضى فبينما كنت ترى سائر الفرق سائرين مع تمام الانتظام والسكون والوقار تعلوهم الهيبة ويحفهم الجلال (ومن تلك الفرق فرق الروساء الروحانيين) كنت ترى العلماء سائرين على شكل مشوش ليس فيه شيء من مقتضيات النظام ولا مما يوجب الهيبة والاحترام يكلم بعضهم بعضاً بكيفية اوجبت انتقاد سائر الناس

وفي المجامع الحافلة تراهم ايضاً علي هيئة غير مستحسنة وغير

موجبة للتبجيل فاذا كانوا فى مأتم كانوا اول المتكلمين المعرضين عن سماع القرآن واذا ماتحدثوا تحدثوا على شكل غير منتظم وربما قطع بعضهم الحديث على غيره وربما بادره بشيء من الانتقاد غير صحيح او صحيح غير مناسب ذكره واذا ما حكي بعضهم شيئاً بادره الباقي به اظهارا لانهم يعرفونه . اما سمعوا قول القائل

وتراه يصغى للحديث بسمعه * وبقلبه ولعله ادرى به

فاذا ما جرّ سياق المقال الى بعض المسائل العلمية تسابق الكل للكلام واختلفوا في الاراء وربما تكلم اكثر من خمسة في نفس واحد وكل هذا من عدم الحكمة وقلة التدبير

مجالس العلماء لابد ان تكون مجالس سكون ووقار وتكون هي الاصل الذي تقتبس منه آداب المجالس كما ان العالم في جميع اطواره يجب ان يكون قدوة الكمال لساير الناس

العالم لابد ان تكون اوقاته مرتبة واعماله مقسمة عليها تقسيماً مناسباً حسناً فلا يمضي وقتاً بدون فائدة وفي غير عمل مفيد

العالم لاينبغي ان تفوته فرصة من الفرص المؤدية الى خير ديني او مادي او ادبي من غير ان يغتنمها . العالم لاينبغي ان يفعل

فعلاً ما الا وهو جار على سنن الحكمة ومنهج السداد سواء كان من الافعال المتعلقة بالاحوال الشخصية او الاجتماعية الادبيه او المادية او المتعلقة بشوءون وظيفته وما يوجبه عليه منصب العالمية

العالم لابد ان يكون فى بيته منتظماً انتظاماً توءخذ منه نظامات البيوت بل والممالك

العالم لابد ان يكون حسن التدبير في اموره المالية وجميع شوءونه الخ الخ الخ

ولا شك ان النقص في هذا كله انما يأتي من نقص التربية فعلى علماءنا ان يهتموا ويصلحوا امثال هذه الشوءون المهمة فى انفسهم ثم يعتنوا بتربية الطلاب وما يتذكر الا أُلو الالباب والله هو الهادي الى الصراط المستقيم

الكمال في التنور العام

التنور العام من صفات الكمال اللازمة لسائر افراد الانسان العلماء وغيرهم ولكن حاجة العالم اليه اشد لان وظيفته كلها مبنية على الفكر ولانه لايجوز الاحترام ولا يتمكن من تادية وظيفته كما ينبغي الا اذا كان عنده هذا التنور

لكن هناك من العلماء من ترى تنورهم قاصراً على مناقشات الفنون والكتب التي يدرسونها حتى لايمكنه ان يخوض مع انسان في حديث ما فيتقنه وان جاس في مجلس عام لم يحسن التكلم فيه بل اما سكوت واما كلام تمجه الاسماع ويأباه الطبع السليم ٠وقد كان الواجب ان يكون مصدر سائر المستحسنات حتى يقبل الكل عليه ويكون مركزاً تدور عليه سائر احوال المجلس الذي حواه ليكون موضوع احترام الكل واجلالهم فيمكن التأثر عن قوله والاخذ به

هذه الصفة صفة الاقتصار على مناقشات الفنون لاينبغي ان تكون إلا لمثل الببغاء الذي يتقن جملاً من الكلام دون غيرها ومن الغريب ان يظن بعضهم ان اكثر المعلومات التي تكوّن هذا التنور مما لاينبغي الالتفات اليه ٠ وهذا خطأ فاحش اذ العالم لابد ان يعرف سائر اصطلاحات الناس وعوائدهم في الكلام وغيره والاشياء المتداولة بينهم والتي تنال عندهم القبول ليدخل من بابها ويستعملها في استمالتهم نحوه وسماعهم لاقواله وهذا الخطأ كغيره جاء من انهم لم يفرقوا بين العالم ومن سميناه في ما سبق زاهداً فظنوا ان كمال العالم في البعد عن الناس وعن سائر احوالهم وهذا خلط قد ادى

الي ضرر جسيم

فالواجب اذ السعي لتحصيل هذا المعنى كغيره مما تقدم لانه للعالم كالسيف للمجاهد والله خير موفق ومعين

مطالعة الجرائد

مطالعة الجرائد من اعظم ما يفيد هذا التنور و يوقف العالم على المعلومات المتداولة التي يعد جهلها عيباً عند الناس فضلاً عن انها توقف المطالع على حال اخوانه المسلمين في سائر بقاع الارض وعلى تقلبات الاحوال وكل ما له إرتباط بشوءون وظائف العالم فهي اذاً اعظم عضد له في القيام بشوءون وظيفته وله منها منفعة اخرى لاتقدر وهي انها تكون خير واسطة في ابلاغ مقاله لسائر الناس في ساير اطراف الارض بسهولة ٠ وهذا حال لاينال الآن من تاليف الكتب فان قراءة الناس للكتب وتامل ما فيها قليل بخلاف الجرائد

هناك من العلماء من يرى ان كلام الجرائد كذب لاتجوز قراءته وهو راي واضح الفساد فان عدم قراءة الجرائد تجعل الانسان في انحياز تام عن العالم وبعيداً عنهم كانه ليس على ظهر البسيطة

وتجعله ايضاً مستثقلاً محتقراً في اعين المتنورين كما يحتقر الجاهل بابسط الاشياء حتى انهم ليعدون مخاطبتهم له تنزلا ومحاراتهم واحترامهم له تفضلا لانه في اعينهم رجل بسيط لايعرف الا احكام الدين ولا يدري ما عليه الناس

على انا لانريد من الجرائد تلك الوريقات الساقطة التى تتجارى على الكذب بل الجرائد المشهورة المفيدة كالمؤيد. ولو صح نظر هؤلاء الناس ما جاز للاولين ان يشتغلوا بعلم الحديث لان من الحديث ما هو موضوع

على ان وراء الاخبار في الجرائد مقالات وابحاث مفيدة يهم العلماء والطلاب معرفتها والاستفادة منها. ومن هذا لايحسن عندي ايضاً حال بعض العلماء ممن شغلتهم الدنيا حيث يقتصرون من الجرائد على قسم الحوادث المحلية ليعلموا منها تنقلات عمال الحكومة مثلاً وان الباشا فلان جاء والبك فلان ذهب اذ هذا شيء لاينبغي ان يكون نظر العلماء فيه الاتبعاً

المجلات العلمية

ومن اهم ما يجب الاطلاع عليه ايضاً المجلات العلمية كالمقتطف

والهلال والمنار فانها تطلع الانسان على معلومات لايستغنى عنها العالم وحبذا لو امتلأت صفحات المجلات الدينية بمقالاتهم الضافية وارشاداتهم المفيدة

الكمال في تعمير القلب بالنور الالهي والقرب من حضرة الحق

نريد من هذا حصول الغاية التي يدعو اليها التصوف المعتدل التي تكون بصفاء الروح والتفاتها الى ما وراء الحس وميلها الى اللذائذ الروحانيه وحصول ذوق لها عال ووجدان صاف يوصلها بالملاء الاعلى ويقربها من مبدأ الوجود جلّ وعلا حتى تشرق عليها انواره وتفيض عليها اسراره

هذا الضرب من الكمال هو اعلى انواع الكمال وارقاها بل هو غاية الغايات ومنتهى السعادات وهو الذي يمكن ان ينال به مقام وراثة النبوة على التحقيق . فلا جرم كان من اول الواجبات على العالم التحقق به والوصول اليه . منزلة هذا النوع بين ما يدعو اليه الدين الاسلامي من ساير الكمالات والمصالح منزلة اللب والثمرة

بين الغلافات والقشور و باقي اجزاء الشجره · وكيف لا وهو يتعلق بنوال اعلى المراتب العرفانيه واعظم المقامات الروحانيه· الا ان هذا الكمال المطلوب دقيق في ذاته خفي في تصوره صعب في اثباته نادر في حصوله له مشابهات كثيرة من احوال النفس وتولعاتها وتخيلاتها وهو مع ذلك لايكون الا بقدر معلوم ونمط معين · فكثير من الاحوال والاقوال التي تصدر عن من ينسبون الى التصوف ليست من هذا الكمال في شيء وانما هي انفعالات وتولعات وخيال· وهناك ايضاً من الناس من يغلو في الاقبال على العالم الروحاني حتى يتجاوز الحد المطلوب وقد يصل الى ما يسمى بالشطح او الفناء من الاحوال التي تخرج الانسان عن انسانيته

ما اشبه الانسان في تكوينه وكماله في تركيبه بالموءلفات العنصرية والمركبات الكيماويه · روح عال دائم من الملأ الاعلى ·وجثة دنيئة قابلة للفساد· تتنزل هذه الى تلك وتتصل بها بقدر معلوم وعلى وضع معين فيمتزجان و يتحدان و يكون منهما انسان تام

لاجرم ان كمال هذا الانسان يكون مركبا من مجموع الكمالات الروحانيه المتعددة المتعلقه بروحه والكمالات الكثيرة الجسمانيه

المرتبطة بجسمه · ولكن عن نسبة خاصه فيما يتعلق بالروحانيه مع الجسمانيه اولا · وفيما يتعلق بافراد كل مع بعضها ثانياً · فان اختلفت النسبه او اختلف التوازن لم يكن كمالاً في الانسان وان كان في ذاته قد يكون كمالاً في شيء آخر · فكمال الانسان اذاً في تركيبه كالدواء المركب من اجزاء معلومة بمقادير معينه او كالعناصر الاولى البسيطه التي تتركب على وضع ونسبة معينة فتكون شيئاً واحداً هو الماء مثلاً فان اختلف التركيب انقلبت الحقيقه وكانت مثلاً قطناً وهكذا

ولان تعددت الاجزاء التي يتركب منها كمال الانسان فان هذا النوع الذي نحن بصدده هو اشرفها واعلاها كما انه ادقها واخفاها حتى يكاد ينكر وجوده من لايجده وليس هو يلزم لاحد ما لزومه للعالم الذي يستعد بحسب اصل الوضع لنوال اقصى المراتب الكسبية من الكمال الانسانى

هناك من الناس من يتحصل على هذا النوع من الكمال مع القصور في غيره من بقيه الكمالات الروحانيه العلميه وغيرها بل الجسمانيه ايضاً كما ان هناك من يتحصل علي الكمال العلمي كله

او بعضه دون هذا الكمال الروحاني حتي لاتكاد الآن تجد اجزاء الكمال مجموعه الا في اندر النادر

ولكن هي وان تشتتت فقسط صاحب الوجدان والنور الالهي منها قسط اوفر وهو الى السعادة الحقيقية اقرب ما دام متحصلا من الكمالات الاخري على الضروري اللازم وهو افضل ممن ينال النهاية العظمى في الكمال العلمي ولا يتحصل على شيء من هذا المعني الجليل

ومن هذا يتبين ان الاعتناء بنوال هذه المرتبة السامية من اعظم ما يتنافس فيه المتنافسون ويتسابق اليه المتسابقون والله هو الكريم الفتاح ولهذا الاجمال تفصيل كبير يأتيك شيء منه فى الكلام على التصوف ان شأ الله

حال العلماء اليوم

ماذا اقول في هذا الباب وماذا ينبغي ان اقول فيه والمقام حرج والحاجة الى الابانة شديدة. أاخشى سطوة الرؤساء وقيامة العلماء فاكتب من صحائف الاطراء ما تمزقه يد الشهود، ام تاخذني العزة بالاثم فلا ارضى ان انسب لنفسي ولا لابناء جنسي ما

حطنا وحقرنا في هذا الوجود · ام اسكت واغالط شعوري واقول اني واحد من كثير · او اعلل نفسي بالقضاء والتقدير

ربي انت اعلم بحيرتى ودهشتي فانشلنى من احوال هذا الترديد · والهمني القول الرشيد · ووفقني لما فيه الخير لي ولاهل ملتي يارب العالمين

تالله ان من اهم ما يستلفت الانظار حال علماءنا اليوم وفائدة الامةمنهم · فهم بحسب اصل الوضع المرجع الاعلى في اصلاح شوءون الامم الاسلامية وغرس الملكات الدينية في قلوب المسلمين ونشر العلم بينهم ودلالتهم علي ما ينبغي ان يكونوا عليه فى امري الدنيا والاخرة وايقافهم على قبح القبيح وحسن الحسن من الاخلاق والعادات والاقوال والافعال اذ هذا هو المقصد من افراد طائفة بالاشتغال بالعلم وتشييد دور واسعة لهم

ولكن المطلع علي حالنا اليوم لايدري هل المقصود من الاشتغال بالعلم الديني هو هذا · او المقصود ان يحوز الانسان مرتبا يقوم بضروريات معاشه فيكون العلم الديني من الحرف يقصد للتعيش او المقصود ان يحوز شرفا وجاها وصفة بين الناس لايحوزها الا

من يأدي الامتحان فيقال زكي نجيب حاز قصب السبق الى غير ذلك من العبارات . او المقصود تكميل الفرق وتتميم الطوائف حتى لايكون المجتمع الاسلامي خالياً من فرقة تسمى (العلماء) تتميماً للنظام وان لم تنفع هذا المجتمع بشيء يذكر . او المقصود المحافظة على التقاليد الاولى والاحوال القديمة ولو بغير معني . او المقصود وجود فرقة تمثل تلك الفرقة العالية التي اقامت هيكل العلم الاسلامي وشيدت له بيتاً من العز في العصور الاولى كما يكون في تشخيص رواية مثلاً

ولا يعرف ايضاً هل المقصود من العلم ان يعرفه الانسان وان كان لايلاحظه في خلقه وعاداته وعمله او لابد ان يظهر اثر علمه في شخصه قبل غيره . وهل الغرض ان ينحصر العلم بين جدران المدارس الدينية او الغرض ان تكون المدارس كالشمس تبعث منها الانوار في جميع ارجاء العالم ويكون لها اثر في ترقي الامم الاسلامية مثل تاثير الشمس في انماء الزروع وانضاج الثمار واصلاح هذا الكون

على اني لااريد ان افيض في بيان حال علمائنا وما هم عليه

فذلك شيء مؤلم وحسبي منه ما يعلمه الناس وما مست الحاجة لابانته فى سابق هذا الكتاب ولاحقه . ولكني اذكر من ذلك امراً وحداً مهماً هو علة العلل في كل الاحوال . الا وانه مبدأ العلماء اليوم ومشربهم فاقول . ينقسم علماؤنا في مبدائهم الى قسمين آخذين بالعادة . وآخذين بالفكر . فاما الآخذون بالعادة فهم جمهور العلماء لايميلون الا لما وجدوا عليه من قبلهم معتقدين ان الكمال فيه سواء في ذلك علومهم ومعتقداتهم والكتب التي يدرسونها وطريقة التدريس والامور الشخصية وسائر الاحوال . والاكابر منهم اهل الكمال هم الممتازون بالصلاح والتقوى والنظر الى الآخرة او بالتدقيق في المباحث اللفظية والمعاني الخيالية ولكن مع الجهل بالشؤون العامة واكثر العلوم الضرورية والاحوال العمومية ومع التلبس بكثير من المعتقدات الخرافيه والاوهام العاميه ومع الجمود والوقوف عند حد من الفكر والتعقل ادني مما ينبغي ومع الاقتصار من العلم على ما لايكفي ومع عدم النظر الى نشر العلم او تقريبه من الفهم وعدم السعي فيما يصلح العامة وما يعود على الامة بالترقي فى امري الدنيا والاخرة ومع عدم الجراءة في شيء

مما تبغي الجراءة فيه ومع عدم الاهتمام بحال المسلمين ولا بما يطرأ اليوم على الاسلام من اوجه الطعن وعدم الاكتراث باقناع المعترضين ورد المجادلين· بل يكتفون من العلم بتدقيق في الالفاظ وتحقيق لبعض المعاني على ضرب خاص لايفيد الا بعد زمن مديد وجهد شديد

واما الآخذون بالفكر فهم حديثو العهد ولم يزالوا قليلين جداً وهؤلاء يرون ان ما عليه الاولون غير صواب و ينتقدون عليهم في علومهم واخلاقهم وصلاحهم وسائر احوالهم و يرون الكمال في ان يكون الانسان قوي الفكر شديد العارضة صحيح النظر في الشؤون العامة ويعلم من علوم الكون ما يمكنه ان يرقي به لامة و يوقفها في صفوف الامم الحية ويخرجها من الاوهام واسر الجهالة و يتغالون في ذلك· الا انهم مع هذا يثقون بافكارهم و يستبدون بها و يحكمونها فيما لاينبغي ان تحكم فيه ويكرهون كل قديم مما عليه الجمهور مع عدم اعطاء تربية الملكة الدينية وما يتعلق بامر الآخرة من العناية مثل الذي اعطوه للامور المتقدمه بل مع اغفال ما يقرب الانسان من الملاء الاعلى و يظهر عليه اثار العبودية

والذى اراه نقص المبدأين وعدم كمال الفريقين وان كلا

منهما يبتعد عن الغاية التي ينبغي ان يصل اليها اهل العلم بقدر ما يقترب الآخر منها وان اجزاء الكمال الواجب للعلماء موزعة عليهم لامجموعة وان كلا مصيب في شيء مخطيء فى آخر . فلان التمسك بالعادة قبيح كما ان الثقه بالفكر توقع الانسان فى الخطاء من حيث لا يشعر . بل المبداء الصحيح الذي ينبغي ان يسلكه اهل العقول الراجحه هو كما اقول (لاتقدس العادة ولا تثق بفكرك) بل تأمل وتدبر فعسى ان يكون ما عليه الناس حقاً خفى عليك وعسى ان يكون ما رأيته صواباً غفل عنه الناس . وما يتمسك به الاولون من الصلاح والتقوى والانكسار والاقبال علي امر الآخرة والتحقق بالعبوديه حسن ولكن فى موضعه وعلي وجه لايادي الى الاقتصار عليه وعدم القيام بالشؤون الواجبة على العالم من حيث هوعالم يلزمه ان يكون ذا نظر وسعة اطلاع والمام باخلاق الناس واحوالهم وحسن بيان وعلم بما يلزم من علوم الاكوان ليمكنه ان يقوم بالواجب عليه للناس حق القيام و يكون لقومه شمساً مضيئة ولاعلاء كلمة الحق وقيام الناس علي طريق الهدى سيفاً ماضياً ومناراً عالياً فهذا واجب وهذا لازم ولهذا وقت ولذاك وقت آخر . فالعالم اذا

جن عليه الليل ذل وخشع وانكمش وانخلع عن هذا الكون الناقص واقبل على الحق واقترب من ملكوت الله يسجد ويركع ويسبح ويقدس ويمجد الحق ويناجيه بما شاء حتى تتورم قدماه وينحل جسمه. واذا اصبح اصبح شهماً جريئاً في موضع الجراءة والشهامة يعظ ويرشد ويعلم ويقول الحق ويهدي الى سواء السبيل يساير هذا ويجلس الى ذاك. ان استعمل الشدة في موضعها فمن غير عنف وان استعمل اللين فبغير ضعف لاتفوته شاردة ولا واردة مما يرى فيه صلاح الامة فى امر دنياها وآخرتها فلقد قال الحق في اصحاب رسول الله (اشداء على الكفار رحماء بينهم) وقد كانوا اذا رآهم راء فى النهار ظنهم من قطاع الطريق يشنون الغارة هنا ويعارضون عير قريش هنا وهكذا لاتأخذهم رأفة فى دين الله فاذا اقبل الليل كان لهم ازيز كازيز النحل يذكرون الله تعالى ويسبحونه اناء الليل واطراف النهار لايفترون

وما يغلب على القسم الثانى من القيام باصلاح الامة وارشادها الى طريق سدادها وعدم اغفال الفكر مع الميل الى الترقي فى العلوم والمعارف والاخلاق الخ حسن. ولكن على وجه لايغفل معه

قوام الدين واساسه وهو ايجاد الروح الدينية العالية والتقرب من الملاء الاعلى وتعمير القلوب بالانوار الالهية والمعارف الوجدانية التي هي غاية الكمال لمرتبة الانسان والتي تقرب من الحق جلَّ وعلا . وانت تجد اكثر القرآن انما جاء ليدعو الناس الى سعادة وراء هذه السعاده الدنيوية وكمال فوق هذا الكمال الظاهر

هذا ولا بأس ان استعين بالمقارنة والتمثيل بالأئمة الحائزين لخصال الكمال والمشهورين بانواعها واقول ان العالم لابد ان يكون فى جرآءة وعقل وفكر وحسن بيان مثل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده وذل وتواضع وخشوع وصلاح فضيلة الاستاذ الشيخ الشربيني

بل اقول ان العالم الكامل لابد ان يكون فى اقدام عمرو وحلم الاحنف وزكاء إياس وتقوى ووجدان الجنيد وبلاغة سحبان وعبد القاهر ونحو سيبويه وفلسفة ابن سينا وفقه أبي حنيفة الخ واقول ثالثاً ان العالم الكامل هو من يجمع من الكمال ما جمع الغزالي او يفوقه او يقرب منه واسأل الله الكريم ان يوجد بيننا علماء اقوياء كاملين يكون هذا حالهم وهكذا شأنهم انه سميع قريب مجيب

العلماء الحديثون

تهتم فئة كبيرة اليوم بالحصول على العالمية لانهم يتصورونها من موجبات الرفعة والعلو والجاه والشرف ومن اجل هذا تراهم متي جازوا الامتحان ظنوا انه لاكمال فوق هذا هذا الكمال وانه آن لهم ان يستريحوا من العناء ويبدلوا العمل والجد لعباً ولهواً حتى ان اكثرهم لايوءدي الدروس ويشتغل بالتعليم الا من باب تادية الواجب بحسب الظاهر ولهذا فهم لايعنيهم امره كانهم ظنوا ما قبل الامتحان دار الشقاء وما بعده دار النعيم وجنان الراحه من عناء الاشغال الجسمانيه والعقليه

وهذا بلا شك غلط كبير ونقص عظيم . اولاً لان منتهي ما يمكن ان يحوزه الطالب من المهارة في علوم الامتحان هو على الحقيقة لايعطي صاحبه حق الكمال في العلم بل ذلك كله يعتبر دورا اول وبمنزله تحصيل الشهادة الابتدائية في المدارس الاميريه يكون بعده نشأة اخرى ودور ثاني وثالث في العلم بمنزلة تحصيل الشهادة الثانويه فما فوقها. فكيف واكثرهم قد لايبلغ درجهالتوسط في تلك العلوم

وثانياً لانه على فرض الاستكمال فان هناك من الواجب على العالم من نحو التعليم الخاص والعام والارشاد ما ينبغي ان يكون عمله وجده فيه واشتغاله به اكثر من عمله وجده واشتغاله ابان التعلم . ولهذا فان نصيحتي اليهم ان لايركنوا الى الراحة والكسل وان لايغتروا بالنجاح فى الامتحان وان يعلموا ان هذا وحده لايعطي لصاحبه اسم العالم على الحقيقة وان نسبة النجاح في الامتحان الى ما يصح ان يعد كمالاً في العلماء كنسبة ذرة الى دره وان لايحرموا انفسهم من السعادة العظمى التي يفتح لهم بابها بالنجاح فى الامتحان ويمكنهم التحقق بها اذا ادركوا ان زمن التعلم لم يمض فداوموا على الاشتغال بالعلم تتميماً في العلوم الازهرية وابتداء فى غيرها مما هو لازم ثم جدوا غاية الجد في القيام بواجب العلماء نحو الدين والامة

ولضم الى ذلك نصحي بان هذا اللقب الذي نلتاه لايزال ينادينا بطلب التاهل له من وجهة الاخلاق والعمل . فان شهادة العالمية ليست من الشهادات الفنية ولا صاحبها يعد معلما فنياً كمعلمي المدارس الاميرية مثلاً بل هي وصاحبها على الحقيقة اعلى من

ذلك وارفع . شهادة لاينبغي ان تعطى الا لاهل العقول الراجحة لالصغار العقول اهل الطيش من الشبان مهما كان زكائهم وتنورهم . ولا ينبغي ان ينالها الا اهل الاخلاق الفاضلة وان لم يزيدوا عن درجة التوسط في العلم . لالسيئي الاخلاق مهما كانت قوتهم في الاصول والبلاغة والمنطق ولا يجوز ان يحرزها الا من يعرف قيمة الدين واهمية مركز العالمية لامن يسعى في تحصيلها من جهة ان صاحبها يبجل عند الناس ويحترم

وعلى الجملة فالعالمية وظيفة سامية تطالب الانسان بواجبات كثيره وحقوق جمة . ونحن معشر الشبان من العلماء رجالها وحملتها الذين تعقد باعمالهم آمال المستقبل . فالواجب ان لانطيع شهواتنا ونخلد الى الراحه واللهو ونكون صغاراً فى الفعل كما نحن صغار في السن . وان لانتبع اباءنا فيما وجدناهم عليه لمجرد انا وجدناهم عليه . وان لانثق بافكارنا ونمشي وراءها فى كل ما تدلنا عليه قبل تخوين الفكر وامعان النظر ومزيد البحث وعظيم التروي كي لانعدل عن طريق الحق ونضل ضلالاً كبيراً من حيث لانشعر . وان ننظر الى سائر الاشياء فى هذا العصر حيث قد

جرت كلها شوطاً بعيداً فى التقدم والارتقاء تبعاً للسنن الكونية ليكون لنا منها عبرة وموعظة تبعثنا على التقدم . وان لانزيد في هذا النظر من غير ان نعرف ما هو كالنا على التحقيق فنتسرع وننتقل من حالنا الاول الى ما ليس كمالاً لنا باسم التقدم والترقي ومجاراة الاشياء في تقدمها وانقلابها فيكون حالنا من باب التقليد المضر الناشيء عن الاغترار وقصور النظر والثقة العمياء بالفكر . اقول قولي هذا واعتقد اني من اكثر الناس قصوراً وتقصيراً وانه لااحد احق ولا احوج مني لنصيحتي هذه وغيرها والسلام

دعوة العلماء الى الاتفاق

لقد اجمع سائر العقلاء من سائر الملل على انه لاشيء اولى وانفع من الاتفاق . كما اجمعوا على ان السبب الظاهر لنمو الامة الاسلاميه وانتشار الدين في سابق العصور و العامل فى تلك الانتصارات الباهرة التي علت بها كلمة الاسلام في بدء وجوده انما هو الاتفاق . وانه ما اضعف الامة واخرها وفرقها ايدي سبا واوقعها فى الذل والهوان تحت الاحكام الاجنبية الا التفرق والاختلاف وعدم العمل بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

وقوله (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) وقوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء)

وقد كان اكبر عامل فى هذا التفريق الانتصار للرأي وجعل الخلف فى المسائل العلمية والمذهبية مؤثراً على اصل الوحدة وقاطعاً للعلائق الشخصية ومسبباً للبغض والكراهة . حتى تفرقت الامة احزاباً وفرقاً وشيعاً (كل حزب بما لديهم فرحون) ولان كان الاولون اندفعوا في هذا التيار بحسن نية مكونين مبادي الخلف والتفريق جاهلين نتائجه المهلكة وعواقبه الوخيمه فليس من العقل في شيء ان نوقد نحن الآن نيران هذا الخلاف والتدابر والتخاذل والتحاقد والتخاصم بعد ما رأينا باعيننا وسمعنا بآذاننا ولمسنا بايدينا وذقنا مرارة عواقب الخلاف التي بها وصلنا الي ما نحن فيه من الذل والهوان

ولأن كان الخلاف مضراً بين سائر الطبقات فليس اشد منه ضرراً بين حماة الدين ورجال العلم وعلماء الارشاد . كما انه ليس اغرب من وقوعه بينهم وهم ينبغي ان يكونوا لعلم الناس

بضاره

هذا الخلف بينهم اشد خطر على الجامعة الدينية منه بين الملوك والسلاطين لانهم مصدر القوة العالية الروحانية وهى اعلى واصل للقوات الحسية التي في ايدي الملوك · فمع اتفاق العلماء يعدم خلاف الملوك او يقل ضرره · ولكن من الاسف ان علماءنا اليوم تكاد ان لاتربطهم الا رابطة الانتساب الي بقعة الازهر مثلاً

خلاف في العقائد · خلاف في المذاهب · خلاف في المشارب · خلاف في المبادىء · خلاف في الاخلاق · تحاقد · تحاسد · تخاذل · نظر الي السفاسف · لايكاد يخلو مجلس لهم من ذم الآخرين · يبذل كل جهد الطاقه في رفع شأنه وتحقير غيره والحط من كرامته · تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الم تكفنا تلك المحن مواعظ · الم تكفنا هذه المصائب عبرا · الم تكفنا تلك الدروس التي تلقينا فيها مضار الخلاف مدة الف وثلاث مائه سنه · ما هذا الحال · ما هذا الانقلاب · ما هذا الذهول · اهذه تعاليم دينكم · اهذه ارشاداته · اهكذا

يصح . اهكذا وصاكم الله ورسوله . تالله ان هذا لعار كبير ونقص ظاهر حقرنا في اعين الناس حتى الاسافل وجلب علينا وعلى الامه اشد المصائب . وجعلنا منظورين بعين الازدراء والسخريه والمقت من الناس اجمعين .

مالنا كلما قابل احدنا الآخر في مجلس او طريق نفخ كل كبرا واراد كل ان يعلو على الآخر ويفوقه وينظر الي الثاني نظر الاحتقار (اللهم الا في قليل الاحوال)

ما لنا كلما اجتمعنا يتصور كل منا لنفسه ناموساً وهمياً يحافظ عليه ولو بنصرة الباطل

ما لنا كلما اجتمعنا كان همّ كل ان يظهر على غيره فضله وعلمه . ما لنا يسيء احدنا ظنه فى الآخر لاقل حادث بل وبدون سبب . ما لنا يغتاب بعضنا بعضاً بحق او بدون حق

ما لنا نستهزيء ونزدري بمن يري انه يمكن ان نكون علي احسن مما نحن عليه . ما لنا نتقدم ونتقرب الى كبرائنا بالنميمة بينهم . ما لنا ننافق مع روءسائنا فمتي جلسنا اليهم وافقناهم ومتى فارقناهم ذممناهم . بل ما لنا نخاف منهم فلا ننكر عليهم فى

مواجهتهم ما نراه غير موافق ولكن مع حسن النية وتمام الأدب

ما لنا نرضى بتضحية المصلحة العمومية فى سبيل المنفعة الخاصة . ما لنا كل يعد غيره جاهلاً وانه هو المتفرد بالعالميه . ما لنا لانتناصح ما لنا لا نتصافى . ما لنا لا نتواد . ما لنا لانتحاب . ما لنا لانؤلف المجتمعات النافعة ونشرع فى المشروعات المفيده لنا وللامة . ما لنا لايشد بعضنا ازر بعض . ما لنا لايحس احدنا بالواجبات التي لاخيه وللامة عليه . ما لنا نجمدنا على حال واحده فلا نرضي سواها وان كان حقاً . ما لنا لانحسن النظر ونأخذ من كل شيء احسنه . ما لنا نكره الاصلاح وان كان لنا فيه تمام العز والشرف . ما لنا لا نتحقق بالخضوع والتذلل والتواضع وهي اصول الخير واسباب الفلاح . ما لنا متي رأينا عورة لبعضنا احببنا ان نظهر . ما لنا يحقر كبيرنا صغيرنا وصغيرنا كبيرنا . ما لنا لانسعي في اعلاء كلمة الله وترقية امتنا واصلاح مفاسدها ما لنا ما لنا ما لنا وكم الف الف مرة اقول ما لنا . السنا نخاف الله . السنا نخشى العقاب . السنا محاسبين امام الله . اليس مردنا الي

الله · لاحول ولا قوة الا بالله · تالله ان الدنيا بحذافيرها لأحقر من ان تفرق بين اثنين من المسلمين يخافان الله ويعلمان ان الدنيا لاتدوم وان الاشياء كلها فانية

اما نعلم ان الشعور الديني كاد ان يتلاشى من نفوس كثير من المسلمين خصوصاً المتنورين واهل الطبقات العليا · اما نعلم ان تيار التمدن الاوربي وسيله الجارف قد زحزح امور الدين الثابتة واخذها امامه لجهل الناس بان التمدن لاينافي التدين اما نرى ونبصر ان الدين قد انحاز باهله وصار يعتبر من الاحوال الشخصية والامور الاستحسانية التي تختلف باختلاف الاذواق · اما نعلم ان الامة واقعة الآن في بيدآ جهالة مظلمة ما بين اعتقاد عقائد مضلات بل مكفرات · وما بين اعتقاد خيالات وخرافات واتباع شهوات · اما نعلم ان الامة قد لامست قلوبها مقدمات المبادئ التي تعدها لخلع ربقة الدين وحلت في صدورها طلائع مكروبات الجحود الزاحفة · اما نعلم ان العداة الذين يستعملون كل حيلة في سبيل تنصير المسلمين ويبذلون في ذلك النفس والمال · اما نعلم ان شبهاً كثيرة وكتباً جديدة

تنشر كل يوم فى الطعن على الاسلام والرسول . اما نعلم ان هناك اقواماً يبذلون جهدهم في ان يترك المسلمون الاسلام ويعتقدوا ديناً جديداً وقد اتبعهم كثيرون من المسلمين فى غير هذه البلاد . اما نعلم ان الامة خذلت وضاعت وتفرقت فى ايدي الاجانب كالسبي

كل هذا لانفكر فيه ولا نحس به ولا نتألم منه ولكننا نشتغل من العلم بتحقيق بعض معانٍ خياليه لااثر لها في الخارج ثم بكون الامر المهم والشغل الشاغل (انا مستحق كسوة تشريف . انا مستحق النقل . لماذا فلان ياخذ بدل كسوة وانا لا . لماذا ينقل للدرجه الاولى وانا لا . فلان جاهل . فلان وقح . هل طلعت اليوم عند المفتي . انا طلعت . ذهبت اليوم لزيارة شيخ الجامع . ماذا عملوا اليوم . سيقلبون كيان الازهر . شيخ الجامع لاينفع . فلان بتداخله تحصل على كذا . الشيخ فلان يكره فلان فلان محسوب المفتي . فلان محسوب الشيخ . فلان رجل بطال . فلان رُتب فى جامع كذا . فلان عطل على فلان) الى غير ذلك من الامور التافهة المحزنة التي تدل على ما تدل عليه

ولهذا فها انا المسكين انجاسر وادعوهم جميعاً باسم الله الى المحبة والصفاء والاتحاد والتعاون والاتفاق وعدم الاعتناء بتافه الامور وعدم تقديم المصلحة الشخصية على العامة وعدم الايذاء والغيبة وطلب الكمال من اوجهه الحقيقيه والحرص عليه والالتفات نحوه والتنافس فيه وعدم الجمود على حال معين وعدم الاستبداد بالفكر وان لاننظر الى المشخصات بل الى المميز النوعي الذي نصير به نوعاً واحداً بازاء انواع كثيرة وفرق متعددة من الناس

وادعو كبرائنا وعظمائنا ورؤسائنا الى القيام بهذه الدعوة وتأييدها بالتنازل وحسن التاليف وعقد المجتمعات و بذل النصح والتحبب للاصاغر والاكابر والتجاوز عن السيئات والكف عن الغيبة وجميع الطرق الممكنة فان مقالهم يسمع وامرهم يتبع وحالهم يقتدى به وهم اولى الناس بذلك والله ولي التوفيق

نوال العالمية

علمنا مما تقدم ان العالمية حمل ثقيل وامر خطير ووظيفة سامية وامر عال لاينبغي ان يعطى جزافاً ولا ان يحابي فيه . واذا كانت الاشياء كلها يعد من النقص الكبير عدم اعطاءها حقها

واسنادها لمن لا يستحقها فان اشد النقص نقصاً واكثر التهاون ضرراً اسناد العالمية لغير اهلها لان في ذلك خطراً على الدين . اذ العلماء اصله وحماته وحراسه ودعائمه التي يستند اليها بل أساسه الذي يبنى عليه والخطر لا يأتى على الممالك الا من ضعف حاميتها ولا على الملك الا من عدم كفائة حراسه والخوف على الهيكل القائم يكون من جهة دعائمه واساسه الذي يقوم عليه

اني لاجد ارتباطاً بين شيئين ولا امراً له دخل فى جميع اجزاء الآخر ولا سبباً يتوقف عليه وجود المسبب اكثر من هذه المعاني بين كفائة العلماء وقوة الاسلام وعلو كلمة الدين وتقدم المسلمين . كما اني من اجل ذلك لاجد امراً احق بالعناية والتروي والتحفظ والتامل وامعان النظر اكثر من اسناد منصب العالمية الى طالبيه

ولذلك فاني اغمض عيني عمداً لكي لا ارى اشمئزاز وغضب بعض العلماء والطلاب واقول موجهاً وجهي للحق ان طريقة الامتحان الآن معوجه وغير كافيه بل ومؤديه الى ضرر بين وانحطاط شديد وفساد ظاهر

وبيان ذلك ان هذه العالميه ليست مأخوذة بالمعني اللغوي حتى يكفي فيها مجرد العلم كما انها ليست من المعاني الاصطلاحيه حتى يكفي فيها مجرد المواضعه والاصطلاح على ان من كان كذا فهو عالم ومن لا فلا · وانما هي منصب الرئاسه الدينيه والوراثه لمقام النبوة والقيام بخاصة ما كان يقوم به سيدنا الرسول من واجب الهداية والارشاد

فهي لهذا لايكفي فيها علم ما · ولا كمال العلم فقط · بل لابد ايضاً من الكمال في الاشياء الاخرى المبينة في باب كمال العلماء

ولكن الجاري الآن انهم يكتفون بعلم دون القدر اللازم ويهملون ما عدا العلم من الواجبات الاخرى التي لابد منها وضرورة العالمية اليها كضرورة الشيء الى نفسه او جزءه · فالكلام اذاً في امرين الاول اهمال ما عدا العلم من الامور اللازمة والثاني الاكتفاء في العلم بما لايكفي

اما الاول فمن الواجب ان الطالب لايكون عالماً الا اذا تحقق من كمال استقامته · وحسن سيره وسيرته · ووفور عقله ·

وحسن خلقه · وعلو همته · وعدم جبنه · وعدم جموده · وعدم جرأته على انتهاك الحرمات · وعدم كذبه · وعدم تمسكه بالعادة وعدم طيشه · وعدم ثقته بفكره · وعلمت عقائده · واميا له · ومشربه وانه الى اي غايه يرمي · وعلى اي مبداء يسير · الى غير ذلك من الامور التي يجب تحققها في العالم من حيث هو قدوة للامة وامام الناس وصاحب الارشاد وتهذيب الاخلاق واصلاح الفاسد وهدايه الضال واقرب الناس الى صاحب الشريعه (بحسب ما يجب لا بحسب ما هو موجود)

ولكن مما يوجب الاسف انهم اليوم يهملون هذه الاشياء اهمالاً كلياً ولا ينظرون في الحقيقه الا لمجرد الاجابه فيما اعتادوا ان يسألوا فيه من مسائل العلم · وفي ذلك الخطر المحقق على العلم والدين والامه وكيف لا وليس في تعلم المدارس الدينيه ولا نظامها ضمانه للاستقامه ولا حسن الاخلاق ولا شي مما تقدم بل ليس فيه ضمانه للقدر المطلوب من العلم في الامتحان الآن ايضاً · الا ان هذا يحصله عدد اقل من الواحد في المائه من الشبان الازكياء بجدهم واجتهادهم · ولكنهم في غيره على حال

الصدفة والاتفاق الاوّلي

اليس من العجيب ان يبلغ التهاون في اعطاء منصب العالمية الى حد ان يأتي الطالب امام لجنة الامتحان وهو غير معلوم اصلاً ليأدي الدروس المعينة له . من غير ان يعرف هل هو من الفاسقين او المتقين . من الزائغين في الاعتقاد او من المعتدلين . من غير ان يعرف مبدأه ولا مشربه . من غير ان يعلم هل هو سيجلب للعلماء فخراً وشرفاً اعلى او سيورثهم بفعله عاراً وصغاراً لايمحى مدى الابد . اليس من العجيب ان هذه الزمر من الشبان الذين نشاؤا امراء نفوسهم وقوادها الى خير او شر والذين لم يذوقو طعم التربية ولم يحسوا بالواجب الانساني فضلاً عن الديني ولم تسموا مداركهم ولم تستكمل عقولهم ولم يعرفوا للعالمية قيمة الا انها ذلك الشيء الذي يورث الانفة والاستكبار وانتهاء التعلم وكون الانسان اهلاً لان يحترم عند ابناء جنسه وامثاله وتقبل يده من صغار التلامذة المتعلمين . يدخلون الامتحان وبكل سهولة تعطى لهم الدرجات العالية متى وجدوا نابغين في فهم (مسألة الامر بواحد او مسألة مطلق المقدور . والايراد المذكور)

انا لا اريد ان اتكلم عن ان الذين دخلوا الامتحان كاملون من هذه الوجهة او غير كاملين وانما اريد ان اقول ان طريقة الامتحان ليس فيها ادنى ضمانة لتحقق الكمال وانه على فرض حصوله فهو من باب الصدفه والمشيخة مقصرة على كل حال

انا لا ارى خطراً اكثر من ترقية من لايستحق خصوصاً من هذه الوجهه ولأن يكون العالم ضعيفاً في المعلومات كاملاً من هذه الجهه خير من العكس

انا لا انكر ان معرفة الحقيقه في هذه الامور صعبه وربما ادى البحث الى تاخير بعض المستحقين · ولكن ارى هذا اهون من اعطاء العالمية لاحداث اوشيوخ من اهل الصفات البهيمية الاخلاق الحيوانية ممن يجلبون العار للاسلام بل ممن يعملون لمحو ولدين من حيث يشعرون او لايشعرون

قد يكون في طلاب الامتحان اهل الجهل المركب (في غير مسائل الاصول والنحو وغيرها من مواضيع الامتحان) واهل الثقة والغرور بالفكر الذين متى صاروا من العلماء بثو مبادئهم الخبيثة بين الناس

قد يكون من طلاب الامتحان اهل الجمود الذين يقفون عقبة فى طريق كل تقدم · قد يكون منهم اهل الصفات الدنيئة الذين يحطون من قدر العالمية والعلماء

قد يكون منهم اهل الرعونة والطيش وسوء الخلق بل وسوء الاعتقاد و· و· و· و· الخ الخ الخ

ولهذا فانى ارى انه لابد من التشديد فى ذلك وان المسئوليه في هذا على المشيخه الازهريه التي يجب ان تخصص شطرا عظيما من اعمالها لامثال هذه المباحث وامثال هذا التحري

ولاجل ذلك فلا بأس من تقليل عدد الممتحنين ان دعت الضرورة فان الكثرة على هذا الوجه مضرة والعاملون عليها انما يعملون لاتساع الخرق واعضال الداء ويفتحون بابا يدخل منه اللصوص والسفلة الى اعلا المقامات واشرفها · وواحد كالف · والف كل شيء · ويكاد يكون هذا هو المحقق اليوم

ولا يتوهمن احد ان الشهادة في الازهر كالشهاده فى مدارس الحكومه مثلا تعطى الكل طالب نابغ فى العلوم فان تلك شهادة فنية المدار فيها على العلم اما هذه فشهادة رئاسه دينيه لابد فيها

من العمل مع العلم

ومن هنا يمكنني ان اقترح انه اذا لم يمكن الجري على ما رأيت اولاً فليجعل هذا الامتحان فنيا وليدخل فيه من شاء من الطلاب ولكن على شرط ان لايعطي فيه لقب (عالم) بل (مدرس) مثلاً فيكون هناك مرتبتان ولا يرقي الى العالمية الا الواحد بعد الواحد ممن توجد فيهم الكفائة والاهلية بقطع النظر عن التقدم في السن او طول مدة التدريس

وهناك من الواجبات الاخري (احسان التعليم) و بديهي ان ذلك لايستلزمه الكمال فى العلم وهو مع ذلك من اهم المهمات التي يترتب عليها سعادة الطلاب او شقائهم فمن الواجب ملاحظة ذلك في اعطاء العالمية ولا بأس ان تعتبر هناك درجات متفاوتة فى التعليم حتي يكون هنالك من يحرز الدرجة الاولى في العلم والثانية او الثالثة في التعليم وان يعتبر لهذا المعنى امتيازا آخر

واما الامر الثاني وهو الاكتفاء من العلم بما لايكفى فذلك من وجهين احدهما الاقتصار على بعض العلوم والثاني الاقتصار فيها علي ما هو اقل من اللازم ٠ وبديهي ان العالم لابد له من

شيئين · فكر وقاد · ومعلومات كافية · ولكن يظهر انهم اليوم لايعولون الا على اصل التميز والفكر بقطع النظر عن المعلومات حتى انني سمعت من ان افاضل علماء الامتحان انهم يكتفون بان يقرروا الحق للطالب فان امكنه ان يعيده كما قالوا كان من الناجحين · وهذا غلط بيّن بل الواجب ان لايكتفى باصل الذكاء بل لابد ان يكون فيه متوسطاً على الاقل · ثم المعلومات لابد منها لانها هي التي تفصل العالم عن غيره من سائر افراد الامة المتنورين · وما اجدر العالم الذي لاتكون عنده المعلومات الكافية بان يسمي (عالم المراجعة) وان يسكن المكاتب العمومية ولا يخرج منها لكي لاينسلخ منه معنى عالم

ولذلك ارى ان يكون من شرائط النجاح ان يحفظ طالب الامتحان فى كل علم متناً متوسطاً على الاقل يفهمه ولو فهماً بسيطاً وليكن من ذلك القرآن فلا بد من التاكد من حفظه ولا بد من العناية بالتفسير بحيث تكون اقل مراتب النجاح فيه ان يسئل عن المعنى البسيط لكل آية فلا يتاخر · وكذا لابد من العناية بالحديث · فلا بد من معرفة المصطلح ومن التاكد من

انه اكثر الاطلاع على كتب الحديث . ولا بد ان يحفظ متن مائة حديث من جوامع الكلم والاصول الكليه على الاقل . وفى علم الاصول لابد من الافاضة في بيان مدارك المجتهدين على الوجه المقبول وترجيح احدها بادلة معقولة . وفي النحو والصرف لابد من التاكد من انه لايلحن ولا يغلط وانه يمكنه قراءه العربية على البديهة بلا لحن والتكلم بها كذلك . وفي البلاغة لابد من عرض آيات وجمل من الكلام عليه ليبين ما فيها من نكات البلاغة . وليفض فى بيان ما فيها من اوجه الحسن التي يقبلها الذوق وما فى غير الآيات من ضد ذلك ان كان . وليكن هذا كله بعبارات بليغة موءثرة . وفي المنطق لابد من التاكد من ان له فيه ملكة يمكنه بها ملاحظة اصوله فيما يستعمل فيه فكره بسهولة . وفي التوحيد لابد من التاكد من الاطلاع على كثير من الاراء والمذاهب الفلسفية وغيرها ومعرفة تاريخ مذاهب التوحيد . ولا بد من عرض مسائل خلافيه عليه ليقرر رأيه فيها بقطع النظر عن المكتوب . كما ان لابد من حفظ متن تهذيب الكلام على الاقل

وفي الفقه لابد من التاكد من الالمام بفروع مذهبه على الاقل بحيث يمكنه ان يفتي كل من يستفتيه بالحق اما العلوم اللازمة زيادة عن هذه فهي بقية العلوم المبينة في (باب العلوم) فلا بد من التاكد من الالمام بالمقادير اللازمه منها الموضحه هناك ايضاً

وقبل النهايه لابد ان انبه على وجوب الاختبارات العموميه التي يعلم بها الاطلاع والتنور العام والفكر المعتدل والنظر السليم كما انه لابد من التاكد من الجراءة وقوة الانشاء والتاثير بالعباره والخطابه الخ الخ والله ولي التيسير

مرتبات العلماء

اذا قيل للبوءس اين تسكن فلا شك انه يخصص بيوت العلماء المدرسين بالاشاره . واذا قيل للفقر وسوء الحظ من ترافقان اشارا الى العلماء . اي نعم هم التعساء البوءساء اهل ضنك العيش والفقر المدقع . هم افقر الناس واشدهم احتياجاً . فى حين انه كان ينبغي ان يكونوا من اغني الناس واهدإهم بالاً من جهه حاجيات المعيشه . ذلك لانه لاشيء احوج الى صفاء الفكر وراحه البال

وعدم الاشتغال بامور المعاش من العلم والاشتغال به . وفي ذلك من الامثلة ما هو كثير مشهور. روي عن ابي يوسف ان جاريته قالت له يوماً وهو نازل فرغ الدقيق فدهش ولم يدر اصاعد هو ام نازل وذهبت من فكره كذا كذا مسئلة من اصول العلم ولم تعد له . وحكوا عن الامام الشافعي لو كلفت بملح الطعام ما ما تعلمت العلم . وقد لاحظت الشريعة ذلك وان المجتمع فى اشد الحاجة اليهم ففرضت لهم الكفاية من بيت المال . الا انهم اليوم لهم حال يبكي العقلاء ويضحك السفهاء . حال لايرضاه سواهم ولا يعيش به غيرهم . حال لاادري أأتخذه عذراً في عدم قيامهم بالواجب عليهم (كما يقولون) ام اقول انه جزاء من الله على تقصيرهم ام اقول انه بلاء ابتلاهم الله به

لعل كثيراً من الناس لايعلمون ان العلماء في مرتباتهم لايساوون الفعلة وخدمة البيوت وان ما ياخذونه من المدارس لايقوم بحاجة اقل انسان اذا كان مع زوجته فقط ولكن العالم قد يكون في عائلة تبلغ العشرين.

تالله ان ذكر مرتباتهم مخجل وربما نقصهم في اعين من يرى

ان قيمة الانسان على قدر مرتبه وهو الفكر السايد عند اكثر الموظفين ولكن لابد لى ان اقول ليلتمس الناس لهم عذراً وينظروا اليهم بعين الرحمة والشفقة

اقول مرتبات مع ان الامر اهون من ذلك واحقر (٧٥) غرشاً لعلماء الدرجة الثالثة و(١٠٠) لعلماء الثانية و(١٥٠) لعلماء الاولى وقليل ما هم. وقد توجد زيادات لقليل من العلماء قد لاتتجاوز الخمسة جنيهات. هذا فى الازهر اما علماء الجامع الاحمدي فلم يكن لهم شيء الا شيء قليل من فضل الصدقات الواردة في المقام الاحمدي وقريباً رتبت لهم مرتبات هكذا* (٤٥) غرشاً لاهل الدرجة الاولى و(٣٥) الثانية و(٢٥) للثالثة. ومما يحسن ايراده هنا ما حكاه لي بعض العلماء حيث قال قسمت مرتبي الشهري على الدروس التي القيها في الشهر فخص الدرس الواحد اثنين مليما

فاي شقاء وبلاء اكثر من هذا الحال وكيف يتسني للعلماء معه القيام بالواجب ولماذا لايتعلمون صفات النقص ولماذا لايشترون بايات الله ثمناً قليلاً ولِمَ لايكذبون ويخضعون للحكام ولم لايتملقون

ويتافقون ويتواضعون في غير موضع التواضع وكيف يمكنهم مع هذا التدريس واتقان التعليم والارشاد

تالله ان من يتامل حالهم يعلم انهم في عمل شاق وعيشة ضنك واحوال لاتجمع الا لهم ولا يرضى بها سواهم

كيف يجوز ان يكون اصغر المعلمين في المدارس الاميرية وسواها لا يقل مرتبه عن اربع جنيهات ويكون للعالم جنيه واحد في حين انه اعلم منه ويؤدي للامة خدمة كبرى ويشتغل في الدروس اكثر من كل معلم في المدارس . انا لاادري مع هذا كيف يتحملون هذا الحال السيء ولا يخرجون ليكونوا من معلمي العربي مثلاً في المدارس الخارجية ليساووا في المرتب من هو اقل منهم لاشك ان الصبر على ذلك من اعظم ما يمدحون عليه وينبغي ان يدعوا الى النظر اليهم من اولياء الامور

كم من رجل زكي عالم فاضل انقطع عن العلم واشتغل بالزراعه او التجارة لانه يعلم ان مرتب الازهر لاينفعه ان هو اشتغل وصابر حتى ينال درجة العالمية

كاد الفقران يكون كفرا · لو رأى الانسان العلماء وتهافتهم على صغار الوظائف من نحو خطبة وامامة ومقرأة وما يبذلون من ضروب الضعة والخضوع والتذلل فى طلب امثال هذه الوظائف لعذرهم وعلم ان ذلك نتيجة الاحتياج · لو رأى الانسان العلماء وتزلفهم لبعض الاغنياء وارتياحهم لياخذوا من بعض الصدقات واقبالهم على تناول ما يسمونه (اسقاط صلاة) ورضاهم بجريان رسومه عليهم في المحافل العامة فينبغي ان يعلم انهم ما دفعهم علي ذلك الا مزيد الفقر وعظيم الاحتياج

العلماء لابد لهم من النخوة والشهامة وعدم النظر الى كبير او صغير وهذا يستحيل ان يكون مع الفقر · العلماء اذا لم يكونوا في سعة لم يمكنهم ان يرفعوا اصواتهم بالحق

لو تامل العاقل عيشة العلماء وجدها عيشة مرة فان اكثرهم لايتمكن من احضار زوجته واولاده لمصر او طنطا مثلاً بسبب فقره ويظل هكذا طول عمره محروماً من التمتع برؤية اولاده الا في المسامحات ومع هذا فمتى جاء وقت المسامحة وجدته في ضيق وحيرة لانه يجب ان لايرجع لاهله الا بنفقة وكسوة ولكن من

اين يتحصل على هذا ومرتبه غير واف باصل المعيشة . فلهذا هو لايهنأ له بال ايضاً في الايام التي يمضيها مع اهله فى بلده خصوصاً وامرأته لاتزال تنكد عليه بسبب ذلك الشقاء الذي اوقعتها فيه يد الاقدار ولا تزال تطالبه باشياء يعجز عنها . العالم اذا قدر الله له ان يوظف اماماً او خطيباً او فى مقرأة ليتحصل على ثلاثين غرشاً مثلاً فيضمها الى ماهيته ويأتي باهله الى مقر تدريسه عاش معهم مرّ العيش وذاقوا جميعاً من آلام الضيق ما لايصبر عليه احد وربما كانت عائلته كبيرة فلا يكادون يشبعون خبزاً ثم هو لايزال فى شغل شاغل من اجل قضاء مصالح البيت ولوازمه . العالم قد يظل طول يومه مع الناس او فى الجامع يتشاغل ولا يذهب لبيته لان هناك امراته تطالبه باشياء كالتي اتى بها زوج جارتها وهناك بنته وابنه يطالبانه باشياء كالتي يأتى بها الاباء لابناءهم وهو لايملك شيئاً من الدراهم وربما كان لايقدر على سؤال الناس ولا يزال ينتظر فرجاً يأتيه من دعوة تاتيه لقرائة البخاري او لحضور اسقاط صلاه او استفتاء في مسئلة زوجية او طلاق وقد يلجئه الاضطرار فى هذه الحالة لان يفتي على اهواء

من استفتوه بضروب من التمحلات والتأويلات طمعاً فى نوال شيء منهم على رأي القائل من متقدميهم (نحن مع الدراهم قلة وكثرة)

العالم ربما يمكث فى الجامع يدرس طول يومه وبيته محتاج للقوت اليومي وليس معه ما يفي به

فاي حال اسواء من هذا الحال واى عيشة اشد ضنكاً من هذه العيشة واي عذاب اكثر من هذا العذاب

تالله اني كلما تذكرت هذه الاحوال كدت انقطع اسفاً وتحسراً على سادتى وحزبي وابناء جنسي من افاضل اساتذتي واخوانى الذين لاراحة لي الا فى راحتهم وعلوهم وكمالهم ولا يهناء لي حال الا ان اجدهم فى بسطة من العيش واعلى مرتبة من مراتب الكمال (اما انا فعندي والحمد لله ما يكفيني) فلاجل هذا ارى انهم يستحقون النظر والشفقة من الحضرة الخديوية ومن اغنياء المسلمين وان هذا الاصلاح والكمال الذي انا بصدده لايمكن ان يتم الابالمساعدة المالية وخير ما تصرف فيه الاوقاف الخيريه مثل هذا الاصلاح

الباب الثاني

في المدارس الدينية

وظيفة المدارس الدينية في العالم الاسلامي

الانسان بفطرته طالب للخير والسعادة ساع دائماً فيما يراه كذلك كفراً او ايماناً طاعة او عصياناً .

ثم هو على ما اعطي من قوة العقل عاجز عن ان يدرك كل ما هو خير له في الواقع لاسباب شتى اهمها الجهل بعاقبة الامر في الاستقبال ومن هنا كان من الاعمال السياسية التي يأتي بها الملوك والوزراء لمنفعة دولهم ما يظهر بعد مائة سنة انه من الغلطات الكبرى

والشريعة الاسلامية هي القانون المرشد لما فيه السعادة للانسان في الحال والاستقبال على وجه تقديم الاهم عند التعارض . فان منعت من لذة عاجلة براها الانسان بنظره سعادة فما هو الا ان في عاقبتها عذاباً لاتوازي لذتها المه كأكل اللحم للمريض والعسل المسموم لمن يحبه وان حثت على موءلم كالجهاد فما هو الا ان في

عاقبته نعيم اكبر وسعادة ولذة لايعد هذا لألم بجانبها الما فهي لاترشد الا لما يطلبه الانسان بالفطرة ويقر به العقل الانساني اجمالاً وان لم يعلم تفصيله

والمدارس الاسلامية هي الواسطة بين العالم وبين هذا القانون المطلوب بالفطرة تعرفه كما ينبغي ثم تقوم بتبليغه ونشره وايقاف العالم اجمع على حقائقه وتبذل قصارى الجهد في اقناع المعتقد بان يعمل على وفقه واقناع الجاحد بان يعتقد

وهذه المدارس وان لم يدرس فيها كل شيء فهي التي تعلم وتنشر مبادىء دراسة كل شيء وتحث على ذلك. وهي وان لم تعلم الحرف والصنائع فانها تعطى القواعد العمومية وترسم الخطط الاساسية التي تقضي بتعلم جميع الحرف والصنائع وهي التي ترشد الى بناء دور العلوم المتنوعة ومحال الصناعه والى السياحة والاخذ بالحسن من المدنية الحاضرة الخ الخ. والامة التي تقوم فيها هذه المدارس بوظيفتها الحقيقيه كما ينبغي تبلغ في شؤون التقدم والترقي والمدنيه والاختراع والاكتشاف والعلم والغلبه على الامم مبلغ الدول الاورباويه وفي الكمال الروحاني والتعبد للاله القادر مبلغ كبار العابدين

ولكن مما لاسبيل اليه القول بانها الآن حائزة للكمال في شيء مما ينبغي ان تقوم به او تكون عليه

وكيف لا وقد جهلت اسرار الشريعة وفقدت الملكات الدينية والعواطف الاسلامية فاصبح الدين قريباً من الممتهن المبتذل بين جمهور الامة يكادون ان يروا السعادة فى مجانبته وان يتفاخروا بالابتعاد عنه . ليس من مرمي انظارهم العمل اليه ولا شيئاً من مقاصدهم التمسك بحبله . قد عدم سلطانه علي القلوب وفقدت الرهبة من انذاره والرغبة فى تبشيره ولم يعد مما يخطر على البال عند التردد في الاقدام على امر او الاحجام عنه انه موافق للدين او مخالف فما هو اذاً عمل المدارس الدينيه

كيف يقال انها قائمه بوظيفتها وقد وصلت الامة الاسلامية في جميع بقاع الارض الى احط دركات الخسف والهوان وتقلبت على نيران الذل والاستعباد وقاست من الصبر من تحمل فظائع العنف والاضطهاد ولا ابالغ ان قلت كادت تشبه الامم الاسرائيليه في عهد الفراعنه . كيف نقول انها قائمه بوظيفتها وقد فقدنا صفات الرجوليه وتلاشت منا صفه العزة والنخوة والشهامه ومات الشعور

بالوحدة المليه والقوميه ولم يعد في الحسبان النظر الى المطالب العموميه والمصالح المشتركه ولا الى شي مما يعود على الامه بالعز والرفعه والتقدم لايبالي الرجل الا بما يعود على شخصه فقط من المنفعة المحسوسه ولا يأنف من ان يبيع شرف امته وعزة دينه ببعض منافع شخصية يضمها اليه ويعتقد انه سعيد الحظ وان هذا خير ساقه الله اليه. فانهدم بذلك شطر عظيم من الدين وهوما يتعلق بالوحدة الملية والهيئة الاجتماعية وبنى على رسوخ هذا في النفوس ان صار اسم الدين لايفهم منه الا بعض المسائل الدينية الشخصية كالصلاة والصوم والتسبيح. كيف نقول ان المدارس الدينية قائمة بوظيفتها او هناك فائده من وجودها وها هو جمهور الامة رائع في بحبوحة الجهل المطبق بعلوم المعاش والمعاد لايعرفون من امر الدين ما يطابق الحقيقة ولا ما يطمئن به القلب السليم بل فقدت من النفوس تعاليمه الحقيقية التي كانت تعرج بارواح اهله الى الملكوت الاعلى وتقعد بهم في الذروة العلياء من سعادة هذا الكون ولم يكن للنفوس رادع ديني ولا داع ايماني. فافترق المسلمون ثلاث فرق

الفرقة الاولى جمهور الطبقات العليا من طلاب الكمال وهولاء شغلت اعينهم بيارق التمدن الغربي ولم يصل نظرهم في الدين الى ما وراء حال اهله الآن (العلماء واهل الطرق) فكاد يهجس في قلوبهم هاجس ان الدين ربما كان من الاوهام القديمه والعادات الاولى التي يجب التخلص منها في هذا العصر المنير . والفرقة الثانية اهل الاعتقاد في الدين وهم ما بين غريق في جهالات او اسير خرافات او تائه في بيداء خزعبلات المدلسين ممن اتخذوا الدين طريقاً لامور المعاش فصار اكثر ما يتناوله اسم الدين في معتقدهم شيئاً يناقض الدين على خط مستقيم

والفرقة الثالثه باقي اخلاط الامة ممن قصر نظرهم عن ادراك ما وراء المحسوس فجروا في طريق الشهوات المادية فحسب ثم انحطوا فيها الى ما هو دون مراتب الانسانية بكثير من مراتب الحيوانية البهيمية

انحطت تلك الامة في علوم الدين الى هذا الحد المشين ثم انحطت في علوم المعاش ايضاً وهي مما يدعوا اليها الاسلام حتى انها لتعد من فروضه ومن اجل ما يتقرب به الى الله

فاصبحت عالة على غيرها فى كل شيء وودون الناس في كل شيء واجهل الناس بكل شيء ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

يا عجباً اين هي تلك الروح الدينية العالية التي كانت تنقل العربي الجلف الوحشي من احط دركات الجهالة الى اعلى مقامات العرفان في اقل قليل من الزمان. تنقله من القصور في الحس والاقتصار على عبادة الاحجار الى تعدي طور مفصلات العقل والاعتقاد باله واحد قهار لا في مكان ولا يأتي عليه زمان. اين هي تلك الملكات الدينية التي كانت تنهض خير الاسلاف من بين اطفالهم ونسائهم واموالهم الى اقتحام الاخطار وتحمل مشاق الاسفار فى طلب موجبات الرفعة والتقدم ثقة بالنعيم الاخروي. اين هؤلاء اهل العقول الراجحه ممن حققوا العلم ودوخوا العالم وشيدوا المدن واحيوا الصنائع واستولوا على الممالك لاحباً في الرئاسة ولا طلباً لامر دنيوي بل لحب الاصلاح وقهر النوس على عدم الاسترسال مع حاكم العادة واعطاء مبادئ جديدة هي منتهى السعادة لاهل هذا الكون

ذهب كل هذا وذهبت تلك العصور واصبحنا على مثل ما بينا فتبين عدم فائده المدارس الدينية وعدم تاثير رجال التعليم الاسلامي فى نشر الاسلام واصلاح الامة وظهر ذلك ظهور الشمس فتوالت طعنات الاقلام ومقذوفات الاوهام في قلب الاسلام واصبح ذلك السلطان المعنوي القاهر بين يدي زنادقة الاوهام اسيرا فما وجد له من رجال التعليم معيناً ولا نصيرا الا نفراً يسيرا

كل هذا مما يدل دلالة قاطعة على ان هذه المدارس معدومة الفائدة اليوم وغير موءدية وظيفتها للعالم الاسلامي ومما يستلفت الانظار ويبعث على النظر في اسباب هذا الاختلال وفي طرق اصلاحه وهذا وذاك هو ما نعنيه بمقالنا والله الهادي الى ما فيه خير العباد

النظام الداخلى
للمدارس الدينية

لا اظن انه يوجد في العالم نظام مختل اختلال النظام الحالي في نحو الازهر الشريف

بل لااقول نظام ولكن اقول فوضى وهمجيه لم يلحظ فيها النظام ولو على انه مسلوب

ذلك لان الطلاب يفدون الى هذه المدارس يبعثهم اليها اباءهم حباً فى الدين ورغبة فى تعلم العلم وينفقون عليهم ما هم في اشد الحاجه اليه ويقاسون اشد اصناف التعب في مزاولة الاعمال الزراعيه مثلا لاخراج القوت مع شدة الاضطرار لان يعاونهم ابناءهم فى ذلك

فاذا ما جاؤها دخلوها همجاً بلا قائد ولا مرشد الى عمل من الاعمال · لايدرون ماذا يعملون · لامحاسب لا مراقب لاموقف على امر من الأمور اللازمة

فاذا ساقت الصدف للواحد منهم آخر من الطلاب الاقدمين اهل بلده او غيرهم ليعرّفه انه لابد ان يقدم (انتساباً) فعل والا ظل هكذا حتي تدور عليه الشهور والايام ويعلم ذلك بالصدفة ايضاً من طبيعة المخالطة

ثم فى باب الاشتغال بالعلم الذي هو مقصود سواء قدم انتساباً او لم يقدم لايجد دليلاً ولا مرشداً الى ما ينبغي ان يكون

عليه وماذا يسلك اولا وما هى المتون التي ينبغي ان يحفظها وما هي الاصطلاحات الجاري عليها العمل في التعليم والتعلم ولا يجد من يحاسبه على الاشتغال او عدمه وعلى سوء الاخلاق او عدمه وعلى الاستقامة او عدمها · بل هو بطبيعة الاختلاط يفهم ان تعلم العلم هو ان يجتمع القوم حول شيخ لِيلقِي عليهم كلا ما هو العلم من غير ان يعرف اشخاصهم ثم ينفضوا فاذا رأى ان امثاله يتوجهون لشيخ معين توجه معهم ثم انصرف متى انصرفوا وقد يمكث على ذلك اياماً بل شهوراً بل سنين من غير ان يعرف ما يقوله الشيخ · ذاك الذي لايلاحظ من عنده من الطلبة ولا يقول المناسب لعقولهم ولا يتعهدهم بما يصلح احوالهم واخلاقهم بل هو حظه ان يقول شيئاً من معلوماته بدون اكتراث لكي يقال انه قرأ كتاب كذا (او ابتدا فى الكتاب الفلانى) او لاجل ان يقال قرأ فقط · ولا يخفى ان الطلبة حينئذ في زمن طفولية ورعونة فتجدهم متي اجتمعوا كان اجتماعهم كل يوم مصدر التخاصم والتشاتم والتلاعب والتلاعن. وتعلم الاخلاق الفاسدة قبل ان يأتي الشيخ بل وهو جالس يقراء · واذا اراد احدهم ان ينتقل من هذا الشيخ

الى غيره انتقل من نفسه لااحد يشعر به اصلاً

فاذا ما غلب على بعضهم حب اللعب وصار ينقطع عن الحضور فى الدرس لم يجد من يقول له لماذا تتاخر واذا فسدت اخلاقه وتعلم السكر والزنا لم يجد من يردعه عن ذلك ويزجره ويريه ان ذلك قبيح

واذا ما وجد عند بعضهم التوفيق الالهي والاستعداد الفطري الى الاشتغال بالعلم حقيقة لم يجد من يساعده على ذلك اويرشده الى الكتب النافعة والخطة المفيدة بل لايزال هكذا في خبط وخلط وتشويش واخذ ورد حتى تساعده العنايه ويتحصل من نفسه على شيء من العلم بعد جهد جهيد وزمن مديد يتأهل به للامتحان

وبالجملة فان الطلبه في جميع الاحوال العلميه وغيرها موكول امرهم لانفسهم. وليس للعلماء من عمل الا ان يجلسوا بجوار اسطوانات المسجد ليأتى لهم من يأتى فيلقون اليه دروساً عقيمة لايبالون ان يفهم اولايفهم كما ان اتيان الطلبه لهم وعدمه باختيارهم وعلى وفق شهواتهم

وليس للمشيخة عمل الا انها في بعض الاحيان عند ابتدا الدراسة او عند انتهاءها تنادي على الطلبه باسمائهم فمن كان موجوداً اثبت ومن لم يكن حذف اسمه وقطعت جرايته وليس لها عمل قط في ان الطلبه غابوا عن الدروس اولم يغيبوا فهموها اولم يفهموا تقدموا فى العلم اولم يتقدموحسنت اخلاقهم او فسدت . وعلى الجملة فانها لاتعرفهم معرفة تربية قط ولا تعرف احداً منهم معرفة عليه الا من يأتي لها طائعاً مختاراً فى اخريات الزمان لكي تمتحنه امتحان التدريس

هذا هو مجمل الحال الآن فى نحو الازهر الشريف ولا شك انه حال سيء موءخر مفسد للاخلاق مضيع للعقول . حال لايقال فيه أقل من أنه الهمجيه الصرفه

فياحسرتي على هذه الآلاف الموءلفه من الانفس الضائعه المستعدة لاعلى مناصب الرفعه والعلو وعلى تلك الاغصان القابلة للنمو من الشبان الذين يفدون علي المدارس الدينية ليستفيدوا و يستكملوا فيضيعوا فى تلك الهمجية ولا يلبس استعدادهم ان يفسد وتتبدل معالمه وتنطبع فيهم ملكات الجمود والضعف والانحطاط وفساد

الاخلاق ونحو ذلك

ياحسرة و ياالف حسرة على هؤلاء الطلبة الذين يفدون على نحو الازهر الشريف ليتعلموا ولو وجدوا مرشدين كما ينبغي لخدموا البلاد ونفعوا العباد ونشروا العلم والدين ونصروهما ووجد منهم الحكماء والاساتذة ومن يأخذ بايدي الامم الى اوج الفلاح ومرتقى السعادة

ياحسرتاه على هذا الشاب المسكين الذي يبعثه ابوه الى نحو الازهر الشريف و يبعث اخاه الى مدارس الحكومة فلا يمضي على من ذهب الى المدارس السنتان او الثلاث الا وقد ذهب شوطاً بعيداً في العلوم والمعارف وكمال التعقل واتساع دائرة الفكر والالمام بالاحوال العامة وحسن الاخلاق وتمام الادب فى حين ان اخاه الذي ذهب الى الازهر لايزال (ولن يزال) كما هو او انحط الى اكثر مما كان لم يزد الا في الجسم. وتكون النهاية ان يكون عالة على اخيه الذي ذهب الى المدارس او يذهب ليكون من الزارعين في الحقول

كم من شاب زكي فى نحو الازهر ضاع سدى بسبب

الاهمال

كم من شاب بعثه ابوه وهو في اشد الحاجه لان يعاونه فخاب ولم ينجح الا في حب البطالة والكسل والرفاهية التي لاتجعله ان عاد ثانياً الى ابيه قادراً على الاشتغال بما يشتغل به ابوه فيكون مثله كمثل الغراب

كم من شاب جاء لنحو الازهر وهو في غاية الحياء كانه العذراء فتعلم فيه الهمجيه والوقاحة وقله الادب والغلظة

كم من شاب جاء لنحو الازهر وهو في تقوي وخشوع فتعلم الفسق والفجور بل وشرب الحشيش والخمور

كم . كم والى متى اقول كم وكم في هذا الباب كثيرة لاتحصى وكلها من نتائج اجتماع الشبان المتماثلين بلا قائد ولا مرشد ولا موءدب وبلا عمل مشغل او متعب

على اني لااحتاج في هذا الباب الى اسهاب ما دام امر الطلبة اصبح معلوماً الى درجة اتخذ صبيان مصر معها كلمة (مجاور) سخرية ومهزأة وصارت عنوان الانحطاط حتى كأن الطالب (المجاور) ليس من الصاعدين الى افق الانسانية بل ولا

الحيوانية فاننا لانجدهم يسخرون من الحيوانات العجم كما يسخرون من المجاورين • كانهم هم الجنس الدنيء المزدرى المحتقر وكان ينبغي ان يكونوا الجنس العالي المحترم الذي يتشرف بالانتساب اليه اذ لاشرف من الانتساب الى العلم

ولو نظرنا بعين التامل في احوال الطلاب وصفاتهم لوجدنا للناس بعض الحق فى هذا التحقير ولكن ليس على الطلاب ذنب في ذلك التقصير الموجب للتحقير ولكن المسئولية على اولئك الروءساء فبئس ما كانوا يصنعون

ولئن تساهلنا وقلنا ان هذا التحقير لايعم سائر الطلاب رأينا ان اكثر الفريق المزعوم خروجه من هذا الباب هو من تئن البلاد وتشكو منه مر الشكوى واعني به فريق الازكياء الذين عاقتهم الهمجية الازهرية عن ان يستفيدوا من زكائهم ويبلغوا كمالهم فتحول استعدادهم الى الخير كمالا في الشر وانقطعوا عن طلب العلم في البلاد يفسدون و يوجدون القلاقل حتي صار من الشائع ان كل فساد ظهر في البلاد لو بحث وفتش عن سببه ومصدره لكان احدالطلبة المنقطعين* هوءلاء هم طلاب العلوم

الدينية . هولاء هم الذين كانوا ينبغي ان لا يضاهو في علو الاخلاق وحسن الاستقامة وعلم الحكمة

لو سألنا الجرائة على انتهاك حرمات الله اين تسكن لاشارت الى ادمغة كثير من الطلاب الذين لاياخذون احكام الشريعة الا ماخذ التصور والمعرفة الظاهرة دون التاثر والانفعال عن العلم ومن هذا لانجد احداً من اكثر طلاب العلم يزيد اعتقاده او علمه اكثر مما اخذ عن اباءه في بلده . واني لأعرف اقواماً من العلماء لا تزال لهم لحنات في بعض اركان الصلاة منذ طفوليتهم لم يؤثر عليها العلم تأثيراً ما

فلمثل هذا الحال الداعي الى الوبال ينبغي ان تسترسل الدموع الغزار من اعين الاحرار اهل الغيرة على انفسهم وملتهم وامتهم ولملافاة هذا النقص ينبغي ان تستلفت الانظار وتتحول الافكار والله هو الهادى الى الى الصراط المستقيم

معارف الطلبة العمومية

كان من نتيجة هذا النقص ايضاً نقصان درجة المعارف العمومية التي تليق بالانسان في هذا الزمان . فمن البديهي ان الشخص لا يمكنه ان يعيش عيشة راضية في هذا المجتمع الانساني الحاضر الا اذا ألم بكثير

من احواله واوضاعه الجديدة . ولكن طالب العلم يجهل كل شيء من هـذا القبيل حتى انـه يجهل طـرق المواصلات ودخائل البلاد واصطلاحات الناس ورسومها بل وانواع الغذاء وضروب المعيشة وحاجياتها ولا يدري اكثر المكتشفات اللازمه وهو محروم من الانتفاع باكثر الاشياء التي قدمت الانسان ونفعته منفعة تامة

مسكين هذا الطالب الذي يجهل ما بين يديه وما خلفه وما عن يمنه وشماله وما فوقه وتحته ولا يزال في بيت مظلم من الاوهام سارح البال مديم التفكر والاجتهاد في اشياء بسيطة وامور خيالية او لفظية كان من السهل الحصول عليها فى وقت قريب وامضاء باقي الزمان فى ما ينفع

معيشة طلاب العلم

يعيش طلاب العلم فى المدارس الدينية معيشة سيئة خشنة ليس فيها شيء من حسن انتظام . معيشة تمثل الهمجية وتشير الى الجمود والانحطاط وتبتعد عن اثار العقل التي ينبغي ان تكون حال الطلاب

ولست اقصد انهم ليسو في بسطة من العيش وثروة تحقق لهم

اسباب الترف والرفاهية البالغة · فان ضيق العيش وعدم الثروة لا ينافى احسان المعيشة وترتيبها على وجه يحصل شيئاً من السعادة والهنا · ولنذكر مثالا لذلك حالهم فى المسكن والملبس والغذاء

فاما مساكنهم سواء كانت داخل المدارس او خارجها فهي من اقذار المساكن لا تعرفها النظافة وليس فيها شيء من معنى الترتيب في الامتعة المودوعة بها ومع هذا فلا يوجد عندهم تألم من ذلك ولا شعور بحب النظافة على ان تنظيفها لا يكلفهم شيئاً من المال ولا كثيراً من التعب وهكذا الحال في ملابسهم واجسامهم فهم غير مبالين لتنظيفها وان كانو فى سعة تمكنهم من ذلك ولهذا لا يكاد الانسان يستطيع الجلوس بجانب اكثرهم ايام الحرارة لا يسكن (البق) الا في مساكنهم ولا يتولد القمل الا في ملابسهم ولا يتفجر العرق المنتن الا من مسام اجسامهم · كل هذا ولا مرشد يرشدهم الى وجوب التنظف ولا مقنع يقنعهم بوجوب الخروج عن هذا الحال السيء ولا عذر لهم في ذلك الا انهم جبلو عليه لان الفقر لا ينافى النظافة

واما الغذاء فهم لا يراعون فيه القوانين اللازمة فتجدهم يميلون الى اكل البصل والكراث والفول (المدمس) وهذه الاشياء

ان لم تضر بالصحة فانها تغطي العقل وتولد البخار المؤذي وذلك لا يليق بطالب العلم الذي يحتاج الى صفا الفكر وجودة القريحة

وهناك من الاغذية ما لا يزيد عن هذه في القيمة وهو احسن منها واوفق لهم. ومع هذا فهم ياكلون الى نهاية الامتلاء ويشربون كثيراً بلا نظام ثم يطالعون الدروس لكي يفهموا ويتعلموا أفمع هذا يمكن ان يصلوا الى شيء حسن من التعلم والفهم

آداب الطلاب

لا يكاد الانسان يحصي ما يأتيه الطلاب من الامور المغايرة للآداب والمنافية للذوق سواء في معاملاتهم او مشيهم او جلوسهم او عباداتهم او تلقيهم للعلم وذلك كتقذيرهم للمساجد التي يكونون بها بحيث لا يبالون ان يلقوا المواد المخاطيه وبقايا الاكل تحت فراش المسجد او في (صحن الجامع) ووضعهم للمصاحف وكتب العلم بجوار (المراكيب) ولغطهم وعدم انصاتهم وقت خطبة الجمعه ونومهم على بطونهم امام الاساتذة في الدروس وميلهم الى الرعونة والطيش وتصفيقهم وصفيرهم عند اقل حادث وادنى اضطراب الى درجة كانت تجعل قلوب رؤساء

هذه المدارس خافقة حين يشرفها مولانا الخديوي المعظم خوفاً من ما عساه ان يخل بالنظام وكل هذا مشهور معلوم فلا حاجة لان نطيل به المقال

المعتقدات العامة

للطلاب

— ما اشقى طلاب العلم اليوم وأبعدهم عن الحقائق وما اشد استيلاء الاوهام عليهم وكيف لا وهم لا يزالون يعتقدون كثيراً من الاراء القديمة الوهمية التي وضح بالبرهان القاطع انها غير صحيحة من مثل ان الارض بسيطة لا كروية وانها محمولة على ثور وان السحاب جسم متماسك له خراطيم ياخذ بها الماء من البحر ثم يلقيها حيث شاء الله وان ماء المطر ينزل من السماء الى السحاب

— وانا بنفسي كان يعلمني استاذنا ان الشمس حين تغرب تصعد في السماء لكي تسجد عند العرش ثم ترجع فتظهر وان سواد القمر هو كلمة جميل مكتوبة فيه وان القمر لا يزال يسجد كل ليلة فيزداد نوراً الى ليلة التمام فيتكبر ولا يسجد فلا يزال ينقص نوره الى آخر الشهر

فيؤخذ ويرمى فى جهنم ويؤتى بقمر غيره الى غير ذلك من الخرافات والمعاني الوهميه التي لا تزال سائدة على افكار الكثيرين من اهل الازهر

ومن هذا اعتقادهم ان الحكماء اليوم دجالون وان الامور الطبيه الحديثه فاسدة وان اكثر المخترعات والمكتشفات بسبب ظهورها من الافرنج فاستعمالها يكون من علامات التفرنج وان كلام الجرائد كذب وان جميع ما اخذوه عن من قبلهم فهو حق الخ الخ الخ

الحالة العمومية

الحال العام الذي يغلب على طلاب العلم هو الجمود وعدم الميل الى الاخذ بشيء من المستحسنات العصريه والجهل بكثير من الضروريات والعلوم النافعة والغلظة فى الطباع والخشونة في العيش والاهمال في الآداب والامور الصحية والتمسك بالافكار والاحوال والعادات القديمة الى درجة تجعلهم مباينين لاهل هذا الجيل واحط منهم في كل شيء وتسلبهم الكفاءة لان يكونوا من اهل هذا العصر حتى تكاد ان تكون النسبة بينهم و بين ما ينبغي ان يكون عليه كالنسبة

بين سكان صحاري افريقية و بين اهل الاستانة العلية

ثم هم بعد ذلك ينقسمون الى قسمين الاول من يميل الى الشدة فى التعبد وربما وصل الى درجة الوسوسة و يكثر من زيارة الاولياء و يتفاءل و يتطير بمقال المجاذيب الخ الخ والقسم الثاني من يبقى فى هذا ايضاً على حاله الاول فهو لا يترقى بحال من الاحوال في عمل من الاعمال وان كان ولا بد فليكن متقناً لنكات النحو ومسائل الفقه وغير ذلك لا يزيد

الطلاب المتمدنون

هناك وراء ذلك كله قسم صغير جداً من الطلاب اهل مصر وابنا الاغنياء من الاقاليم شغلت اعينهم بمظاهر التمدن والتقدم التي يرون عليها تلامذة المدارس ومتخرجي مدرسة دار العلوم والموظفين واهل العمائم المتمدنين ورأوا احتقار الناس للطلاب العلم الازهريين فعافت نفوسهم ان يكونوا على ما عليه جمهور الطلاب وو جدت عندهم فكرة قديم وجديد وغلظه وذوق وانحطاط وتقدم واحسو بان الرائج فى سوق التفاخر والاحترام انما هو تقدم وذوق وجديد او (موضه) فاندفعو في هذا التيار واتخذوا كثيراً من المظاهر والاحوال التي من

شأنها ان تميزهم من جمهور الطلاب وتلحقهم بفريق اصحاب الذوق المتمدنين ولكن من الاسف ان هولاء على حالهم هذه لا يقلون في النقص عن الجمهور بل ربما كان نقصهم اكثر وضررهم اشد

ذلك لانهم اولا اكتفو من تقليد المتمدنين والمتقدمين بالقشور الظاهرة مع ترك اللب والثمرة المقصودة فتجد اكبر همهم ان يلبسو الطرابيش الرقيقه ذات الازرار الحريرية الزرقاء ويبنو العمائم على اشكال هندسية معوجة دقيقه ويتخذوا الاقبية ذات الالوان الحسنة والفانيلات المخططة والاحزمة المعقودة ويلبسوا الجزم ويمسكو العصي ويستعملوا (الكراريس) ويحملو محافظ كمحافظ المحامين ويشربو السكائر ويحلقو اللحى ويجلسو في القهاوي ويحسنو الاحاديث العامة من غير التفات الى تحصيل الفضائل او سعى في مطاردة الرذائل ولانهم ثانيا تغالوا في اتباع كل ما يرونه مظهراً من مظاهر التمدن في اصطلاح متمدني اليوم فوجد منهم من يجلس في المحلات العموميه التي لا يليق بطلاب العلم الجلوس بها ومن يحب التنزه ليلا في انحاء الازبكيه ومن يميل الى قضاء اوطاره الشهوانية. وقد كان من ذلك ما حكاه لي بعض الاصحاب قال بعثت ولدين لي الى الجامع الازهر

ليتفقهوا فى الدين ثم ذهبت لزيارتهم مرة فوقع نظري عندهم على زجاجة كبيرة (جمدانه) فسألتهم عنها فيها فقالوا (نبيذ) مفيد للصحة مقو للدم منور للفكر منبه للحواس معين على طالب العلم قال فلم يسعني الا ان احضرتهما معي الى البلد ليشتغلا بالزراعة وقلت حسبي هذا من (التفقه فى الدين)

ولانهم ثالثاً كرهوا كل قديم وان كان حسناً واحبوا كل جديد وان كان قبيحاً ومال المتنورون منهم الى الثقة بالفكر وانكروا كثيراً من الحقائق ووقعوا في كثير من الخطأ واجروا حكم كلمة (قديم) على كثير مما يجب الاخذ به بل على اصل الدين ولبه وعماده حيث جعلوا الصلاح والتقوى من مناقضات التمدن والتقدم وجعلوا قبلتهم شيئاً من الزكاء والتنور يدور على الثقة بالفكر والغرور بالنفس والتشنيع على القدماء فى سائر ما كانوا عليه. وضرر هذا الحال على الدين ومستقبل المدارس الدينية ضرر شديد لانه متى تفشى ونما هذا المبدأ بين الطلاب (وهو ما لانخاله الا حاصلاً) فقدت الروح الدينية من نفوس الطلاب اجمعين وكان مستقبلهم مستقبل تلامذة متنورين او طلاب فلسفيين

لاطلاب للعلوم الاسلاميه وتلامذة يستعدون لان يكونوا أئمة الدين الاسلامي

وكل هذا انما نشأ من عدم تصور الغاية من التعليم الازهري مع انحطاط حال الطلبة والوجود مع من يشهر عنهم التقدم ويخصوا بعبارات الاحترام دون الطالب الازهري فى بلد واحد واعني بهؤلاء فريق المتمدنين من اهل العمائم والموظفين وتلامذة المدارس وعلى الاخص مدرسة المعلمين

نتيجة التعليم في المدارس

الدينية

يفد الطالب الى هذه المدارس وسنه خمس عشرة سنه على الاكثر ويمكث فيها عشرين سنة على الاقل يتعلم فيها الفقه والتوحيد والتفسير والبلاغه والحديث والنحو وماذا يكون حاله بعد هذا العمر الطويل . يكون حاله انه ان سئل في الفقه قال حتى اراجع الكتاب واذا سئل فى معني آية او حديث قال حتى اراجع واذا قرأ او كتب او تكلم لم يمكنه ان يلاحظ اصول النحو في ما

يكتب و يقرأ واذا اراد ان ينشيء رسالة لم يمكنه ذلك . فهل فى الكون كله تاخر وفساد وعبث اكثر من هذا التاخر والفساد والعبث

طالب متفرغ للطلب يأتي الى مدارس كبرى مشهورة معمورة بالعلماء متوجة بتاج رئاسة عظمي (مشيخة اسلام) ويمكث هذه المدة ثم تكون نهايته كما نرى باعيننا من حال جمهور الطلاب الذين لايفرقون عن العامة البسطاء الا بمعلومات يكفى لتحصيلها شهر او شهران تالله ان هذا لهو العجب العجاب

يمضي الطالب عمره فى المدارس الدينية ثم لايترقي في العلوم ولا الآداب ولا العبادة ولا يقاس بغيره من جمهور الناس اليوم الذين تقدمو وارتقت علومهم بحيث ان وجد معهم كان اقل منهم في كل شيء ويكاد ان يكون اقل منهم في العلوم التي كان يتلقاها ايضاً . ما هذا الحال

لعمري ان هذا خلل واضح ونقص ظاهر ان قال قائل معه ان وجود هذه المدارس لافائدة فيه كان مصيباً بل ان قال انها مضرة ومؤخرة للانسان كان مصيباً . اي نعم لو قال هكذا كان

مصيباً لانه لو كان في القطر كله مدرسة واحدة صغيرة لايزيد طلابها عن الالف ولكنها على ما ينبغي في النظام والاستكمال لا مكنها ان تنشر العلوم الاسلاميه وتعمم التعاليم الدينيه وتوجد تاثيراً كبيراً وانقلاباً هائلاً في اخلاق الامة وآدابها واعمالها وقوة تمسكها بالدين

فلان قال قائل كيف تقول هذا ونحن نرى من بعض الازهريين اخلاقاً وعلماً وزكاة لايوجد في غيرهم اجبت ان هذا نتيجة استعداد بعض الاشخاص وما تتيحه لهم الصدف فما مثل اهل المدارس الدينيه الا كالذرية التي مات ابوها ولا مرشد لها فمنها من تساعده المقادير ويرث اباه في علمه وجاهه وسيرته ومنها من يصير حلاقاً او نحاساً او نحو ذلك او كبلد يضيق باهله لجدب فمنهم من يمكث فيه ويرضى بالضيق ومنهم من يرحل فاما يسر واما عسر

مدة الدراسة

يحددون في القانون الحالى مدة (١٢) سنة على الاقل للدخول في الامتحان ولكن من يتامل حقيقة الجاري وينظر الى الواقع يجد

اولاً ان من لايتجاوز الاثني عشرة سنة يعد من اندر النادر واكثرهم لايقل عن العشرين

ثانياً ان الداخلين فى الامتحان بعد هذه المدة الطويلة قد لاينجح منهم اربعون فى المائة

ثالثاً ان هؤلاء الذين يتقدمون للامتحان بعد حين انما يتقدمون بعد الانقطاع عن الدروس والاشتغال بالعلم فرادى وجماعات اشتغالا من جديد لاتذكراً لما مضى كما يفعل تلامذة المدارس

رابعاً ان الكتب المقرر دراستها تستغرق اكثر من (١٢) سنة ما دام امر التدريس كالجاري الآن

خامساً ان هذه الكتب وحدها لاتكفى لتحصيل القدر الواجب من العلم على الحقيقة

سادساً ان هناك من الطلاب من يمكنه ان يستغني عن بعض الكتب المقررة بمطالعتها

سابعاً ان المعلومات المقررة والقدر اللازم فى الامتحان يمكن تحصيله فى (٨) سنين فقط متى كان هناك عناية من

التلامذة والمعلمين

و ينتج من هذا اولاً ان المدة الموجودة الآن بل والمقررة ايضاً كثيرة جداً بالنسبة لما ينبغي وان المدة المقررة قليله بالنسبة للطريقة الحاضرة

ثانياً ان الطريقة الموجودة رديئه

وها انا اقول انني يمكنني ان اقدم تلامذة للامتحان يحصلون على الدرجات العاليه في مدة (٨) سنين على الاكثر متى خضعوا لشروطي وجروا على الخطط التي ارسمها لهم والله هو الفتاح العليم

مآل طلاب المدارس

الدينية

يوجد فوق السبعة الآف طالب في الجامع الازهر ونحو الاربعة الآف فى الجامع الاحمدي كلهم آتٍ للاشتغال بالعلم وكلهم مع اهله طامع فى ان يفتح الله عليه ويصير من العلماء وطريق تعليم الجميع واحدة ولكن الذي يتخرج من هذا العدد

العظيم كل سنه لايزيد متوسطه عن ثلاثة فى الالف

اما الباقون فانهم ينقسمون اقساماً الاول اقوام ينقطعون فى بلادهم لانهم لايجدون حلاوة العلم ولا يذوقون طعمه لصعوبة طرقه وعدم وجود مجبرين لهم على الجد والمجاهدة وهؤلاء هم الاكثرون

الثاني اقوام لايزالون من الطلاب حتى يموتوا بعد اعمار طويلة تضيع بلا فائدة

الثالث اقوام ينقطعون في بلادهم لاسباب حقيقية معاشية بعد ان يمضي عليهم من الزمن ما يكفي لان يكونوا من العلماء

الرابع اقوام ينقطعون فى بلادهم لاسباب معاشية قبل ان تمضي المدة الكافية لان يكونوا علماء

الخامس اقوام من ابناء الاغنياء واهل مصر (واولاد العلماء) يميلون الى (الذوقيات) ويغلب عليهم حب البطالة والكسل فلا يتنافسون الا فى انواع الفانلات واشكال العصي واصناف الطرابيش والحزم والمناديل الحريرية الخ وهؤلاء يصير امرهم الى ان يكونوا من النوع المسمى (اولاد البلد)

السادس اقوام تفتح لهم ابواب المكاسب ما بين خطيب وامام وقاري ومغني وتاجر الخ

والسابع اقوام يحبون عاجلة العلم فيذهبون لمدرسة المعلمين حباً في التقدم والتكسب والانتفاع من العلم

والثامن قوم يشتغلون بالعلم على اطراد املا في ان يكونوا من العلماء وهؤلاء كما علمت لاينتج منهم الا القليل والباقي ينقطع

و بديهي انه لاحاجة للامة في ان يكون كل او جل من يقصدون هذه المدارس علماء تضيق بهم الدنيا ما دام حال العلماء كحالهم اليوم لالهم مرتبات تكفيهم ولا هم يتعلمون ولا يعرفون شيئاً من طرق المعاش

ولان كانت الطريقة الحاضرة الهمجيه كافية هذا الشر فأرى ان من ما لايجوز ايضاً ان يقصد الطالب هذه المدارس بغية الحصول على شيء ثم يمكث فيها هذه المدة الطويلة ثم لاينال هذا الشيء ويخرج حيث تكون ابواب المكاسب واسباب الجاه والترقي قد قفلت امامه و يكون قد اضاع كل شيء . بل الواجب عليها بازاء ذلك اما انها لاتقبله اصلاً لكي ينظر له باباً آخر او تقبله لاجل معين

بقدر ما يتفقه في الدين واما ان تسعى جهدها في سبيل حصوله على مأربه وهو وشأنه بعد اذ

ومن هذا فاني ارى اولاً ان من الواجب على المدارس الدينية السعي وبذل قصارى الجهد فى سبيل حصول طلابها على الغايات التي يقصدونها

ثانياً ان من الواجب جعل التعليم مرتبتين او اكثر

فالاولى غايتها التفقه وتحصيل البصيرة في الدين ومدتها لا تزيد قط عن ثلاث سنوات او اربع على الاكثر

والثانية يقصد منها الوصول الى درجة العالمية ويحسن ان تكون هناك ثالثة بينهما غايتها كالذي يسمونه الآن شهادة الاهلية

وان يجعل لكل مرتبة نظاماً خاصاً فيما يتعلق بطرق التعليم ومواده الخ الخ

ثالثاً ان يدخل فى تعليم العلماء وغيرهم ما يأهلهم لان يطرقوا ابواب المعاش الشريفة التي تليق بامثالهم

الاصلاح اللازم

بعد ان يكون الحال على ما وصفت فلا يسع من عنده ذرة من العقل ان ينكر ضرورة الاصلاح والخروج من هذه الحال التعيسة الهمجية المؤخرة ومن الحماقة والجهل وسوء الحظ ان يوجد جمهور عظيم من العلماء يعارض كل اصلاح و يحافظ على مبداء (القديم على قدمه) و يبذل في ذلك غايه الجهد وشديد الاهتمام

ضرر هؤلاء الذين يقفون عقبة في طريق كل اصلاح و يجمدون على حال واحدة والخطر على الدين من جانبهم يزيد او يساوي خطر من يخرجون بالدين عن وضعه او يدخلون فيه الدسائس والاكاذيب او يعملون لمحوه او اضعافه بالقوة او بطرق المصانعة والاحتيال

ما اشبه هؤلاء القوم برؤساء الاديان الذين كانوا يعارضون الانبياء عند ظهورهم بدين جديد تمسكاً بالقديم من حيث هو من غير نظر ولا برهان وتالله لو كان هولاء عند ظهور شمس الرسالة موجودين لكانوا اول المعاندين والمعرضين عن رسول الله

على انه وان فرض التماس المعذره لمن جري في هـذا التيار بمقصد حسن ونية سليمة فلن يجوز التماس العذر لفريق المكابرين الذين يغمضون اعينهم عمداً لكي لايروا المشاهد المحسوس لاغراض سافلة ومقاصد دنيئه لايليق ان تكون حال رجال العلم وأئمه الدين

ماهو الاصلاح اللازم

لاكلام في وجوب الاصلاح على ما علم مما تقدم وانما الكلام في ما هو الاصلاح اللازم وما هو طريق تنفيذه فقد يرى بعض الناس وجوب الاصلاح ولكن يبين هذا الاصلاح الواجب بالجري على طريقة تساوي الاولى في الضرر او تساويها وقد يرسم لها بعض الناس خطة حسنة وعند تفيذها تحصل على غير ما يريد وتكون كالصخرة التي تحرك لتقف عند نقطة معينة فتزيد في حركتها عن المقدار المطلوب وقد يري بعضهم طريقة للتنفيذ تخل باصل المقصود تأتي باضرار جمة فيكون مثله كمن يرى تنظيف اناء قذر فيشرع في تنظيفه بكيفية ينشيء عنها كسره وتطاير قطع منه الى عينه فتقلعها والى صدره فتدميه

اقتراح في معرفة طرق الاصلاح

وبناء على هذا وان العصمة لاتكون الا للأنبياء فاني اقترح قبل ان ابدي رأيي ان لايعمل فى هذا الموضوع المهم برأي واحد ولا فئة مهما كانت القوة والاقتدار وان يشكل لهذا الغرض مؤتمر علمي عام من جميع طبقات العلماء صغيرها وكبيرها نعرض فيه الافكار وتتبادل فيه المباحث والتدقيقات وتقبل فيه الآراء والانتقادات من سائر طبقات الناس وان تكون موضوعات ابحاث هذا المؤتمر شاملة لجميع ما جاء في هذا الكتاب فاني لااعول على رأيي وحدي ولا اثق بنفسي ولا الزم الناس ان يعملوا بما يظهر لي قبل البحث والتدقيق ومن ذلك ايضاً هذا الاقتراح

رأيي في الاصلاح

لااريد ان اذكر تحت هذا العنوان جميع ما اراه في الاصلاح العام فذلك موزع على فصول الكتاب وانما اريد ان اذكر اجمالياً ما يختص بالنظام العمومي للمدارس الدينية الذي كان

بدأ المقال فيه وهو ينحصر على سبيل الاجمال فيما يأتي

اولاً ايجاد نظام يقضي بان الطالب الجديد حين يفد يسلم لمن يتعهده و يعطيه المعلومات اللازمة للمبتدأ و يوقفه على الاصطلاحات والرسوم المتبعة والآداب اللازمة والكيفية الجارية في التعلم والتعليم و يرشده الى المتون التي ينبغي ان يحفظها والكتب التي يشتريها واثمانها و يعرفه عادات البلد التي يقطنها من نحو مصر وطنطا واصطلاحاتهما الخ الخ الخ

ثانياً انشاء قسم داخلي يمكن معه للآباء الاغنياء ان يرسلوا ابنائهم و يكونو مطمئنين عليهم في امر السير والتعلم ملافاة لما يحصل الآن من ان اكثر الآباء يرسلون اولادهم وبسبب عدم وجود ولاة معهم تفسد اخلاقهم ولا يستفيدون علماً وتكون العاقبة سوءاً جداً . وهذا من الاسباب التي اعدمت الثقة بمستقبل طلاب الازهر وجعلت الاغنياء لا يرسلون واحداً من اولادهم للازهر الا في نادر الاحوال

ثالثاً ايجاد مراقبة كافية لجميع الطلبة تمنعهم من الخروج عن دائرة الاستقامة

رابعاً ايجاد الوسائل التي يمكن بها معرفة الذي يواظب والذي ينقطع

خامساً اما توزيع الطلاب على الاساتذة ليكون كل استاذ مسئولاً عن طلبته يراقبهم ويرشدهم ويعطيهم النصائح والتعاليم اللازمة ويسلك بهم مسلك التربيه العاليه ويوصلهم الى غاية الكمال من اسهل الطرق واقرب المناهج

واما ان لايقرأ احد شيئاً الا ما تقرره له اللجنه العلميه ولا ينتقل احد من استاذ الى آخر الا باذن مع تحتيم مراقبة كل استاذ لجميع احوال طلابه والامر الاول هو الاولى

سادساً تعيين لجان لمراقبة الاعمال العلمية وتوزيع الطلاب على الاساتذة ومعرفة ما يناسبهم من الكتب والاشراف على اعمال العلماء الخ الخ

سابعاً الاعتناء بتهذيب الاخلاق وتعلم الآداب

ثامناً بيان الغرض من الدين وبيان الحاجة اليه والحث على التمسك به وتعريب مسائله من العقول وبيان الكمال الذى ينبغي ان يكون عليه المسلم فى العصر الحاضر بالنسبة لامري الدنيا والآخرة

تاسعاً الاعتناء بتربية العقل الراجح الواسع الكبير وتنويره كالاعتناء بتربية ملكات الفنون وتحصيل مسائل العلوم

عاشراً الاعتناء بتصوير الكمال الذي ينبغي ان يصل اليه ويكون عليه الطلاب والعلماء وبيان من هو العالم وما هي وظائفه الخ الخ

(١١) حث الطلاب ومساعدتهم على الاستطلاع والاختراع والتفنن ومعرفة نظامات الاشياء وحقائقها والالماع الى الاحكام والشرائع والديانات التي في العالم ومعرفة حقائقها ومقاصدها وحكمها الخ الخ الخ

(١٢) الافاضة في سبب انحطاط المسلمين اليوم وتاخرهم ودراسة التاريخ الديني ومعرفة كيف نشأ وكيف افترق اهله ومنشأ الاختلاف ومضاره الخ الخ الخ

(١٣) تطبيق العلم على العمل وجعل التعاليم منطبقة على الامور الحاضرة وعلي حاجيات الزمن ولوازمه

(١٤) عقد لجان تنظر في المسائل الخرافية والوهمية المستفيضة بين الطلاب خاصة والناس عامة وتنشر نتائج عملها بين

الطلاب

(١٥) ايقاف العلماء والطلاب علي نظامات الاور باويين واليابانيين والصينيين وغيرهم في تربيتهم ومعارفهم واعمالهم ومنازلهم ومعاشهم وداخلياتهم وخارجياتهم وعوائدهم ومشاربهم واعتقاداتهم واميالهم الخ الخ الخ

(١٦) تعويد الطلاب على النظام وتعيين اوقات محدوده للعمل واخرى للاكل واخرى للفسحه وتمرينهم على النظافة واعطائهم الاصول والقوانين الصحية الخ

(١٧) تربية الملكات الروحانيه الدينيه وتنمية الشوق الى العالم الاعلى في نفسهم

(١٨) بيان ان التدين لاينافي التمدن والاخذ بكثير من الامور المخترعه والامور المكتشفه

وبيان ما يوافق الدين وما لايوافقه من الاحوال الحاضرة والمكتشفات الجديدة والمدنية الحديثة

(١٩) العمل لمحو سلطان العادة من قلوبهم وتعويدهم علي مبدأ (لاتقدس العادة ولا تثق بفكرك)

(٢٠) تعهد الطلاب في غير اوقات الدروس اما من اساتذتهم واما من سواهم

(٢١) تعيين اوقات يخرجون فيها للرياضة مع اساتذتهم بنظام محكم وتكون هذه الاوقات للتذاكر في الامور العامة والآداب والاستفادة من احوال الناس على اختلاف مشاربهم

(٢٢) انتخاب كثير من العلماء والطلاب لكي يزوروا المدارس العالية ويشاهدوا نظامها واحوال تلامذتها واساتذتها

(٢٣) ترقية شوؤن التعليم بتكثير مواده وتعديل طرقه واحكام ترتيبه الخ الخ

امتحان الطلاب

الامتحان هو الوسيلة الوحيدة لتقدم العلم وحمل العلماء والطلاب على القيام بالواجب فضلاً عن ما فيه من تمرين الطلاب على المجاهرة بالعلم ولو فى مجالس الكبراء وعدم استعمال الحياء فى غير موضعه فكثيراً ما نرى قوماً هم كنوز العلم ولكن لاينتفع بهم لما فيهم من الحياء المتجاوز حده. ان الطالب متى علم ان امامه امتحان سيعرض عليه هو وامثاله جد واجتهد خوف ان يفوقه احد

منهم او يعلم اهله بخذلانه وتقهقره. وكذا العالم متى علم ان تلامذته سيختبرون مع تلامذة غيره وتظهر نتيجة حسن تعليمه او فساده الموجبة لمدحه او ذمه جد وثابر ولم يأل جهداً فى ترقية شؤون طلابه العلميه

كثيراً ما ينتقل الطالب من كتاب الى ما هو ارقى منه حباً في ان يقال (يتلقى كتاب كذا) مع عدم اهليته له ويكون المآل فشله وعدم نجاحه في الثاني كالاول فيضيع عمره دون ان يتحصل على شيء نافع من العلم. والامتحان اقوى مانع يمنع من الانتقال من شيء قبل اتقانه او الى شيء قبل التاهل له

بالامتحان يتحصل الطلاب في سبع سنين على ما لا يتحصلون عليه الآن فى ضعف هذه المدة

بالامتحان يقل جداً عدد الذين لم يتحصلوا على غاية حسنة من التعلم وهم يعدون الآن بالالوف. لا ينكر فضل الامتحان العمومي الا جامد لا يميز بين الضار والنافع ولا يعرف الى اين يسير. لو بحث باحث حال الازهر اليوم وجد فيه جموعاً كثيرة ممن شابت ناصيتهم في الازهر ولم يتحصلوا على شيء يذكر من العلم الى

حد اوجب يأسهم في انفسهم من الوصول الى غايته ولكنهم يريدون ان يمضوا باقي حياتهم فى الازهر خوفاً من العار واستدراراً للجرايه حيث لامورد آخر ولا صناعة . وهؤلاء وان وجب على كل انسان ان يرق ويرثي لحالهم لمزيد فقرهم لكن لو كان هناك امتحان عمومي امنا ان يوجد امثالهم ممن لايحصلون على شيء ويضيعون اعمارهم بلا فائدة لهم او للناس ويضايقون اهل العلم الحقيقيين فى ارزاقهم التافهة (الجراية)

قد يكون احد الناس محتاجاً لابنه ليساعده فى شؤون المعيشه ولكنه يفضل ان يبعثه الى الازهر وان ينفق غايه من كده وتعبه ما هو في اشد الحاجة اليه ولكن مع هذا قد يمضي على الابن عشرات السنين وابوه منتظر بفروغ صبر ظهور النتيجة ثم يظهر ان الابن لم يكن يشتغل بالعلم وانه لم يحصل على شيء يذكر فلو كان هناك امتحان عمومي متكرر امكن الوالد ان يعرف ان ابنه يرجى له النجاح اولاً ويكون عنده علم حقيقي بدرجة معارفه ليكون له الخيار في ان يبقيه او يأخذه ليساعده

وبالجملة ففوائد الامتحان العمومي كثيرة جداً وظاهرة لدرجة

لاتجعل لمن معه شيء من العقل شبهة في وجوب العمل به وتنفيذه

ومن اجل هذا فانى ارى اولاً انه لابد من تقرير امتحان عموى للطلاب ان لم يكن في السنه مرتين فيكون مرة على الاقل

ثانياً ان تراعي الاساتذة الذين يتلقى عنهم الطلاب ليعرف من يحسن التعليم ومن لايحسنه

ثالثاً ان لايترقي الطالب الى كتاب اعلى الا ان اقرت لجنة الامتحان على استحقاقه ذلك

رابعاً ان تجعل جزآت لمن يسقط في الامتحان ولا يكون منها عقوبة القطع على الاطلاق مراعاة لكون هذه المدارس عموميه وان هذا يوجب تخربها الآن

خامساً ان ترتب جزآت لمن يظهر ان تعليمه غير منتج واري ان تكون ادبيه محضه وان يلاحظ فيها التحقيق

سادساً جعل امتيازات العلماء والطلاب (وفي مقدمتها الجرايه والمرتبات) بنسبة النجاح في هذا الامتحان بقطع النظر عن السن وطول المدة

باب العلوم

العلوم التي لابد منها للعلماء وطلاب العلم تنقسم الي قسمين (مقاصد) وهي العلوم الدينية (ووسائل) وهي علوم اخر لابد منها ولا غني عنها وتحت كل قسم انواع كثيرة ولكنهم الآن يقتصرون في كل من القسمين على بعض الانواع ثم يجرون فى دراسة ما اقتصروا عليه على طريقة لاتفى بالغرض المقصود منه ونريد ان نبين هنا جميع العلوم والمقادير اللازمة منها وما ينبغي فيها مبتدئين بالمتداول المشهور منها وهو الفقه والتفسير والحديث والتوحيد والبلاغة والاصول والنحو (ومنه الصرف) والمنطق متبعين ذلك بغير المتداول او المتداول الغير المشهور وذلك هو علم الدعوة الاسلامية وتهذيب الاخلاق والتصوف والقرآن والتاريخ والجغرافية واللغات الاجنبية والحساب والهندسة والانشاء والعروض ومتن اللغة وعلوم حقائق الموجودات وخواصها واسرارها فنقول ومن الله نرجو القبول .

الفقه

الفقه هو اعظم العلوم عناية في المدارس الدينية لانه يشغل نصف مدة الدراسة تقريباً بحسب الترتيب الاصلي ولكن مما يوجب الأسف ان النتيجة التي تحصل بعد هذا العناء لاتستحق ربع هذا الزمان اذ بعد ان يكون العالم قد اشتغل بالفقه تعلماً من يوم طلبه ليوم تدريسه وتعليماً من تدريسه الى ما شاء الله لو سالته عن كثير من المسائل لقال حتى اراجع مع ان ذلك نقص واضح وسببه عدم سلوك الطريق اللازم في دراسة الفقه اذ هذا العلم الآن من العلوم النقليه الصرفه التي لاينفع فيها الا الحفظ مع تفسير المحفوظ بقدر ما ينبغي

اكثر الصعوبه في الفقه انما جاءت من عبارات المؤلفين وابداعهم المعاني الكثيرة في الجمل القصيرة . فقراءة هذه الكتب واجهاد الفكر في تصور معانيها ثم تركها وفهم غيرها لايجدي ابداً وما الانسان فيه الا كمن يشغل وقته بالصيد ثم كلما اصطاد شيئاً افلته

طالب العلم بدل ان يشغل هذه الاوقات كلها بالفقه اعني

ساعتين فى اول النهار للتلقي وساعتين اخري للمطالعه من كل يوم من ايام اشتغاله على طولها ثم يخرج بلا نتيجه . يكيفيه ان يحفظ متنا كبيراً لاياخذ منه اكثر من زمن مطالعة الفقه في السنه الاولى ثم يحضر شرحاً له مرتين على الاكثر في سنتين اخريين وشرحاً كبيراً مرة فى سنتين ايضاً فيكون في هذه المدة قد تحصل من الفقه على ما ليس عند المشتغل به على طريقتنا اليوم ثلاثين سنة . ويكون له من اوقات الفقه الباقية ما يكفى العلوم المتداولة الآن جميعها

هذا واني ارى ان الاقتصار على تعلم مذهب واحد نقص لايليق بالعلماء الآن لان تعلم العالم ليس الغرض منه ان يعمل فقط بل وان يعلم غيره و كثير من غيره على غير مذهبه وربما لم يجد سواه ليساله او كانت ثقته به اكثر فالاقتصار حينئذ على مذهب واحد بمنزلة تعلم ربع الدين فقط ولو كان الامر صعباً لكان لنا من العذر ما يسوغ هذا النقص ولكن الامر سهل جداً وما هو الا ان يوضع متن تبين فيه المذاهب الاربعه ولو بطريق الرمز على وجه سهل مثل ما فى الشاطبية ثم

يشرح شرحين مختصر ومتوسط ويحال في الاطناب على الكتب المختصه بكل مذهب و بهذه الواسطة يمكن الطالب ان يتقن المذاهب الاربعة في خمس سنين وهو الآن يشتغل طول عمره بمذهب واحد ثم لايتقنه

هذا واني لتعتريني دهشة شديدة واستغراب عظيم كلما تذكرت حال علمائنا المتخرجين اليوم وجهلهم الشديد بعلم الفقه وعدم عنايتهم به لاتعلما ولا تعليما وذلك انه بمجرد ان تنتهي سنو الطلب الاولى يترك المتنورون هذا العلم ويقصرون جدهم واشتغالهم على العلوم الاخرى كالمنطق والاصول والبلاغة استعدادا للامتحان الذي لايعول فيه الا علي مثل هذه العلوم دون الفقه والحديث والتفسير ثم هم متي نجحوا فيه تركوا تعليم الفقه ايضاً واظهروا براعتهم في تعليم المنطق والنحو والبلاغة . ولا ابالغ ان قلت ان بعضهم لايعلم من الفقه جميع ما يلزم له في عبادته اليومية وبئس هذا النقص الواضح والخلل الفاضح الذي لادواء له الا الاعتناء بالفقه في الامتحان واعتبار التحصيل

التفسير

من الواضح الجلي ان التفسير من اهم العلوم الدينية التي يجب ان يكون العلماء فيها على مكانة واطلاع تامين بل من العلوم التى يجب ان ينشروها بين المسلمين كافة ليكونوا منها على بينة

اذا كان القرآن اصل الدين وكتاب الله الذي يخاطب به المسلمين في كل زمان . واذا كان من العبث البين بل مما تأباه نفس كل انسان مهما كان منحطاً في مراتب التعقل ان يأتيه كتاب (جواب) من احد الناس ثم لايفهم معناه ولا يعرف ما يشير اليه (ولذا نرى الاميين يقصدون القراء كي يقرأوا الكتب الواردة لهم وقد لاتكون ذات فائدة). اذا كان الامر هكذا فكيف يجوز ان لايعرف واحد من المسلمين فضلا عن علمائهم معنى هذا الكتاب الآلهي بقدر ما تسمح به معارفه و يناسب حاله ودرجة فكره

اليس من المحزن ان يتهاون علماءنا اليوم في تعليم هذا العلم ونشره مع الحاجة الشديدة اليه واليس من المخجل ان يدرك هذه الحاجة واحد ليس منهم كحضرة (فريد وجدى) فيقوم بنشر تفسير بطريقة سهلة وهم غافلون عن مثل هذا المنهج الشريف

بل اليس من العار الاكبر ان يتهاونوا في تعلمه والاعتناء به حتى ان اكثرهم يجهل معاني كثير من آيات التنزيل وربما كان يكررها كل يوم فى صلاته ولو سئل عن آية في محفل اكان في الاغلب متردداً بين حالين اما ان يقول ما لايعلم او يقول لااعلم وبئس الحالان

ذلك لانهم جعلوا هذا العلم من العلوم الثانوية التي ليس لها حصص مقررة بل هى بحسب الاتفاق واهواء الاساتذة في القراءة والطلاب في التلقي · ولم يكن بينهم من موضوعات التسابق والتفاضل كالبلاغة (وان كانوا يقولون فيها ان فائدتها معرفة اعجاز القرآن) والنحو (وان كانوا يتعلمونه ليفهموا كلام الله)

سبب التهاون في التفسير

والسبب في هذا التهاون العام هو عدم الاعتناء بهذا العلم في امتحان العالميه وعدم السير فيه على الوجه الذي يتاكد منه الاساتذة ان الطالب على خبرة تامة بهذا العلم النفيس بل بالعكس هم يجرون على منهج يعجب الانسان منه ويحار في فائدته اذ ليس له حظ من معني (امتحان في التفسير) الا اسم التفسير

ذلك لانهم يعينون للطالب آية لكي يذاكرها ثم ياتي ليلقي معناها في كتاب او غير كتاب فالجاري الآن ان الطلاب لايعيرون هذا العلم التفاتاً بل ان اكثرهم لايتلقي درساً فيه ثم اذا جاء وقت الامتحان كانت عندهم القوة التي يمكنهم بها ان يفهموا من انفسهم او من غيرهم ما يقراؤنه في الكتب · ففي هذا الوقت خاصة يفتحون كتب التفسير ليطلعوا على معني الآية المعينة

فما هي اذاً الفائدة من هذا الامتحان وما الذي يدل عليه من حالة الطالب في هذا العلم · وهل غاية ذلك الا ان يعلم هل عنده ملكة الفهم او لا وذلك اولاً يكون قد علم من غير التفسير كالمنطق والتوحيد وثانياً يستوي في هذا ان يعين له في كتاب الله تعالى او في قصة عنترة وليس لخصوصية كتاب الله دخل في هذا المقصد اصلاً

فالذي اراه وجوب العناية بالتفسير وان يعطي الامتحان فيه حظ من مسماه بحيث لاينال الطالب اجازة تدريس فيه الا اذا كان بحيث متى سئل عن اي آية اجاب ولا اريد ما يتعلق بالتحقيقات الغامضة والمباحث العويصة بل يكتفي بالدرجة المتوسطة

فى ذلك المقدوره لكل انسان التي تحصل من مزاولة التفسير المختصر مرتين او ثلاث وان يكون امتحان التفسير هو ان يختبر الطالب في معني عشر آيات على الاقل من سور مختلفة تقترح عليه في المجلس ولا يكون له بها علم من قبل . والخلاصة ان العالم لايكون مستحقاً لهذا الاسم الا اذا كان بحيث متى سئل عن معني اي آية اجاب واما الاكتفاء بانه عنده قدرة ان يفهم اذا قرأ فى كتب التفسير فلا يجوز اذ هذا لايجعل بينه وبين عامة المتنورين من غير العلماء فارقاً

اساليب التفسير

هذا ولا بد لي ان اقول هنا ان اكثر كتب التفسير المتداولة الآن ناقصة جداً الا فيما يتعلق بمسائل النحو ونكات البلاغة ونحو ذلك بل اقول ان اكثرها مضر لانه يخيل للقاريء ان الحقيقة صعبة المنال بالنسبة لكثرة الاحتمالات التي يذكرونها في كل آية بل وكل كلمة

وتالله ان تفسير القرآن ليس بالامر الهين واذا كان القرآن هو اصل العلوم ومنبع المعارف (وما فرطنا فى الكتاب من شيء)

وهو الكنز الثمين والبحر التي لاتنفد عجائبه فلا شك انه ينقدم بتقدم الانسان ويترقي بترقيه في العلوم والمعارف . وأن كل من اتقن فناً من الفنون فلا بد ان يجد في القرآن معني آخر ومزية اخرى وعجائب عامة لايدركها من لم يحط بذلك الفن فالنحوي والبلاغي لايمكنه ان يفيض الكلام في الآيات المشيرة الى نواميس الكون وطبائعه وصاحب التاريخ لايمكنه ان يسترسل في مأخذ المسائل الفقهيه بل بقدر التمكن فى كل علم تدرك وجهة من معاني كتاب الله تعالى

فهو على ذلك كتاب يشترك فيه الكبير والصغير والبدوي والحضري والمتمدن والمتوحش والسالف والحاضر والآتي في كل زمان وفي كل مكان . كل يغترف منه على قدر استعداده الفطري او الكسبي لايخالف حقيقة من الحقائق ولا طبيعة من الطبائع ولا ينقصه شيء

ومن هذا الوجه فاني ارى الحاجة شديدة الى انتهاج طريق آخر يكون المعول عليه فيه جانب المعانى ويكتسب صبغة التاثير على حسب ما يناسب الناس اليوم ويلائم معارفهم . وفي هذا المقام

استحسن كثيراً الاسلوب والطريقه العمومية التي ينهجها فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده

الحديث

هذا هو العلم التي احاطت به العوارض الخطرة في ماضى الايام واشتغل به علماء الامة قرونا لخصوه فيها لخصا واستخلصوا صحيحه كما تستخلص ذرات التبر المنتشرة في التراب ولا يعلم الا الله مقدار الصعوبات الجمة التي تكبدها العلماء في طريق هذا العلم الكبير فربما سافر احدهم شهر او اكثر من اجل حديث واحد حتى هذبوه ورتبوه وعلم منه الحسن والصحيح والضعيف والموضوع ووجد في اسفار صغيرة لاتكبر الا بذكر الاسانيد

افبعد هذا يجوز ان تكون منزلته عندنا كما هي اليوم وان نقصر فيه هذا التقصير الذي تعيرنا به اكثر الامم الاسلامية

كيفية الاشتغال بالحديث اليوم

الاشتغال بهذا العلم اليوم كالاشتغال بالتفسير ليس من مطمح انظار الطلاب ولا من المعتنى به بين العلماء ولا هو من الحصص

المقررة تقريراً ثابتاً واكثر الطلاب لايشتغلون به ومن اشتغل به فانما يكون منه ذلك على وجه (التبرك) او الامر الثانوي في الاعتناء

والعلة في هذا التقهقر هي العلة فى تقهقر التفسير اعني التهاون في الامتحان فيه لان الامتحان في هذا كالامتحان في ذاك بل التهاون هنا اشد واكثر الاوقات يكتفون بتلاوة الحديث المعين وربما لايتمه وربما لايقرأه وقد علمت سخافة هذه الطريقة وانه لافرق بين حديث الرسول وقصة عنترة . ان تصور فيها فائدة فلتكن معرفة قوة الفهم وهذه تكون قد علمت من علوم اخر

ثمرات هذا العلم

ثمرات هذا العلم والبواعث على الاهتمام به كثيرة جداً وهي اشهر من ان تذكر ولكني اخص بالذكر منها امرين عظيمين نحن الآن في اشد الحاجة اليهما

اما الاول فهو حفظ الدين من ان يدخل فيه ما ليس منه وذلك لان امر الحديث غير منضبط ولم يكن يخشى على هذا الدين من التبديل والتحريف الا من قبل الحديث ولهذا كان موضوع الاهتمام من علماء السلف

ولا يخفي انه اليوم قد اشتهر على ألسنة الناس بل والعلماء كثير من لاحاديث الموضوعه وقد يكون من معانيها ما هو مضاد للدين بالمره وقد بلغت من التسليم ان يخطب بها على المنابر و يقولها الكبير والصغير. اليس هذا تحريف الدين وتبديله او مقدمة ذلك وهل يظن ان التحريف والتبديل يقعان في الاديان الا على هذا النمط

اليس من العار ان يقوم من نعتقد اننا احق بهذا منه مبينا ان هذا الحديث حق وهذا لا (سواء اصاب او اخطأ) ونحن فى زوايا المساجد لاهون او كسالى عن مثل هذا الواجب الجليل مشتغلين بتحقيقات وتدقيقات لافائدة لنا ولا للامة منها على التحقيق

بل اليس من العار اننا لايكون لنا من الاطلاع على الحديث ما نعرف به في انفسنا ما هو صحيح وما هو غير صحيح

قد عد اسلافنا هذا عاراً ونقصاً في وقت كان فيه الغاية التي لاتدرك والامنية التي لاتكاد تتحقق فما زالوا يجدون ويجتهدون و يواصلون الايام في التنقيب والتفتيش حتى تحصلوا على هذه الغاية باكمل وجوهها و دونوها في كتب بسيطة سهلة المنال ميسرة المأخذ

افبعد هذا يليق ان نكسل عن مد يدنا الى تلك الكتب وفتحها لنرى ما فيها وهل هذا الا كجائع يكسل ان يمد يده الى مائدة بعد ان يكون قد تعب رجال عديدون في تحضيرها

اما الامر الثاني فهو ما يفيده الاطلاع على الاحاديث من دقائق ما كان عليه سيدنا الرسول واصحابه وما يعطيه جملتها ويشير اليه من الاخلاق والاطوار والصفات والوجدانات والملكات التي كانت تحيط بالامة في صدر الرسالة ونحن الآن في اشد الحاجة الى الوقوف عليها

وبالجملة فان هنالك معان تدل عليها الاحاديث مطابقة نحن نجهلها مع اننا في اشد الحاجه اليها ومعان اخر مهمة جداً تؤخذ من عرض الكلام نحن كذلك محتاجون اليها جداً لانها تتعلق بتكميل الوجدان والشعور (والمرء محكوم بوجدانه وشعوره)

مسئلة السند

قلت فيما تقدم ان كتب الاحاديث ما كبرت الا بذكر الاسانيد وهنا اقول ان الاسانيد ان كان لها حاجة الآن فهي ضعيفة جداً ويكفي ان يعرف ان هذا الحديث رواه البخاري اومسلم اونحو

ذلك فلو درست كتب الحديث بقطع النظر عن الاسانيد لامكن للطالب ان يطلع عن جملة كبيرة منها في زمن قصير . على ان هنا شيئين الاطلاع وتدبر المعنى اما الثانى فامره سهل ويكفي فيه ان يكون للطالب بصيرة نيرة وملكة فهم معتدلة وهذا يحصل له من الاشتغال بالعلوم العقلية (والاحاديث المشكلة التي تحتاج الى المونة فى الفهم قليلة جداً)

ومتى كان الامر هكذا سهل الاول ايضاً وتبين انه لاحاجة فيه الى دراسة رسمية الا بقدر معلوم ويتم الطالب البقية وحده اطلاعاً فهو بهذا الوجه علم مطالعة اكثر منه علم تدريس

القدر اللازم منه

والقدر اللازم منه لا يحدد وانما هو ما يجعل الانسان من المطلعين مع وجود ملكة الاهتمام التي تقتضي البحث والمراجعة عند الحاجة . ومن السهل جداً ان يطلع الانسان على معظم الكتب الستة وعلى نحو كتاب اللآلىء المصنوعة ومن الواجب ايضاً فيه ان يحفظ الانسان مائة حديث على الاقل من كلام رسول الله الجامع وكذا غيرها بحسب الحاجة الزمنية

طريق الامتحان فيه

واری ان يكون طريق الامتحان فيه مبنية على حفظ الطالب جمله من الاحاديث وان يتاكد من انه اطلع على كثير من الكتب مع معرفة الاصطلاح العام والخاص بكل كتاب من كتب الحديث المشهورة

التوحيد

قاتل الله الجدل · لو نظرنا نظر المتامل لوجدنا سبب انحطاط الامة التفرق وان اهم دواعي التفرق كان الجدل واختلاف الآراء في مسائل التوحيد

اي نعم هذا لاختلاف في الآراء هو الذي فرق شمل الامة وحرمها من منافع جمة وكنوز ثمينة هو الذي جعل الامة امتين (شيعة وسنية) بل جعلها امماً كثيرة يكفر بعضها بعضاً و يلعن بعضها بعضاً ويستحل بعضها دماء بعض وكم اهرقت دماء وخربت بلاد وانتهكت اعراض بل وانتقم من أئمة كبار بل من جثث هامدة فارقتها ارواحها بانواع التعذيب والتمثيل والتحريق · كان هذا فيما

مضي وقد بقيت بقاياه الى الآن فلقد روي احد عقلاء الاوروباويين المستهزئين باحوال الامم الاسلامية ان بعض الاعاجم افتخر امامه بانه كان يحارب الدولة العلية في صفوف الروسيا لانها (سنيه)

كم حرم المسلمون من مزايا بسبب الاختلاف في التوحيد. كم لحق المسلمين من الاذى والتاخر بسبب الاختلاف في التوحيد

كل هذا مما يدعو الى اننا كما نبحث عن اصل المقصد وهو وصف حال علمائنا اليوم في التوحيد وما يجب ان يكونوا عليه كذلك نبحث عن الطرق التي استعملت في اواخر القرون الاولى لتقرير علم التوحيد ولا يزال علمائنا يغنون على نغماتها وعن موافقتها لمقاصد التشريع والواجب اتباعه. ولكنا على اي حال لانريد ان نطيل المقال فهذا المقام يحتاج وحده الى شروح ضافية تشغل مجلداً ضخماً. بل الذي نريد ان نقوله الآن ان اكثر الخلافات لاحقائق لها وان حقيقة الامر في الدين الاسلامي اسهل وابسط من هذه التحقيقات والتدقيقات ولا تحتاج الى مثل هذة المشاغبات والخلافات التي قد يكون موضوع اكثرها مما لايضاد الدين الاعتقاد فيه

بايجاب او سلب او عدم اعتقاد احدهما او مما لايجوز الخوض فيه ولا تكليف العقل معرفته

وان طريقة النظر العقلي المجرد طريقة لايفيد التوغل فيها وحدها الا مخالفة المعقول وها هي اقوال كبار الأئمة تنادي بان هذا الطريق صعب مخوف فقد حكي عن بعض الأئمة (اللهم ايمانا كايمان العجائز) وجاء في شعر بعضهم قوله

فاذ الذي استكثرت منه هو الجاني عليّ عظائم المحن

فضلات في تيه بلا علم وغرقت في يمٍ بلا سفن

وقال بعضهم

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم ار الاواضعاً كفّ حائر على ذقنه او قارعاً سنّ نادم

وحسبنا دليلاً انها غير المعهود في زمن الرسول بل وفي القرآن والغرض انما هو حصول الاعتقاد الجازم من وجهة ثابتة مقدورة للناس ليس فيها شيء من الحرج . والنظر العقلي المجرد قد لايفيده من هذا الوجه اللهمّ الا بالنسبة الى اقوام قليلين وانما الذي يفيد

هو الدليل الذي يستمد من الحس والعقل معاً ويؤخذ من طبائع الوجود ونظاماته ومن المعهود فى الفطرة ومن الوجدان الصحيح . طريق يشترك فيه العامة وخواص الناس . طريق يفيد الحق الصريح بل وان احتمل معه النقيض نظراً لضروب الجدل . طريق بين اطراف الافراط والتفريط

على انه وقد سلك المتقدمون تلك المسالك وجروا على هذه المذاهب وكونوا هذا العلم تكويناً خاصاً فكان الواجب اما ان نجاريهم ونبلغ مبلغهم واما ان نتبع ما نرى انه خير منه

ولكن مما يوجب الاسف اننا لم نحصل على احدى الغايتين ولم يكن لنا من هذا العلم المهم حظ الا جمل يسيرة غير كافية بالنسبة لما يليق بهذا العلم الكبير

للمتقدمين مشارب كثيرة فى هذا العلم ولكن علمائنا اليوم يتبع اكثرهم مشرب الامام السنوسي وهذا فيما ارى قصور وحرمان لان هناك مشارب اخرى انفس وادق واعلى

على اني اقول ان التوحيد ينبغي ان يقسم الى قسمين قسم يقصد منه تحصيل الاعتقاد الصحيح وآخر يكون الغرض فيه صد هجمات

المعترضين من اهل الفرق الزائغة. ولا شك ان كل واحد من القسمين يحتاج الى ما لا يحتاج اليه الثاني واعتناء المتقدمين بالثانى كان شديداً ولكن ما كتبوه لا يفيد الآن كثيراً لان خصومنا اليوم غير خصومنا امس والشبه الموجودة الآن غير التي كانت موجودة

فلهذا ارى انه يجب ايجاد كتب مفيدة للقسم الاول ثم دراسه نحو كتاب تهذيب الكلام و كتاب الملل والنحل ثم اعمال الفكرة في ما يقمع اهل الشبه الكثيرة المنتشرة اليوم فان لكل زمان مقال والاقتصار على قراءة كتب الاولين التي هي فى الحقيقه تاريخ المخالفين الاقدمين والرد عليهم غير كاف اذ العلماء حماة العقائد وواجب عليهم النظر فيما يليق ان يحموها به وفى كيفية الحماية فان سيدنا الرسول قد حمى الدين بالسيوف والحراب ومن الواضح انه لو كان فى زماننا هذا لحماه بالبنادق ومدافع مكسيم

هذا كله فيما يتعلق باصول العقائد اما ما يتعلق بالدعوة الاسلامية واقامة الادلة على صحة الدين الاسلامي وحقيه رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهذا لا اره مسئلة من علم التوحيد بل ذلك علم مستقل وهو من العلوم المجهولة عند علمائنا اليوم

الا بنحو الدليل على ذلك انه اتي بالقرآن المعجز وامثال هذه الـكلمات الاجمالية التي لاتفيد فى زماننا هذا ولا تقنع الخصوم

البلاغه

لااري شبيهاً لحال علمائنا وطلابنا فى دراسة البلاغة إلا حال من يقرأ فى كتب بعض الصوفية ويقول (الجمع وجمع الجمع والفرق) ونحو ذلك من غير ان يعرف ذلك كما ينبغي او يتحقق به او يجده كما يجده الصوفي وذلك لان هذين العلمين (التصوف والبلاغه) مبناها ليس على التعقل والتصور او التصديق بل المعول عليه فيهما النوع من الادراك المسمى (بالوجدان) او الاحساس والشعور الباطنى الذي لايحصل الا بالتحقق بتلك المعاني كما لاتعلم لذة العسل وطعمه الا اذا ذقته وكما انه ما يعبر عنه في التصوف بجمع الجمع هو حال وجداني (نفساني) خاص لايعرفه حق المعرفة الا من تحقق به كذلك امر البلاغه لايعلمها حق العلم ولا يصلح للانتساب اليها الا من رق وجدانه وصفا ذوقه ودق احساسه حتي صار يشارك البلغاء فى التأثير والتأثر

وعبارة اخرى ان البلاغة الوصفية لاتجدي دون العملية اذ

هى ليست من العلوم التي كمالها معرفتها فقط بل هي من العلوم الصناعية وغايتها الملكة التى تنشأ عنها الآثار فما لم توجد فلا بلاغة

ولقد كانت هذه الملكات عند اهلها تحدث تاثيراً يفوق الوصف ربما اذهب الارواح او حصل منه الاغماء

وهذا الحال الذي اراه كمالاً فى البلاغة لايحصل الا من امرين تصور معاني دقائق البلاغة ونكاتها ثم التحقق بها فاما تصورها فطريقه تدبر مسائل المعاني والبيان والبديع الا ان حصوله من اعسر الامور لان التعبير عما يرجع الى الوجدان وتصويره من اصعب الاشياء ولهذا ترمي أئمة هذه الفنون يكثرون من الجمل المترادفة بحسب الظاهر ويطنبون في التفسير و يكثرون من الامثلة والشواهد والمقارنات لكي يمكنهم بمجموع ذلك ان يخيلوا المعني للطالب تخيلا يقرب من الحقيقة

واما التحقق بها فطريقه حسن التامل و كثرة التدبر ومطالعة كلام البلغاء مع مزيد العناية والالتفات الى دقائقه والتامل فى اسرار كلام الله وحديث رسوله و بالجملة فهو لايرجع الى امر خاص

ولا شيء معين الا ان لسلامة الطبع والاستعداد الفطري العالي دخل كبير فيه

ومما يوجب الاسف ان علمائنا اليوم يقتصرون على الشطر الاول المفيد لتصور معاني البلاغه الا انهم ايضاً لايوفونه حقه من وجهين الاول ان الكتاب الذي يدرسونه وهو (تلخيص الخطيب) غير وافية جملته بتصوير المعانى كما اراد واضع العلم وكما صورها أئمة الفن فهو من هذه الوجهة مختصر اختصاراً مخلا . والثانى ان البحث في ما كتب علي هذا الكتاب من الشروح والحواشي والتقارير التي لاتكاد تحصى لايدور على استجلاء حقائق المعاني المقصودة من هذا العلم واستطلاع مكنونات نفائسها بل على اشكالات ومباحث اما لفظية واما عقلية خارجة عن اصل المقصود

ولهذا فاني ارى ان يكون الاشتغال بهذا العلم على نحو هذا الترتيب* يحفظ متن التلخيص او ملخصه ويطالع الشرح المختصر مطالعة متوسطة ثم يدرس قسم البلاغة من المفتاح ثم اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وكل هذا يتم في ثلاث سنين او اربع على الاكثر ولا بد مع هذا من مطالعة كتاب (كالعقد الفريد)

البلاغة في الاسلوب

وهنا لابد من ملاحظة ان هناك نوعاً من البلاغة حقيق ان يسمى (البلاغة في الاسلوب) وهو المنفرد اليوم باسم البلاغة عند اكثر العامة ومرجعه الى انتقاء اساليب خاصه و بعض مفردات تفيد التاثير مع نوع غرابة لاتوصلها الى حد الوحشيه وقد يكون هذا النوع المستعمل لو عرض على دقائق البلاغة لم يكن بليغاً ولكن هو على اي حال لايجب اهماله بل قد يكون الاعتناء باتيان كلام من هذا القبيل افيد واشد تاثيراً من الاتيان بكلام ما موافق للقانون على ان البليغ في القانون هو ما اثر. وهذا النوع هو كما يستعمله اليوم اكثر ارباب الجرائد والكتاب

الاصول

علم الاصول بحسب اصل وضعه علم جليل، يوقف الانسان على الاسرار التشريعية وكليات الشريعة ومقاصدها الخ الخ ولكنه عراه الان على حسب ما بايدينا خمسة موانع ابعدته عن الغاية المقصودة الاول انه لم يعتن فيه بمقاصد الشريعة واسرارها وحكمها وما لوحظ من المصالح

في اوضاعها الكلية والجزئية وانما اكثر فيه من المباحث التي تدور على الامور التي ترجع الى القشور والتمسك بالظواهر · الثاني انهم اكثروا فيه من الخلافات اللفظية بغير جدوى و بدون فائدة ومن الخلافات التي لا يترتب عليها شيء من الاحكام الدينية · الثالث انهم ادخلوا فيه كثيراً مما ليس منه بل هو من العلوم العربية او غيرها · الرابع انهم اكثروا فيه من الجدل وخرجوا بمسائله الى المعنى العقلي البحت والذين اخرجوه هم من اشتغلوا به من جدليي المتكلمين حتى كانهم نسوا بالمره ان الغرض منه ان يبني عليه الفقه ولذلك اهملوا التفريع بالمرة بخلاف اصوليي الفقهاء من الحنفية فان مسلكهم فى ذلك هو المسلك اللائق المقبول · الخامس ان الكتاب الذي اشتهر وتداولته الايدي فى هذا الفن واعني به جمع الجوامع غير وافٍ بالمقصود وذلك لان صاحب المتن اراد ان يجمع الاسفار الكبيرة في كلمات صغيرة يتيسر حفظها · وهذا على الجملة عمل مفيد وكان الذي ينبغي حينئذ تاليف الشروح الواسعة لتبيين اصل المسائل المذكورة فيه على طريق الرمز والاشاره بالايضاح الكافي حتى يمكن للطالب ان يحفظ ثم يفهم ولكن جرى الامر على خلاف هذا تماماً

واليك البيان

شرح المحلي هذا المتن شرحاً في غاية الايجاز حتى كأنه مع المتن متن لايزال في دايرة الاختصار ثم جاء الكاتبون بعده ونظروا في المتن والشرح نظر المنتقد على التاليف في لفظه وتركيبه لانظر المبين المفيد ليقولوا ان هذا التاليف غير مستقيم ثم جاء قوم آخرون ينتصرون لصاحب المتن والشرح بحق او بغير حق والفت الاسفار وشحنت الاوراق باخذ ورد ثم جاء آخرون كالمعتدلين ليحكموا بين الطرفين وجل البحث في جميع ذلك عائد للفظ المتن والشرح لا لفقه المسائل بل ذاك رموا به وراء ظهورهم جملة ولو أحصي المكتوب على هذا المتن في هذه المباحث السخيفة عديمة الجدوى لكاد يبلغ مائة مجلد

ولا ابالغ ان قلت ان هذا الكتاب بما كتب عليه صار سداً مانعاً من تعلم الاصول وان الطلاب بعد ان يعانوا اشد المصاعب في تفهمه السنين الطوال يخرجون بلا فائدة كأنهم ما عرفوا الاصول فلذلك ارى حرصاً على الفائدة انه لابد من حفظ متن في الاصول ولو كان متن جمع الجوامع كان حسناً وفي التلقي اما ان يؤلف

شرح جديد واف له واما ان يبدل بغيره من نحو المنهاج . وهنا لابد لي ان اشير الى ذاك الكتاب الثمين الذي لااصفه باكثر من انه يعد الانسان للاجتهاد واعنى به كتاب (الموافقات) الذي لايشارك كتب الاصول الا فى الاسم والا فهو معنى آخر ومشرب ثانى اولى به ان يسمى مقاصد الشريعة واسرارها او عنوان التعريف باسرار التكليف كما سماه صاحبه اولاً فان مطالعة هذا الكتاب متعينة على الطلاب والله اعلم بالصواب

النحو

هذا العلم ليس من العلوم المقصودة لذاتها والغرض منه ان يعرف الانسان كيف يكتب وكيف يقرأ وكيف يتكلم بلغة الاسلام العربية ثم هو فى ذاته ليس من العلوم العقلية القابلة للبحث والتوسع بل مداره على النقل واستمداده من المسموع والمنقول عن العرب الفصحاء وليس له من علة وراء ذلك كما هو شأن جميع اللغات ومن الواضح وجوب الاشتغال به ولكن على وجه يضمن حصول الغاية منه مع تمام السهولة والقرب كما هو شأن الامور المقصودة لغيرها

ولكن مما يحزن ويوجب مزيد الاسف ان الاشتغال به

الآن جار على كيفية تناقض افعال الحكماء المنزهة عن العبث. ضياع زمان يكفى اكثر من عشرة علوم ومع هذا كله فلا تحصل الغايه. فالطالب من يوم قدومه يشتغل به مبتدئاً بشرح الكفراوي المبتدي، بذكر (اوجه البسملة) ودقائق النحو منتهياً الى حاشية الصبان على شرح الاشموني في مدة ثمان سنين ومع ذلك لو سألته عن اكثر المسائل النحوية اجابك (موش في بالي) هذا فضلاً عن انه بعد هذا الاشتغال لايمكنه ان يحسن التكلم بالعربية ولا القراءة بها وكم من المدة يمضي في هذا التعلم العقيم. ثمان سنين على الاقل باعتبار اربع ساعات في كل يوم. ساعتين للدرس وساعتين للمذاكرة فاي فساد اكثر من هذا الفساد. تلك الكتب الكبيرة ليست كلها نحواً صرفاً بل اكثرها مباحث عديمة الجدوى يقصدون بها التفلسف في النحو والصرف لغرض توسيع دائرة الفهم ولكن هي اولاً لردائتها وسخافة موضوعها لاتفيد الاخسارة العقل وحطه الى الحضيض السافل وتمرينه على تعليل الامور بالعلل الخرافية الواهية وانحرافه عن جادة الصواب فضلاً عن انها تكون عقبة دون فهم مسائل النحو واحرازها جملة في العقل لما يكون حينئذ

من التشتيت

ومن الواضح مما تقدم ان النحو امر نقلي المدار فيه على السماع وليس ميداناً للبحث وتسابق الفكر فلا يصح ان يكون المرسح الذي يعلم فيه الفهم وتربى فيه الملكات بل الواجب ان يؤخذ مسلماً في ربع الزمن الذي يصرف فيه الآن او ثلثه او نصفه وفي الباقي تعلم علوم اخرى يصح ان تكون ميداناً للتنافس في البحث فيستفيد تلك العلوم ويستفيد الملكة على اتم وجه ويمكنه حينئذ ان يعلق على كتب النحو احسن او مثل ما هو معلق عليها الآن من الحواشي

على ان كون الغرض من النحو ضبط احوال الكلام العربي كما كان ينطق به اهله يدعونا للتفكر اليس هناك طريق اخرى توصل الى هذه الغاية وتكون اسهل واقرب وهل كل ما قاله النحاة لابد منه لهذا الغرض وهكذا الحال في كل علم يكون الغرض منه الوصول الى غاية معينة فمتى امكن تحويره او تقريبه او تسهيله او بدت طريق اخرى اخصر فلا يجوز الارتكان ولا التعويل على الاول لان هذا يكون حينئذ من الجمود المضر المؤخر

ومن هذا فاني ارى اولاً انه لايجوز ان تكون دراسة النحو وصفية محضة بل لابد من ملاحظة العمل والتطبيق تكلماً وقراءة

ثانياً ان تحذف منه سائر المباحث التافهة المشوشة والمعوقة

ثالثاً ان تكون كيفية الدراسة على نحو هذا الترتيب* تفسر معاني الاجرومية بدون تعرض للاعراب الا بقدر الضرورة وان كان لابد من شرح فليكن شرح الشيخ خالد و بعده يكون شرح الكفراوي ثم يقرأ شرحا القطر والشذور ثم تحفظ الالفية و يقرأ شرح ابن عقيل مرتين و كل هذا يتم فى ثلاث سنين او اربع اما نحو الاشموني وغيره فيكون من كتب المراجعة

المنطق

المنطق مفتاح الحكمة ودليل الصواب ومقوم العقل وموسع دائرة الفكر . ولكن ذلك يكون له حيث يصير ملكة للانسان يسهل عليه جعل حركات فكره مرتبة عليه وهذا انما يحصل بكثرة التمرين والاستعمال اما مجرد فهم مباحثه ومعرفتها فقد لايفيد الا من جهة انها مباحث معقولة تورث تنور الفكر

نسبة المنطق للفكر كنسبة النحو للتكلم هذا يقوم المعقول وذاك يقوم الالسنة . وكما ان مجرد معرفة مسائل النحو لا تفيد فائدة ما ما لم تلاحظ المرات العديدة في النطق حتى تصير ملكة يسهل معها التكلم بالعربية وقراءتها فكذلك مجرد معرفة مسائل المنطق لا تفيد ما لم يكثر الانسان من ملاحظته في افكاره حتى يصير ذلك ملكة له

ويفارق المنطق النحو بان مسائله معقولة قابلة للتوسع والتعليل وهما فيها يفيدان فائدة عظمى من جهة تقوية العقل واستخراج نفائس المعقول وخواصه

ولكن مما يوجب الاسف ان علماءنا اليوم يسلكون فيه نقيض المطلوب . فهم اولا يكتفون فيه بمجرد معرفة المسائل من غير استعمالها وقد تغالوا في ذلك الى حد جعلهم يقتصرون على امثلة خاصة مفردة يتلقاها الطالب عن المعلم ولا يتعداها الجميع

ثم هم ثانيا ياخذونها ماخذ المنقول ولا يتوسعون فيها التوسع المطلوب وقد لا تتفطن افكارهم لعلة الحصر او سبب الاشتراط او كيفية الانتاج وسره او غير ذلك من الاشياء المفيدة المنورة للعقل

هذا في حين انهم ياخذون النحو مثلاً وهو من العلوم التي لامجال للعقل فيها مأخذ المعقول ويتوسعون فيها توسعاً مضراً غير مفيد ويكثرون من العلل التافهة المفسدة للفكر والمباحث العقيمة التي لافائدة لها الا الضياع والتشويش وهذا لعمري تناقض غريب وما هو الا كرجل يعدو بجواده داخل المدن في الحارات الضيقة المزدحمة واذا ما خرج الى الفضاء مشى الهوينا وابطاء في المسير

علم الدعوة الاسلامية

كان المتقدمون يجعلون ما يختص باثبات الرساله المحمدية مسئلة من مسائل علم التوحيد يوجزون المقال فيها و يستدلون على صدق الرساله بانه ادعى النبوة والرسالة وظهرت على يديه المعجزة وهي القران ثم يفيضون في ان دلالة المعجزة عقلية او عادية الخ اما اليوم وقد توسع اعدائنا في الطعن على الاسلام ولفقوا من الشبه والمفتريات ما يملىء الاسفار الكبار وتفننوا في الاستدلال على بطلان الاسلام واوجدوا من الاساليب والمطاعن ما لم يكن معهوداً من قبل وحملوا على المسلمين حملة شديدة منكرة فقد وجب افراد هذا

الموضوع وجعله علماً مستقلاً تستنبط فيه الادلة المتنوعة وتفند فيه الشبه بطرق معقولة مناسبة لمعارف الناس اليوم واحوالهم

اعمل اعدائنا الفكر وسهروا الليالي في استنباط الادلة التي يرونها معضدة لهم والاساليب التي يمكنهم بها اقناع الناس واوجدوا شبهاً كثيرة ربما يشتبه حالها على اكثر البسطاء (لايسع المقام تفصيلها) ونحن نائمون لاهون معرضون عن هذا كل الاعراض كأنه ليس من الامور الدينية التي يجب الاشتغال بها

اليس من النقص الفاضح والعار الكبير ان يدرس دعاة النصرانية القرآن وكتب التفسير والحديث والسير الخ ليجدوا منها مغمزاً او باباً يدخلون منه على الحط من كرامة الدين الاسلامي وان يستشهدوا في سبيل تأييد آرائهم بالاحاديث والآيات القرآنية والوقائع التاريخية (وان كان استشهاداً مقلوباً) في حين اننا نرى مما يقرب من الكفر لمس كتبهم بايدينا فضلاً عن اقتنائها ومطالعتها وتامل ما جاء فيهـا

اليس من العار ان توجد مدارس دينية كبرى تحوي الالوف المؤلفة من العلماء والطلاب ولا يوجد لها اثر ما في حماية الدين

ونصرته والدفاع عنه بشيء معقول موءثر على الناس اليوم

اليس من العار على علمائنا ان يوجد في باعة الكتب وآحاد الناس من يحسن ذلك ويعتني به دونهم. اليس من العار على علمائنا ان يفنوا اعمارهم ويجهدوا انفسهم في تحقيقات وهميه فارغه عاريه عن الفائدة بالمرة و يهملوا مثل هذا الواجب الجليل الذي يتعلق باصل الدين ورأسه

ماذا يكون حال علمائنا اذا التقي احدهم ببعض الدعاة للنصرانيه الذين يحفظون من الشبه والتمويهات ما لايخطر ببالنا في محفل حافل وجرى بينهما جدال (بالتي هي احسن) افلا يكون عجز علمائنا وظهور الخصم عليهم (في ظاهر الامر) من اكبر النقائص التي ربما دعت الى تشكك بعض المسلمين

من هو القائم الآن من علمائنا بالدعوة الى الاسلام من طريق الاقناع والبرهان. بل من ذا الذي يمكنه ان يدعو و يقنع و يعرف كيف تكون الدعوه

للدعوة طرق واساليب بعيدة عن علمائنا اليوم بصورتها و مادتها

ايظن بعض علمائنا ان الدعوة الى الاسلام تكون بنحو (يارجل اسلم . الاسلام حق . دين النصرانيه منسوخ) ونحو ذلك من العبارات التي لاتفيد الا الازدراء والتحقير

ان قلب العادات والاديان وتحويل الناس عنها ورثوه عن آبائهم ليس بالامر السهل كما انه ليس بمحال

انا لا بالي ان اقول ان اكثر علمائنا اليوم لايدري كيف يدعو الى دينه بل ولا يخطر له ذلك على بال

ان طرق دعوة النصراني غير طرق دعوة اليهودي غير طرق دعوة الوثني غير طرق دعوة المجوسي ودعوة الشرقي غير دعوة الغربي ودعوة المتوحش غير دعوة المتمدن ودعوة الزكي غير دعوة البليد الخ الخ ومن ذا الذي يمكنه ان يحسن بعض هذه الطرق اليوم من علمائنا

اذا لم نود ان نقوم بهذا الواجب الاقدس خوفاً من الله وتقرباً منه افلا ينبغي ان تاخذنا الحمية الفطرية (والانسان مفطور على حب الدعوة الى دينه) والا تاخذنا الغيره من غيرنا و الا نفعل ما يرقينا بين الناس و يذهب عنا مسئولية التقصير

يندهش الافرنج من سرعة انتشار الدين الاسلامي ولكن على يد من هذا يكون· على يد التجار واحاد الناس الذين يتجولون في الاقطار لاعلى يد ساداتنا وكبرائنا العلماء الاعلام

لو كان للعلماء عمل ما في اتقان واجب الدعوة وطريقها ونشر ذلك بين افراد الامة لعاد عليهم شيء من المدح والاعتراف باداء الواجب بازاء هذا الانتشار وان لم يباشروه بانفسهم ولكن كيف ولا عمل لهم في ذلك اصلاً وكيف يجوز لهم ان يفتخروا بمثل هذا التقدم الذي ينبغي ان يكون سرورهم به مقروناً بالخجل

اذا كان هذا حال الاسلام في الانتشار والتقدم والمكلفون بهذه الاعمال كسالى لاهون فكيف يكون الحال لو قاموا بها حق القيام اليس ذلك مما يضاعف المسئولية عليهم· انا لا اريد من علمائنا ان يجاروا دعاة النصرانية في طيشهم ورعونتهم وافعالهم القبيحة المخلة بالادب وانما اريد ان يكونوا على بينة من الامر وان يقوموا بالعمل اللائق المقبول عند العقلاء

قد يكون من الحماقة والجهل الاعتذار عن هذا الاهمال بان الدعوة الآن لاتفيد لان · هذا عذر لايقبل بحال فقد دلتنا اعمال

الانسان واقتداره الفائق على انه ليس هناك شيء بعيد على الفكر الجيد المصحوب بالثبات وان الانسان متى جد واجتهد واستعمل قواه العاقلة واستخدمها كما ينبغي واستخرج ثمراتها وكنوزها نال فوق ما يتمناه. وعلى فرض ان هذه الدعوة لاتفيد مع فريق من الناس فلا جرم انها تفيد مع غيرهم والحوادث الكثيرة اصدق دليل على هذا. وعلى فرض انها لاتفيد اصلاً فذلك لايمنع من وجوبها اذ لاعذر الا بعد فعل المقدور وانما علينا البلاغ والدعوة الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن ونحن لانهدى من احببنا ولكن الله يهدي من يشاء

وقد يكون من اكبر التفريط والخطاء الفاحش التفاخر بثبات عقائد المسلمين بازاء ما يأتيه دعاة النصرانية من الاعمال فان هذا ان صح ان يقوله احد فليكن غير العلماء الذين يجب عليهم ان لايتكلوا على مثل ذلك وان يبذلوا قصارى الجهد في الدفاع وحماية العقائد وتوطيد دعائمها بما يأتون به من جليل الاعمال

فلهذا ارى وجوب ايجاد علم جديد باسم (علم الدعوة الاسلامية) تكون غايته اثبات صحة الدين الاسلامي بايراد الادلة ودفع

الشبه على حسب ما يوافق الناس اليوم ويناسب مشاربهم ودرجة
معارفهم وان يتوسع فى هذا العلم بقدر ما يمكن ويبذل فيه منتهى الجد
والعناية والاختراع والاكتشاف وان يكون من اهم ما يبني عليه
ذلك العلم الاطلاع على كتب الديانات الاخرى وبحثها بحثاً دقيقاً
ومعرفة دقائقها وحقائقها بالتفصيل الكافي والاطلاع على ما كتبه
علمائنا الاولون وغيرهم في هذا الموضوع ككتاب اظهار الحق
وما في كتاب الملل والنحل لابن حزم والله خير موفق ومعين

علم تهذيب الاخلاق

حاجة العلماء والطلاب الى هذا العلم لاتخفى اولاً لغرض
تعديل اخلاقهم وتقويمها ورفع هممهم عن الدناءة واتصافهم بالفضائل
ومعرفتهم كمال الانسان من حيث هو انسان وثانياً لغرض اعدادهم
لان يكونوا هداة مرشدين داعين الامة الى فضائل الاخلاق
ومحاسن الشيم

اذا كانت العلوم تشرف بشرف غاياتها وآثارها فان هذا العلم
من افضل العلوم واعلاها قدرا واحقها بالرعاية والالتفات والعناية
خصوصاً من العلماء وطلاب العلم لانه يتعلق بترقية النوع الانسانى

و بلوغه اوج الكمال فيما يتعلق بشؤون المعاش والمعاد . علم يدعو الى الابتعاد عن الشرور والمفاسد والاقتراب من الخيرات والمصالح علم يدعو للتقدم ويرسم للانسان طريق الخير والسعاده . ان الامة التي لاتروج بضاعة علم الاخلاق في اسواقها جديرة ان تكون احط الامم واخسها وان تكون رهينة الذل والنقص حليفة الاحتقار والصغار

لو كان علمائنا من اهل الكمال في الاخلاق لطالبناهم بالاشتغال بهذا العلم والتوسع فيه والتفنن واظهاره بالصور المناسبة لعقول الناس ومعارفهم واحوالهم وعاداتهم فكيف وحالنا في ذلك معلوم مشهور

اعتنى علمائنا الاولون وغيرهم من الحكماء السابقين بهذا العلم النفيس وتفننوا فيه وابرزوه في صور مختلفة تناسب احوال الاطفال والرجال واهل الجمود والمتنورين فكانوا مرة يجرونه على السنة البهائم واخرى على السنة الطيور ومرة يصيغونه في حكاية خرافية ومرة في الاشعار واخرى في جمل نثرية عربية او عامية وتاره في مباحث فلسفية او فصول دينية وقد تابعهم الغربيون في ذلك

وكان من اهم ما اعتنوا به في ذلك امر الروايات والتمثيل لان ميل النفوس اليها اكثر وتاثيرها اشد . افبعد هذا يجوز ان نترك هذا العلم النفيس ويشتغل مؤلفونا وعلمائنا بان ان زيدا اخطأ في زيادة كلمة وعمرا اخطأ في نقص اخرى الى غير ذلك من المشاغبات التي لاتجدي نفعاً

لو اشتغل علمائنا بعلم الاخلاق لوجد في انفسهم من الراحة الروحانية ما يحقق لهم معنى السعادة وان كانوا في فقر او احتقار من الناس او نحو ذلك من النقائص الحسية التي ثقلت كاهلنا

لو اشتغل علماءنا بالاخلاق لكفى بعضهم شر بعض وكفوا شر الناس وكفي الناس شرهم ورأوا ما يقر اعينهم من انواع التبجيل والاحترام المحبوب للانسان بالطبع

ليس كل عالم يمكنه ان يقرأ علم الاخلاف ولا ان يوجد الاثر المطلوب لان ذلك صناعة اخرى غير قراءة ساير العلوم تحتاج لان يكون الانسان كاملاً في خلقه وفعله مؤثرا في عبارته حسناً في فراسته قوياً فى بصيرته زكياً في فكره مقتدراً متصرفاً الى آخر ما سيأتي في لوازم الارشاد ولكني مع هذا ارى وجوب

اشتغال علمائنا به تعلماً وتعليماً وما لايدرك كله لايترك كله وكل صغير ينمو مع العناية ثم هو وان لم يحتج الى درس خاص به وامكن اعطاءه في كل الاحوال الا اني ارى ان يعمم اعطاءه ثم تفرد له دروس خاصة يكون موضوعها دراسة نحو كتاب (تهذيب الاخلاق) لابن مسكويه والله خير موفق ومعين

علم التصوف

لااريد من التصوف تلك الالغاز والمعميات والطلاسم من كلام بعض الصوفية في حقائق الموجودات والالهيات والمقامات وساير ما يتعلق بالمكاشفات كما جاء عن ابن العربي وغيره فذلك ان كان وهمياً خيالياً فظاهر وان كان حقيقياً فلا اري ان ينشر ويصرح به ويودع كتباً فضلاً عن ان يدرس ويتلقى في المدارس لانه فوق طور العقل الانساني بالمرء فلا يليق ان يلقى الا لمن يعرفه ويتاهل له. ونشره بين الناس مضر غاية الضرر لانه فضلاً عن غموضه فان عباراته قد تدل بحسب ظاهرها على شيء غير المراد ولا يجوز ان يراد وذلك لان من اصعب الاشياء التعبير

عن الوجدانيات . ولا اريد خصوص ما يتعلق بالاصطلاحات والرسوم التي وجدت في التصوف ومنها تنوعت الطرق واختلفت العادات والاحوال عند من ينتسبون الى التصوف

وانما اريد على الجملة جميع ما يتعلق بمحاسبة النفس ومجاهدتها في منازعها الشهوانية والبحث عن احوالها وتصفيتها حتى يحصل لها الوجدان الروحاني العالي والذوق النوراني الشريف وهذا كما تجد في كتب الغزالي والقشيري وامثالها من الكلام على المنجيات والمهلكات وغير ذلك . وتالله ان الانسان ليعجب ويندهش حينما يرى رجال الدين اليوم ينقسمون الى قسمين رجال علم ورجال طريق او (فقهاء وصوفية) ثم يرى اكثر الصوفية او المتصوفين من الغباوة والجهل والدناءة بالقرار المكين وهم مع ذلك بيدهم مفاتيح قلوب الامة وهم اصحاب السلطان الاعلى والكلمة التي لاترد عند الجمهور بل وفي داخليتهم الخصوصية وقد بنوا هياكل وسجونا وصنعوا اغلالا وقيودا وعملوا شباكاً ومصائد من الاوهام والتأثيرات والخرافات بالنسبة للعامة (وهم جمهور الناس) وادخلوا في الدين ما ليس منه واخرجوا منه بعضه بسبب جهلهم الكثير . وبرى اكثر القائمين

بالعلم قد وقفوا عند حد التصور او التصديق بالاحكام الشرعية العملية دون ما يتعلق بالاخلاق الدينية وتصفية النفس واحوال القلوب وتعميرها بالانوار القدسية والاسرار الروحانية ولم يزجوا بانفسهم في ميدان العمل ايضاً كانهم اعتقدوا انهم بما تصوروا من كتب الفقة والتوحيد قد امكنهم ان يتصوروا الكمال الاسلامي و يتحققوا بالغاية التي يدعو اليها الاسلام وانه ما على ما علموا من مزيد وان الكمال في العلم يغنى عن الاشتغال بالعمل

مع ان الحقيقة انه لايجوز التفريق بين قسمي العلم الاسلامي (ما يتعلق بالاعمال الظاهرة وما يتعلق بالاحوال الباطنة) ولا التفريق بينهما و بين العمل ولا يصح ان يكون هناك من رجال الدين من تكون غايتهم ان يعلموا من غير ان يعملوا ولا من يكون الكمال عندهم في ان يعملوا بجهالة من غير ان يعلموا ولا يجوز في الاسلام ان يكون هناك شيء اسمه (فقهاء) وآخر اسمه (صوفية) وما دام كلاهما ممتازاً عن الآخر ولهذا رئاسة ولذاك أُخري فالدين في خطر والحال فى وبال بل الواجب ان يكون الفقهاء هم الصوفية والصوفية هم الفقهاء وان يكون

العلماء هم رجال العمل وأئمة الارشاد او بعبارة متعارفة (مشايخ الطرق)
وان يكونوا هم اصحاب السلطان الاعلى والكلمة المسموعة والنفوذ
التام عند العامه لكي يمكنهم ان يهدوهم الى طريق الحق
ومناهج الصدق ويخرجوهم من تلك الظلمات التي يوقعهم فيها
اكثر مشايخ الطرق بما لهم من التأثير الاعتقادي ولا يجوز ابداً
ان تترك الامة في جهل شديد وانحراف تتقاذفها امواج الشهوات
والخلاق الامم المتغلبة ويتحكم فيها هؤلاء الجهلة باسم الدين والتصوف
كما انه لا يجوز الاعتقاد بانه لاشيء هناك فوق ما يعلم من الفقه
والتوحيد بل وما يصل اليه العقل الانساني من الكمال الاسلامي
وجحد التصوف وما عليه الصوفية كلية

بل الحق ان هناك نوعاً من الكمال الاسلامي هو اعلى
سائر انواع الكمال ومنتهى مراتبه لا يصل اليه الانسان من طريق
العقل بل من طريق الذوق وتصفية النفس والانتشال من اوحال
الطبيعة بمجاهدة النفس والاشتغال بانواع الرياضة والعبادة وان المؤمن
لا يكمل حقاً ويقال انه وصل الى الغايه التي يدعو اليها الدين الا
اذا حصل عنده هذا الذوق وعمر قلبه بالانوار الالهيه والاسرار

القدسيه واقترب من الملأ الاعلى وكان من اهل البصائر العاليه والعلوم الذوقيه الخافيه فذلك هو لب الدين واكثر مقصده ولا بد للمؤمن منه والعالم احوج الناس اليه فهكذا كان رسول الله وكان خير اصحابه واهل الطبقه العليا من المسلمين ولا شك ان هذا غايه علم التصوف. نعم انا لا انكر ان حصول هذه الغايه كما ينبغي صعب وان النفس في وجداناتها يعارضها الوهم كما يعارض العقل في ادراكه وانها بصفاتها العجيبه ربما تتمثل لها الحقائق في صور شتى ومن اجل هذا كان حصول غايه التصوف عند بعض المشتغلين به على عكس المطلوب ووقع كثير منهم فى اشياء كانوا بها من المتغالين المجاوزين حدود الاعتدال ولكن ذلك كله لا ينقص من اهمية الغايه الاصليه التى يدعو اليها التصوف ولا يكون مانعاً من وجوب الاشتغال والتحقق به على وجه مقبول معتدل كما ان جنوح النقل في كثير من مدركاته ووجود فرق كثيرة من اهل النظر قد ضلوا سواء السبيل في نحو علم التوحيد لايكون مانعاً من وجوب الاشتغال به

انا لا اريد ان يكون العلماء كهؤلاء المسمون (متصوفه) فى

مخيلتنا ممن تركوا الدنيا بأسرها وسائر المصالح العامة واقتصروا على التصوف وعكفوا عليه مع اهمال كثير مما يجب على المسلم القيام به من شؤون هذه الحياة ومع الجهل بكثير من العلوم العقلية والنقلية التى يجب تعلمها ولا اريد ان يكونوا على الاحوال والصفات التي عليها (مشايخ الطرق) الآن الموجبة للازدراء والتحقير ولا اريد ان يتجاوزوا فيه الحد ويخرجوا الى طور الشطح ولا ان يكونو كابن العربي وامثاله بل اريد ان يشتغلوا به على الوجه الذى تحصل لهم تلك الملكات الروحانية العالية والانوار السامية ويحصل لهم ذلك الذوق الصحيح فيكونوا من امثال ابي حامد الغزالي حيث شرب من الحوضين وتناول بالكاسين واريد ان لايكون احتقار كلمة (صوفية وتصوف وطريق وعهد وفقراء) ونحو ذلك سداً مانعاً يحجبهم عن تلك الغايه الساميه النفيسه فان الدره اذا كانت في عذره وجب اخذها منها وتنظيفها والانتفاع بها ولا اتحاشى ان اقول ان من لم يشتغل بالتصوف على هذا المعني ليحصل هذا القدر لم يذق طعم الدين ولم يصل الى شيء من حقائقه الروحانيه التي هي المقصود الاصلي وبها الكمال الانساني وان

من اقتصر على هده الاحوال والعلوم المألوفة عندنا اليوم فهو واقف مع القشر ولم يصل الى اللب اصلاً

على ان هذا النوع من الكمال الوجداني الروحاني كان معروفاً عند الفلاسفة قبل الاسلام وكانوا يجدُّون في تحصيله ويجاهدون غاية المجاهدة ويحصلون به على الفضيلة الذاتيه ويصلون من العلوم الحقيقية والاسرار الغامضة الى ما يستحيل الوصول اليه من طريق العقل ولذا خفيت اكثر عباراتهم على اهل النظر المجرد

ومن هذا فاني ارى وجوب الاشتغال بعلم التصوف على النحو الذي تقدم بيانه ثم السعي في التحقيق بمضمونه فان مجرد علمه كعلم الفقه -لايفيد بدون العمل وافضل ما يتلقى عنهم هذا تلقياً يؤثر في النفس ويحمل على العمل هم من يكونون متصفين به (وان لم يعرفوا من الفقه وغيره الا بقدر ما تمس اليه الحاجه) ولكن تلقيه على اي حال مفيد

ولهذا الموضوع بقية كبرى ربما اتينا بها في فرصة اخرى والله هو الهادي الى الصراط المستقيم

علم القرآآت

علم القرآآت يتعلق بعماد الدين واساسه وهو القرآن ولا جرم انه بذلك ينبغي ان يكون من اشرف العلوم الدينية التي يتفاضل بها العلماء اذ حفظ القرآن والمحافظه عليه بطرقه السبع المتواترة من الامور المهمه التي يجب ان يعتنى بها

ولكن ذلك اليوم منبوذ عند العلماء حتي انه لاافضلية لمن يعلمه على من لايعلمه وموكول امره الى (الفقهاء) وهؤلاء لارابط لهم ولا نظام ولا ضمان لوجودهم وقد ينقرضون بسبب عدم اقبال الناس على التعلم هذا فضلاً عن ان ذلك العلم لايعلّم الآن الا باجر (ولو كان المعلم من العلماء) وذلك نقص وتضييق لايجوزان

فمن هذا ارى ان هذا العلم وان لم تتحتم معرفته على كل عالم فلا بد من اعتباره مميزاً من اهم المميزات التي يقع بها التفاضل وان من يعلمه من العلماء فعليه ان يقرأه في درس عام كباقي الدروس والا لم يكن له به ادنى امتياز

ولهذه المناسبة فاني اذكر ان اعتناء العلماء بحفظ كتاب الله قليل جداً و كثير منهم نسيه وقد لايخطر بباله ان يتلوه ليحفظه

وهذا من اعظم النقائص اذ الواجب على العلماء ان يكونوا اشد الناس حفظاً للقرآن واستحضاراً لآياته كي يستشهدوا بها عند الدواعي ويذكروا منها في كل موضع ما يناسبه ويطبقوها على جميع الشؤون

ولقد صنعت ادارة الازهر خيراً جزيلاً حيث اشترطت حفظ نصف القرآن على من يريد ان يلحق بطلاب العلم ولو اشترطت حفظه كله لكان اولى

على ان من ما يوجب الاسف ان بعض اللجان الموكول الى عهدتها اختبار الطالبين في القرآن كثيرة الاهمال مع ان هذا يترتب عليه ضرر كثير نسأل الله تعالى ان يوفقنا الى ما فيه الخير والنجاح

التاريخ

لايجهل قدر التاريخ الا جامد لايعرف من اين يستفيد وينمي عقله ويوسع مجال نظره ولا كيف يصل الي كنه الحقائق ولا يخطيء في اصابة المرمى ولا يغتر بظواهر الامور ولا كيف يجد السبيل الي معرفة المستقبل المجهول ويملي نفسه عظة واعتباراً ويعمر قلبه بالوجدان الشريف . اي نعم لايجهل قدره الا

من يجهل ذلك لان تلك هي بعض فوائده وثمراته وكيف لا ومن المعلوم ان اكثر ما يفيد كمال العقل التجارب والتاريخ هو العلم الذي يعطيك من التجارب كما يكون لمن عاش منذ بدء الدنيا الى اليوم الذي انت فيه· يمر بك على الامم حتي كانك معهم وياخذ بيدك الى الممالك حاضرها وباديها حتى كانك فيها ويشهدك الحوادث والمناظر الغابرة التي حصلت في اكثر من ستة الآف سنة ويطلعك على ما لو كنت فى زمنه ما استطعت الوصول اليه من دقائق السياسة وما كان يجري في قصور الملوك · يعطيك علم التاريخ هذا واكثر منه ولكن لا فى مثل ما يلزم لذلك من المدة ولا نصفه ولا سدسه ولا عشره ولا واحداً من الف بل في بضعة شهور او سنة على الاكثر· يعطيك هذا وقد لا يحتاج منك الى معلم ان كنت ذا فكر ثاقب واستنتاج صحيح ولا يطلب منك الا الالتفات اليه لكي يمنحك هذه العطايا الجليلة والكنوز الثمينة الغالية

للتاريخ فائدة هائلة قد لا يعرفها الا من قرأ التاريخ او رأى اعمال وافكار من قرأوا التاريخ فانه يرقي الفكر الي درجة عظمى

ويؤثر في الاخلاق تأثيراً لايمكن ان يصل اليه الانسان من دونه ويرقى العقل اكثر مما يتصور . وشيء يحضر بين يديك العصر الخالية والامم البائدة والممالك السحيقة باعمالها وعاداتها واخلاقها ومدنيتها وحسناتها وسياستها ويمثل الحوادث بين يديك كلها لتاخذ منها خلاصة المستحسنات وتبتعد عما عداها لجدير ان تكون له اعظم فائدة

حسبك في هذا ايضاً كتاب الله الذي اتي على شيء كثير من تواريخ الامم وحث على التأمل في احوال البائد منها لغرض الاعتبار والموعظة

ولكن من المحزن اننا نجهل تاريخ كل شيء حتى تاريخ انفسنا . . وقد لايكون للتاريخ عندنا حظ الا ان اصله توريخ او تأريخ . . .

قلت نجهل تاريخ انفسنا وهو حق لاننا نجهل تاريخ وطننا وعنصرنا ودولتنا الحاكمة علينا ولا نعلم من هذا ما يعلم غيرنا عنا . نجهل تاريخ ملتنا وكيف ظهرت . نجهل تاريخ مذاهبنا وكيف نشأت . نجهل تاريخ الامة الاسلامية والاطوار التي تقلبت فيها

وكيف تشتتت وتمزقت كل ممزق وما هي اسباب ذلك (كما اننا لانعلم الآن في اي البقاع هي ومن يحكمها وما هو حالها للجهل بالجغرافيا) هذا فضلاً عن ان نعرف غير ذلك من انواع التاريخ . واي نقص بعد هذا النقص واي عيب بعد هذا العيب

لو كان هذا العلم من المستصعبات لكان في ذلك بعض العذر ولكنه في الحقيقة علم سهل . علم اوقات الفراغ . علم يصح ان يؤخذ مأخذ الراحه من عناء التفكر فى العلوم الاخرى . علم يكفى الانسان ان ينظر اليه نظرة قبل نومه وهو مستلق على فراشه . اذاً فليس من مانع يمنع عنه الا مجرد الكسل وعدم التنبه وعدم الاحساس بالنقص المخزي وفقدان ملكة حب الكمال من وجهه الحقيقي

من التاريخ تاريخ اطوار النابغين في العلوم والمعارف والمخترعين والمكتشفين والمؤثرين في ترقية الامم والفاتحين والملوك المجددين للدول الخ الخ وقراءة مثل هذا يبعث في النفس نشاطاً شديداً ويحمل على الجدوالعناية والترقي ويجدد في الانسان

حب الكمال والوصول الى اعلى مناصب الرفعة من اوجهها الحقيقيه الممكنه ويعلم الانسان الثبات ومصارعة الايام وذلك اهم ما يتوقف عليه التقدم

ومن التاريخ ايضاً تاريخ الملل والمذاهب والآراء وهو من اهم ما ينبغي ان يعنى العلماء بل قد يكون من خصائصهم

وهنا استلفت الانظار الى انه لولا التاريخ ما امكن فضيلة استاذنا الشيخ محمد عبده ان يأتي بكتابيه الجليلين (الرد على هانوتو (والاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) على النمط الحسن المحكم الذي جرى عليه فيهما ولا ان يذب عن الاسلام ويدافع عنه بما يقبله ويشهد بمتانته كل انسان

فلهذا ولغيره اري من الواجب على العلماء وطلاب العلم دراسة التاريخ والاعتناء به والاستفادة منه وان يكون عندهم بالمنزلة التي ينبغي ان تكون لعلم مثله والله هو الهادي والمعين

الجغرافيا

الجغرافيا هو العلم الذي يتشوف اليه كل انسان بطبيعته وهو الذي يتسائل كل الناس (ومنهم العلماء) عن مسائله بسوئلهم

اين الهند واين الصين واين اوربا واين اليابان

هو العلم الذي يوجبه حق الاخاء والاتحاد والتعاون بين المسلمين المنتشرين في بقاع الارض اذ من اللازم ان يعرف المسلم فضلاً عن العالم ما هي الاماكن التي يتوطنها المسلمون وكم عددهم وما هي كيفية معاشهم وما هي الحكومات الحاكمة عليهم الى غير ذلك وكل هذا لايمكن ان يعرف الا من الجغرافيا

الجغرافيا هو العلم اللازم لكل من يغار على دينه ويهمه انتشاره في بقاع الارض ليعرف بما يمكن نشره فيها وما لايمكن كما يعرف القسس ان اواسط افريقيا مثلاً وان صعبت مسالكها كما هو مبين في الجغرافيا ولكن من السهل نشر المسيحية فيها لان اهلها متوحشون على غير دين او على دين وثني والاكثر تابع لحكومات مسيحية فيأتون افريقيا ويتجولون فيها وهم كأهلها في العلم بها وبطبائعها قد لايحتاجون الى دليل ولا يمكن ان يغرر بهم لحد . ولكن من اين يكون لنا هذا ونحن لولا واجب الصلاة ما عرفنا اين الحجاز . وانى لنا مثل هذا ونحن لانعرف بلاد المسلمين فضلاً عن غيرهم

اترى انه لولا الجغرافيا كان يمكن للعرب ان يفتتحوا الممالك وينتشروا في تلك الاقطار الواسعة

اترى انه لو لا الجغرافيا كان يمكن للاوربا وبين ان يغلبوا على الشرق ويحتلوا بلاده ويحتكروا خيره ويضعفوا تلك القوى الاسلامية الهائلة بل يعدموها. حتى انهم يقاسون اشد المتاعب ويرتكبون الاهوال ويخاطرون بانفسهم في السياحة لمجرد وصف البلاد وبيان مواقعها وطرقها وعادات اهلها ودياناتهم الخ الخ الخ

الجغرافيا دليل السياحة في الارض والسياحة رأس النجاح وداعية الكمال واس الفضائل وكم مرة حث القرآن عليها بنحو قل سيروا او لم يسيروا الخ الخ . ولكن نحن ما اجهلنا بحاضرنا وبادينا وما اشد تقصيرنا في اداء الواجب. لمَ لانتعلم الجغرافيا فنعلم مواقع البلاد وما هي عليه . لمَ لانتعلم الجغرافيا ونسير في الارض ونسافر في طلب المعالي . لمَ لانتبع سبيل اجدادنا الذين كانوا يسافرون الشهور لمسئلة واحدة من العلم. اليس من العيب ان لانعرف موقع عاصمة دولتنا العلية . لمَ لانعرف البلدان ونكثر من السفر الى الهند ليشد بعضنا ازر بعض والى الصين لنقوي

اخواننا هناك والى العجم لنزيل سوء التفاهم الديني بين الامتين ونزيل هذا التباغض والعداء الحاصل لاسباب واهية . لم لانذهب الى مراكش دعاة الي الاصلاح والنظام والتقدم والمحافظة على الاستقلال بتعميم العلم والتربية مبينين ان الدين لايخالف كثيرا من محدثات الافرنج. لم لانذهب الى بلاد العرب حيث الامم البدوية لنرقي من عقولهم ونقوم من اخلاقهم . بل لم لانسافر الي اوربا لنوقف الناس هناك على حقائق الدين الاسلامي بالاسلوب الحسن ونجاهد في الله ذلك الجهاد العلمي الذي لاتسيل فيه الدماء ونزيل تلك الاكاذيب التي يشيعها بعض رؤساء النصرانية عن الاسلام واهله

وكل هذه الواجبات لاتتم للانسان وتسهل عليه الا بعلم (الجغرافيا) ذلك العلم البسيط الضروري الذي انتشر وصار يعلمه سائر الناس حتى صغار المكاتب ولا يجهله الا نحن ورعاة الغنم . هب اننا لانحب ان نعلمه لامثال هذه الثمرات التي قدمتها اليس الجهل به الآن يعد عيباً عظيماً ويحط من قدر الانسان مهما كان كعبه عالياً في العلم او الورع

ولا بأس ان اذكر هنا حادثة سمعتها علها تؤثر في اكابر علمائنا وهي ان فضيلة الشيخ عبد الكريم سلمان توجه مع احد افاضل جبل لبنان لزيارة فضيلة المرحوم الشيخ الانبابي فلما استقروا قام حضرة الشيخ عبد الكريم بواجب التعريف وان هذا الزائر من جبل لبنان فسأل المرحوم او احد الاكابر في مجلسه اين جبل لبنان فاشمأزت نفس الزائر وقال بعد انصرافه لقد اضعت خطواتي

ففضيلة المرحوم علمه لاينكر وفضله اشهر من ان يذكر وعلم الجغرافيا لم يكن ليأخذ منه اكثر من شهر وكذا غيره من اكابر العلماء ولكن انظر كيف ادى التهاون بالصغائر الى الحط من قدر الاكابر

افبعد هذا يليق ان نجهل هذا العلم فنخل اولا بالواجب الديني وثانيا بالواجب الادبي وثالثا بالواجب المادي الذي من اهم اسبابه السياحة التي لاتتم الا بالجغرافيا

يقول جمهور العلماء والطلاب ان الجغرافيا من العلوم (الاجنبية) (ومن قبل ولا يزال بعضهم يسمي نحو المنطق والبيان (العلوم البرانية) وينظرون الى هذا العلم كما ننظر الى الاشياء الداعية الى

التفرنج والتي تعد من مقدمات الانسلاخ عن الدين ولهذا فقد قابلوا تقرير تعليم الطلاب علم الجغرافيا بالسخط التام وعدوا ذلك من المصائب التي تدل على اننا في آخر الاعصار التي تتوارد فيها المفذورات بضعف الدين وانحطاطه . ولكن لو نظرنا بعين التبصر لم نجد في الجغرافيا اجنبياً الا كلمة (جغرافيا) وان كل ذلك من فعل الاوهام والجمود الذي احاط بنا فان عدم تداول الشيء بيننا او بين آبائنا مثلاً لايكون دليلاً على بطلانه ومنابذته الدين . ووجود اقوام يأخذون مثل هذا العلم لخاصة التقليد الاعمى لايمنع كونه حسناً في ذاته ينبغي ان يؤخذ لما فيه من المنافع لا لمجرد التقليد والتفرنج وخلع القديم من حيث هو قديم واخذ الجديد من حيث هو جديد

فلهذا ارى انه لابد للعلماء الذين لايعلمون هذا العلم ان يتعلموه ويعلمون انه يكفي له اوقات قليلة من اوقات الفراغ وانه علم يؤخذ . بأخذ التسلية والاستراحة من الاشتغال بتحقيق مسائل البلاغة والمنطق والكلام

اللغات الاجنبية

مما اراه واجباً على العلماء تعلم اللغات الاجنبية فانهم نواب عن سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتبليغ وكيف يمكن تبليغ تلك الامم الكثيرة التي لاتعرف العربية وايقافها على حقائق الدين الاسلامي اذا لم يكن حملة الدين عارفين بلغاتها واساليب تلك اللغات وآدابها ليمكنهم ان يصوروا لهم المعاني المطلوبة بصور موثرة

يكاد يكون اختلاف اللغات اختلافاً نوعياً ذاتياً لانه يوجد من الوحشة وعدم الائتلاف اكثر مما يكون بين نوع وآخر وبسببه لايمكن لاحد الطرفين ان يشارك الآخر في ما يحس به وفيما يخالطه من الوجدانات والآراء والافكار والاميال بل قد يوقع في سوء تفاهم وتعاند من غير ان يكون هناك ما يوجب ذلك وقد يفهم احد الطرفين في الآخر الخسة والدناءة وسوء القصد و.و.و. الخ من غير ان يكون هناك تحقق لشيء من ذلك . ولا مثال لهذا اكثر مما بين الامم الاسلامية

و بين الافرنج

ولو كنا نعلم اللغات الاخري لزال اكثر ذلك ولأمكن لعلمائنا ان يقنعوا سواهم بمزايا الدين وفضائله

هوءلاء القسس والمبشرون بالدين المسيحي يجاهدون اشد الجهاد و يقاسون اشد المتاعب في تعلم اللغه العربية لكي ينشروا بواسطتها الدعوة الى المسيحية بين المسلمين ثم هم يجازفون بارواحهم في سلوك الصحارى والقفار واقتحام اشد الاخطار و يغادرون بسطة العيش ولذة الراحة والترف في بلادهم طمعاً في تنصير واحد من المسلمين او غيرهم . افلا يكون لنا من ذلك عظة والا يكفينا هذا تنبيهاً على اداء الواجب

يحرف دعاة النصرانية كلام الله (القرآن) عن مواضعه و يترجمونه تراجم فاسدة و يفترون على رسول الله الكذب و يصفون من الاحوال المفتراة على رسول الله وعلى اصحابه ما يمثل الاسلام والنبي واصحابه اشنع تمثيل واقبحه كي يوغروا صدور تلك الامم علينا ويملأوها بغضاً و كراهة واحتقاراً للاسلام والمسلمين ونحن لاهون غافلون كسالى عن القيام بالواجب ثم يقوم رجل من الافرنج يذب عن

الاسلام ويبين فساد ما افتروه وكذب ما ادعوه ونحن نائمون لانسمع ولا ندري شيئاً من هذا الموضوع بل ويأتي بعض المسلمين اهل الغيرة فيترجم هذا المقال باللغة العربيه ثم لايصل خبره الى اسماعنا. وهل يعلم اكثر العلماء ان في الوجود كتاب اسمه (الاسلام . خواطر وسوانح) مطبوع باللغة العربية في هذا الموضوع. كل هذا لتجنب لغات العالم مع الغفلة عما ينشأ عن ذلك من الاضرار الجمة والقصور المعيب

لعل اكثر علمائنا لايعلمون ان بعض الاجانب كان يعلم الناس ان النبي كان شراباً للخمر يمضي ليله مع المومسات ثم يصبح مدعياً انه كان مع جبرائيل عليه السلام وانه انما موه على عقول الناس بانه اتي بحمامة وصار يضع لها حبات القمح في اذنه حتى اعتادت التقاطه منها ثم اخرجها امام الناس فكانت تأتى لتبحث عن غذائها في اذنه وهو يوهم انها جبرئيل اتي ليلقى فى اذنه كلام الله وان دين الاسلام دين وثنيه الي غير ذلك من الافك والبهتان العظيم وكانت نتيجة ذلك ان تمثل المسلمون في اعين الاجانب بهيئة المتوحشين الناقصين الاشرار

فاولاً رغبوا بالمرة عن دين الاسلام وعدوه من النقائص وثانياً ساموا المسلمين بانواع الخسف والاحتقار وكروا عليهم بخيلهم ورجلهم وامتلكوا ديارهم ومالهم . افلو كان هناك من علمائنا من اتاهم الله من الحكمة وقوة العقل والتنور وسعة الاطلاع ومعرفة لغات الامم والخبرة باساليب السياسة والارشاد والتحايل ما يليق بالعلماء اما كان في قدرته ان يخفف من حرارة هذه النار المستعرة في الصدور ويخفض من هذه الاحقاد المتمكنة في القلوب ويدفع عن المسلمين شر هذا الاحتقار بحسن ارشاده وفائق حكمته واقناعه وبيانه لحقائق الاسلام ومحاسنه الجمه المنطبقة على المصالح الاجتماعية والطبيعة والانسانية وشرح اسراره ومقاصده السنية . بل اما كان يرغب الكثيرون من الاجانب في اعتناق الاسلام فان تلك الامم المتعددة والجموع الكثيرة لاتخلوا ممن اذا عرف الحق اخلد اليه ولم تؤثر عليه مظاهر العادة واقاعيل الاوهام

واني لاازال اقول ان العالم اذا استكمل عدته وادى وظيفته فعل ما لاتفعله الاساطيل ولا تأثر معه مدافع مكسيم وقلب كيان العالم وبدل نظام الوجود كما يشاء الله والته في ذلك انما هو

العقل المفكر واللسان المبين . انا لا انكر ان هناك من الناس من يتعلم اللغات الاجنبية لمجرد التفرنج والمحاكاة وحب التظاهر والتحقق بصفات وعادات الافرنج مما لا علة له سوى ذلك ولكن هذا لا يمنع من وجوب تعلم هذه اللغات لامثال العلل والاغراض التي تقدم بيانها فذلك من اهم المهمات التي ينبغي ان يتنافس فيها اهل العلم والله يهدينا جميعا الى الصراط المستقيم

الحساب

ماذا اقول في هذا العلم وهو من الضروريات الاولية واللوازم الادبية والواجبات الدينية لتعلم نحو الفرائض والقيام بفرائض شتى علم لا يستغني عنه المتوحشون فضلا عن غيرهم . علم ينبغي ان يتلقاه الانسان مع اول ما يتعلم . علم يقوي العقل ويورث النظر الصحيح . علم لم يتركه ساداتنا الاولون فكيف يجوز لنا مع هذا ان نتركه ونضرب صفحا عن منافعه التي لا يستغنى عنها ابدا وكيف نرضى على انفسنا هذا النقص الفاحش والخلل الواضح ولا نتعلم شيئا ضروريا يعلمه ويعلمه من هو اصغر منا واحقر في نظرنا انه ليس من العار الكبير ان يوجد كثير من العلماء لو سئلوا عما

لكن نتيجة ضرب بعض الاعداد البسيطة لا يجيبون الا سكوتاً اليس من العار
وان [illegible] بوجه [illegible] في مدارستنا الدينية التي نحن اساتذتها
ومعلموها قوم [illegible] من اساتذة المدارس الاميرية يعلمون هذا
العلم [illegible] كثيرة ثم لا نأخذنا الغيرة [illegible] نتعلمه ثم نعلمه
[illegible] المتقن [illegible] الطاهر [illegible] بعض ما كان [illegible] ان يتعلم منهم اياماً
[illegible] ان يكون [illegible] النقص عنهم دائماً ينبغي ان يكون ظهور
الانسان [illegible] في نفسه [illegible] عند الناس [illegible] في نفسه ان يتعلم
ما يحقق [illegible] لان كانت الفضيلة عندنا بكبر العقل وسرعة الادراك
[illegible] فان علم الحساب افضل ما يعين على ذلك فلهذا
[illegible] انه لا بد لمن يتعلم هذا العلم من العلماء والطلاب ان
[illegible] ولا يستنكف ان يتعلمه ممن هو اصغر منه ان لم يمكنه
الاستقلال [illegible] التقصير الخضوع للصغير على انه اولى من
[illegible] الجهل والله الموفق والمعين [illegible]

لايظن القارىء من وضعي لهذا الاسم ضمن ما ارى ان
يعلمه الطلاب والعلماء انني اريد ان اجعلهم مهندسين وان

اجعل المدارس الدينيه تغني او تضارع مدرسة المهندسخانة . كلا ولكني اريد ان نتعلم مبادئ هذا العلم واجب لتقوية العقل وتقويمه وتوسيع دائرته فلقد كان الحكماء السابقون لايقبلون من التلامذة الا النابغين في هذا العلم لنفس هذه الحكمة وايضاً فان طبيعة الجهل بشيء مما يعلمه بعض الناس يؤدي الى النقص في اعينهم والعالم من حيث هو عالم ينبغي ان يتأهل ليكون محترماً في اعين سائر الطبقات وخصوصاً اهل المدارس وذلك لايكون الا اذا كان لدى العلماء الملم بشيء من سائر ما يتعلمونه فيها . كيف لايكون من الامور اللازمه تعلم مبادئ الهندسة ولنا في كل يوم وقفة حينما ترد في الكتب التي نقرأها في نحو المنطق امثلة هندسية فلا نكاد نفهم المراد . فلذلك ارى من الكمال الواجب ان يتعلم العلماء والطلاب شيئاً من الهندسة بل شيئاً من كل علم على قدر ما تسمح به الظروف . نعم لااقول ان الهندسة كالحساب ولا كالجغرافيا ولا كالتاريخ ولكني اقول انها كمال وان منها قدر لازم والله الموفق لما فيه الخير والصواب

الانشاء

اذا كان المرء باصغريه قلبه ولسانه فلا شك ان القلم احد اللسانين بل هو افضلهما واحقهما بالعناية والاعتبار لان عمله عام دائم فعمل اللسان الاصلي من الاعراض السيالة قد لا ينتفع به الا من يخالط صاحبه ويسمعه اما عمل القلم فهو من الصفات الثابتة ينتفع به من يخالط صاحبه ومن لا يخالطه ولو كان بينهما بعد المشرقين بل وينتفع به من في عصره ومن يأتي بعده على ممر الليالي والايام ولان قامت الحاجة الي الكتابة في كل عصر فهي في هذا العصر اشد كما انه وان احتاج اليها جميع الناس فان العالم اشدهم احتياجاً لانها من اهم اسلحته التي يقضي بها اغراضه ويقيم بها من دعائم الاصلاح ما شاء الله

فضل الانشاء معلوم من اول الدولة الاسلامية وقد كان سابقاً لاصحاب الاقلام النصيب الاوفر من التقدم والرفعة بل كان هو الميدان الذى يتسابق فيه الفضلاء من اهل العلم والادب

لا ينكر فضل الانشاء وقيمته العالية احد حتى الجهال والبسطاء

والاميون الذين يحبون دائمًا ان يكتبوا لاهليهم واصدقائهم بعبارات انشائيه بليغة وقد يدفعون في سبيل ذلك اجورًا عظيمة . وفائدته في التأثير اشهر من ان تذكر فقد تفعل الجملة الواحدة من جمل الانشاء ما تعجز عنه السيوف والحراب والمدافع وطالما اورث الانشاء غني وجاها وجلب سلاما واقام حروبا ونجى من الموت وطالما كانت له اليد الطولى في توبة العصاة وانابة الفاسقين ومن العجب ان يجهله مع ذلك علمائنا جهلا فاحشا وصل بهم الى حد ان تضرب بهم الامثال في ذلك وان تتخذ بعض مكتوباتهم سخرية واستهزاء لدى بعض الناس

وحقا ان اكثرهم لا يحسن كتابة الخطابات العادية فضلا عما يحسنها تلامذة المدارس الابتدائية وهذا من العار الفاضح والخزي العظيم

يا عجبا كيف لا يعرف الانشاء قوم جعلوا العلوم العربية تخذهم مواضع التنافس والتسابق اكثر من العلوم الدينية المقصودة بالذات . عليها وقفوا حياتهم وفيها امضوا اعمارهم ثم يفوقهم في ثمرتها غيرهم من جمهور الناس لعمري كيف يجهل الانشاء من يكاد

لايكون لهم وسيلة في القيام بالواجب عليهم افضل من الانشاء ·
تالله ان هذا قلب للكيان نعوذ بالله العلي العظيم · اعجب من ذلك
اني سمعت كثيراً منهم يذم قراءة فضيلة الاستاذ الشيخ محمد
عبده وتآليفه بانهما اشبه شيء بكلام المحامين واصحاب الجرائد
كانهم ظنوا ان الخروج عن الاسلوب المعهود بينهم يعد من الغلطات
الكبرى والنقطة المضيئة على ان اسلوب الجرائد الآن من احسن
الاساليب واشدها تاثيراً ومناسبة للغة الفصحى ولو ان علمائنا
يعرفون ان يكتبوا كما يكتب اصحاب الجرائد لعدوا من الصف
الاول في البراعة والبلاغة وهب جدلاً ان هذا الاسلوب
غير حسن في ذاته اليس هو الاسلوب المشهور والمؤثر الآن
فلماذا لا نعلمه ولماذا لا ناتي باحسن منه ان امكننا على اني لا افاضل
عندي في الكلام الا بقدر ما فيه من التأثير حتى اني افضل
العامية على العربية متى كانت مؤثرة اكثر منها وعلى كل حال
فان تعلم الانشاء واجب من الواجبات المهمة سواء كان نثراً او
نظماً ولا احب الاكثار من النظم ولكن يجب ان يكون مقدوراً
للعلماء وطالب العلم والله الموفق لما فيه الخير والسداد

العروض

علم العروض من ابسط العلوم على الحقيقة كما انه من اشدها لزوماً للعالم لا لاجل ان يقول الشعر فقط بل ولامر آخر اهم وهو التمكن من قراءة الشعر سليماً من الكسر . والشعر لايخلو منه كتاب من كتب الدراسة تمثيلاً او استشهاداً

ولكن من الغريب ان اكثر العلماء لايعرفه وطالما سمعنا منهم كسراً وتخليطاً في الابيات الشعرية.

ولبئس النقص ان يكون الشخص من كبراء العلماء ولا يدري هل هي مثلاً لهم بالضم او بالسكون وكم مرة رد في هذا الموضوع الصغير على الكبير وهذا اعظم دواعي التحقير

فمن هذا ارى وجوب تعلم هذا العلم على من لايعلمه ولا يجب التوسع فيه ومعرفة الدوائر وامثالها بل قد لايحسن ولهذا الموضوع بقيه تجدها في مقدمة رسالتنا (المسلك الجديد) لعلمي العروض والقافية

علم متن اللغة

هذا العلم من اجل العلوم واعظمها قدراً بل هو للعلوم العربية

باسرها بمنزلة الاساس او العماد . وحاجة العلماء والطلاب اليه شديدة ليكون لهم مادة وافية بها يتكلمون ومنها يكتسبون احياء للغة العربية ونشرا لالفاظها وتجديدا لمعاهدها وليمكنهم ان يفهموا كتاب الله وحديث رسوله وكلام اصحابه وما ورد عن العرب في الجاهلية والاسلام من كلامهم المنظوم والمنثور المحتاج اليه في العلوم

وبازاء اشتغالنا بعلوم اللغة من النحو والصرف والمعاني والبيان كان المعقول ان نعطي اصل علوم اللغة شيئاً من الالتفات والعناية

ولكن من الغريب اننا تركنا هذا العلم ووصلنا في تركه الى حد لانعلم معه الغريب من الفاظ القرآن (وهذا امر سهل قليل) فضلا عن الحديث فضلا عن كلام المولدين فضلا عن كلام العرب الخلص

ترى احدنا قد يكرر الآية في صلاته وهو جاهل ببعض مفرداتها وان سئل في معنى بعض الاحاديث احتاج ان يراجع . امل كلام العرب وغيرهم من الشعراء المولدين لا حتى الموجودين في

عصرنا هذا) فلا يمكننا ان نقرأه الا وبين ايدينا اسفار اللغة نراجع فيها اكثر كلمات كل بيت حتى ان قراءة عشرة ابيات من الشعر العربي او غيره وفهم الفاظها قد يأخذ اكثر من ساعة في المراجعة

بلغنا في هذا التقصير الى حد صرنا فيه نسمي ما لانعلمه من الالفاظ (بالكلمات اللغوية) ولو وجد مع هذا عندنا حب المراجعة لكان فيه تسلية وتدارك للنقص بل لزال هذا النقص على التدريج ولكن من المحزن ان ذلك مفقود ايضاً فترى احدنا اذا سمع كلاماً لايفهمه قال (هذا كلام لغوي) ثم اعرض عنه ونأى بجانبه ولم تهمه معرفته ولا مراجعته

ماذا يكون حالنا من الخجل اذا جمعتنا باحد الادباء او العلماء جامعة ودار الكلام على شيء من هذا وظهر اننا خلو منه بالمرة في حين انهم من اعظم المطلعين على اللغة . الا يستهزؤن بنا ويسخرون ويعتقدون ان العلماء ليسوا بشيء يذكر

نري التلميذ الصغير في المدارس الاميرية وغيرها يحفظ من كلمات اللغة الاجنبية ما يزيد عن الالفين ونتكاسل نحن في

في لغتنا هذا التكاسل الشنيع الا تكون منزلتها منا منزلة اللغات الاجنبية فى المدارس او نفرضها لغة اخري غير لغتنا ونعيرها شيئاً من العناية

انا لااريد ان نحيط باطراف اللغة حتى لانحتاج الى المراجعة فان ذلك قد يكون متعذراً . وانما أريد انه يجب ان نزاول هذا العلم حتى نعد من المطلعين فيه وحتى لانحتاج الى المراجعة في كل شيء وان كان بسيطاً سهلاً

فعلى علمائنا وطلابنا العناية والالتفات تداركاً لهذا النقص والله خير موفق ومعين

علوم حقايق الموجودات

وخواصها واسرارها

يندرج تحت هذا العنوان علوم شتى لاتكاد تحصى عدا من نحو الكيمياء والطبيعه والهيئه والطب و . و . و . الي آخر ما قد لايخطر اسمه لي (ولا لعلمائنا) على بال و كلها من العلوم المفيدة اللازمه في الدين والمعاني الادبيه والامور الماديه وقد دعا الله

الى النظر في موضوعاتها غير مرة بل اكثر القرآن جاء حاثاً على النظر في الموجودات

ولا شك انه وان كفى النظر السطحي ولكن التحقق من هذه الاشياء على الطرق العلميه مما يورث كمال اليقين . ان اعتقاد الناظر في هذه العلوم والعالم ببعض تفاصيلها هو الاعتقاد الكامل الذي يعد النفس الى الاقتراب من موجد العوالم كلها. وفرق كبير بين الاثر الذي يحصل فى نفسك اذا سمعت ان فلان شجاع كريم على سبيل الاجمال وبين الاثر الذي يحصل عندك اذا شاهدت جزئيات وقائعه في الحروب ونظرت ما يصدر عنه من الاحسان نعم نعم فرق بين الاجمال والتفصيل - فرق بين الشهودوالتقليد. الوجدان الذي يحصل من الاستكمال العلمي والنظر فى الموجودات ومعرفة انواعها ونظامها وترتيبها الخ يرفع الانسان الى حد يكاد يجعله سلطان العوالم كلها (ولا شك فالعلم نوع من الاستيلاء على المعلوم) ويريه كانه يشرف عليها من كوة عاليه فوقها ويخيل له معنى السعادة والغنى التامين والكمال المطلق ويقربه من شهود مبدأ الوجود وشلي مج كهذا كيف يهمله العلماء وكيف لاتعلم منه

لان كان امتياز الانسان عن انواع الحيوان وفضله عليها انما هو بقوة النطق والفكر والعلم فلا شك ان النظر في الموجودات مما يقويها و ينميها ويحقق معني التفضيل بها وان نسبة المستكمل في هذا النظر الى سواه كنسبة الانسان الي الكلب الذي يشاركه في مطلق الادراك بل واخص منه وهو ادراك المنفعه والمضرة فكيف مع هذا نجهل هذه العلوم ونحن العلماء الذين لا صناعة لهم غير العلم والاستكمال فيه ولنا من الوقت ما يمكن ان يحقق هذا الكمال فيه

ولان كان امتيازه باتقان الفعل وحسن الآثار وتحصيل المصالح والابتعاد عن المضار فلا جرم ان ذلك لا يكون الا بالاستكمال في العلوم الكونية والنظر في خصائصها واسرارها فكيف لا ننظر فيها على قدر الطاقة

دع عنك هذا اليس الجهل بها في هذا الزمان الذي انتشرت فيه المعارف وتقدمت فيه العلوم يعد من النقائص الموجبة للتحقير والالمام بشيء منها يعد من اسباب التفاضل ويجعل الانسان كبيرا

محترماً في اعين الناس واليس العلماء وطلاب العلم اولى الناس بتربية المهابة والتحقق باسباب الاحترام ليكون هناك تأثير لنصحهم وارشادهم الديني

تالله ان معرفة شيء من هذه العلوم لمن اعظم ما يكسب العلماء والطلاب النفوذ والتأثير الواجب و يرفعهم في اعين الناس ويجعل اهل الطبقات العليا خاضعين لهم مطيعين لارشادهم

منافع هذه العلوم منافع جمة لايستغنى عنها الانسان في هذا الزمان وكل ما يتمتع به الناس (ومنهم العلماء والطلاب) هي من آثارها التى توجد في لباس العالم ومسكنه واثاثه وكتابه و٠و٠الخ وتركها هو الذى اوجب للامة الاسلامية هذا الذل والصغار والتفرق وهو الذي رفع الاوروباويين عنا وجعلهم سادة وملوكاً وجعلنا عبيداً وخدماً فالواجب على العلماء ان يجعلوا فى مقدمة ما يرشدون الامة اليه ويحثونها على التمسك به الاشتغال بالعلوم الكونيه والانتفاع بها ولا يتم لهم هذا على الوجه لمفيد الا اذا كانوا عالمين بها ولو على وجه الاجمال

و بالجملة فان فوائد هذه العلوم لاتكاد تحصى ووجوب

الاشتغال بها لايختلف فيه العقلاء فالواجب علينا ان نعرف مبادئها وشيئاً من مسائل كل علم اذ الاستكمال فيها غير مقدور الا لمن يريد ان يقصر اشتغاله على علم منها او علمين وذلك ينبغى ان تقوم به فرق من الامة غير العلماء

المعلومات المتنوعة

يحتاج كل انسان يريد ان يعد من رجال هذا المجتمع الانسانى اليوم ومن اهل الطبقات المهمة فيه الي معرفة كثير من المعلومات المختلفة التي لاتدخل تحت حصر مما يتعلق باصطلاحات الناس ورسومهم وعوائدهم ومما يتعلق بالمكتشفات والمخترعات وطرق المواصلات ونظام الحكومات واصطلاحات البريد ونظام البيوت وحاجياتها وانواع الملابس واثمانها الخ الخ الخ ولا شك ان العلماء وطلاب العلم احوج الناس الى معرفة ذلك للانتفاع به في انفسهم وللاستعانة به في تأدية واجب الارشاد وليكونوا محترمين كاملين في اعين سائر الطبقات ولكنهم على ما علم مما تقدم يجهلون اكثر الاشياء الضرورية التي من هذا القبيل وهذا عيب كبير ونقص ظاهر ومن الواجب الالتفات الى مثل

هذه الاشياء التي يسهل تحصيلها وتكبر نتيجتها و يضر اهمالها والله الموفق الي ما فيه الخير والنجاح

اقتراح مفيد

الساعة وانا افكر فيما عساني ان اكون تركته من العلوم اللازمه وفى المقادير اللازمة منها وفي معرفة الكتب التي تفيد ذلك بسهولة · عنّ لي ان اقترح على روءسائنا السعي في ايجاد كتاب مختصر جامع لسائر انواع العلوم قديمها وحديثها شرقيهـا وغربيها عربيها وروميها وافرنجيها بحيث تذكر فيه مباديء كل علم ومنافعه ومزاياه والكتب المؤلفه ومشاهير أئمته وكلماته الاصطلاحيه وتفسيرها الخ الخ الخ ثم تذكر جملة لائقه من مسائله بعبارة سهلة بحيث تفيد الالمام البسيط بهذا العلم و يمكن ان يفهمها المتوسطون من غير احتياج الى معلم

والسعي في ايجاد كتاب آخر يجمع سائر المعلومات المتنوعه اللازمه في العصر الحاضر بحيث يغني الطالب عن البحث والتفتيش

ثم عنّ لي ان اقترح ثانياً على ساداتنا الافاضل ممن يعرفون شيئاً من العلوم اللازمه المجهولة الآن في للمدارس الدينية ان يتبرعوا

ويجودوا على العلماء وطلاب العلم باعطاء درس منها في المدارس الدينية قياماً بالواجب الديني والاخوي والوطني والادبي وحباً في تقدم رجال دينه واهل ملته وزكاة لمعارفه التي وهبها الله له فيدرس الطبيب في اصول الطب ومسائله وقوانين الصحة وبيان المفردات التي تحويها الاجزخانات اليوم باسمائها ومنافعها وكذلك المركبات المحضرة وغيرها الخ الخ

اقتراح آخر

ليس يخفى ان هناك مسائل كثيرة خرافية لاتكاد تخلو منها كتب كثيرة وذلك كما ورد في كتاب بدائع الزهور وغيره عن منبع النيل وانه من قبة يتفجر منها انهار اربعة وان رجلاً وصل هناك وركب الفلك الخ وكما يظن بعض الناس من ان الارض محمولة على الثور وكما يعتقد ان الخياطة يوم الجمعة تورث كذا الى غير ذلك مما لايحصى

وهناك اشياء كثيرة يظن الناس انها من الدين وليست منه واشياء يظن الناس انها ليست منه وهي عريقة فيه

وان هناك مسائل كانت تقرر على وجه وقد بين الاكتشاف

وبرهنت العلوم العصرية على ضدها

وان هناك احاديث موضوعة كثيرة منشره

وان هناك عقائد كثيرة فاسدة

وان علمائنا اليوم يختلفون في بعض المسائل

ولا يخفي ان ترك هذه الاشياء كما هي فساد كبير يؤدي الى تغيير معالم الدين والى عدم ثقة الناس بالعلماء والى فهم الاجانب ان الدين يضاد الحقائق فلهذا اقترح ايضاً عقد مجتمع كبير ينظر في امثال هذه المواضيع ويقرر الحق فيها وينشره بين الناس بعبارة عربية بسيطة ليطلع عليها الخاص والعام ويكون هناك فائدة حقيقية من وجود العلماء ويتحقق انهم حماة العقائد وحراس الدين

كتب الفنون

المؤلفات القديمة

لايعلم الا الله مقدار الكتب التي الفها قديماً في الفنون المختلفة والمواضيع الكثيرة فحول العلماء وكبار الحكماء البالغة حد النهاية في الكمال ونهاية التحقيق والاسفار عن مكنونات الحقائق . كما لايعلم الا الله مقدار تعبهم في الوصول اليها وتحضيرها بعبارات

حسنة · اي نعم لايعلم الا الله مقدار تلك الكتب التي تركوها
لنا ميراثًا يورث سعادة الابد ويستوجب الغنى الذي لافقر بعده·
ميراث ثمين لاتقدر قيمته وقد لايجود الدهر بمثله · ميراث حصلوه
لنا باتعاب العقل والجسم وبذل النفس والمال · ميراث كانت
تحسدنا عليه اكثر الامم · ولكن مما يوجب الاسف اننا كنا ورثة
سفهاء مبذرين غير بالغين سن الرشد فلم نلبث ان ضيعناه ولم
ندر اننا ضيعنا معه انفسنا · واعدمناه فعدمت معه سعادتنا المنتظره
وذهب بذهابه مستقبلنا السعيد

ياحسرتاه على ما فرطنا· ياحسرتاه على الكنز الثمين · ياحسرتاه على
الاثر النفيس · ياحسرتاه على اعمال الرجال وثمرات اتعابهم التي
ذهبت سدى · ياحسره ويا الف الف حسره · اكل السوس تلك
الكتب العالية الغالية الثمينة واعدمتها يد الجهل والاهمال

كتب الشقاء وسوء الحظ على طلاب العلوم الاسلامية في العصر الاخير
حيث لم يصل الى ايديهم ما تركه لهم اجدادهم بسبب وقوعه في يد من
لم يعرف قيمته· كم من كتاب نفيس اكله السوس · كم من كتاب مزق·
كم من كتاب حرق· وعلى هذا النمط ضاعت تلك الكتب وذهبت ولم

يبق منها الابقية باقية متفرقة في الزوايا كادت تذهب ايضاً لاهمالها لولا ان بعث الله من ينشر بعضها مما لم يكن الناس يعرفون اسمه من قبل . فما هذا القصور والتقصير بل ما هذا السفه والتبذير

اليس من العجيب ان تهمل الكتب النفيسة حتى تضيع وتعدم ولا يتمسك الا بالكتب التي تعد من حثالة الكتب لما فيها من القصور والخطاء وعدم حسن الافادة وعدم التحقيق . ما لنا لانرى اليوم متداولاً من كتب اسلافنا الا النادر التافه الذي لايعد شيئاً بجانب ما اهمل

تالله لولا ان الله اتاح للامة قوماً قليلين ممن يحبون اظهار الكتب النافعة وآخرين ممن يحبون طبع الكتب للتجارة ما تمتعنا بشيء من الكتب النفيسة القديمة التي ظهرت في العهد الحديث

فعلم الاصول مثلاً لم يكن مطبوعاً فيه ومشهوراً سوى جمع الجوامع بحاشية البناني وحاشية ابن قاسم وهما من من التشويش والخلط والقصور بالمنزلة التي يعلمها الناس وكان الطلاب والعلماء يبحثون عن حاشية العطار (وهي ليست بذاك الشيء بالنسبة الى فقه العلم) فلا يجدونها وربما عثر بعضهم عليها او على شيء منها

فغبطه الآخرون فلما طبعت عدوا ذلك من حسن حظهم وعنوان سعادة جديدة ونشأة اخري عالية في علم الاصول ولم تطل الايام حتى اظهر الله في هذا العالم ما هو اعلى وابدع وهو مختصر ابن الحاجب والتحرير للكمال ابن الهمام والمنهاج للبيضاوي فكان ذلك عنوان النشأة الجديدة والسعادة التامة حقيقة لطلاب علم الاصول جروا بها في هذا العالم شوطاً طويلاً وعلموا ان العطار ليس بشيء في جانب ما في هذه الكتب من جواهر الاصول. وقد يكون هناك (وهو الواقع) ما هو اعلى وارقى ولكننا لانعرفه كما ان هناك في كل علم كتب نفيسة جداً لانعلمها بل هناك من الكتب ما الف في علوم لم تزل تلك العلوم مجهولة عندنا بالمرة اما مسمى فقط واما اسماً ومسمى. فما هذا الحال المميت. وما هذا الجمود الشديد. اقتصر على كتب لاترينا من حقائق العلوم الا اموراً بسيطة وكتبها النفيسة بجوارنا لاتمد لها الايدي حتى يأكلها السوس

ايجوز ان يتلقف الافرنج كتبنا ليترجموها او يطبعوها (بالعربية) ونحن عاكفون على حواشي السجاعي والبناني مثلاً. ايجوز ان يطبع

كتاب سيبويه في اوربا باللغة العربية وينشر ونحن لانعلمه ولا نعلم طبعه حتى يأتينا رجل منا الخارج يحب الكسب فينشره وينشرغيره من الكتب النفيسة الضرورية . وكم من كتاب طبع في غير هذه البلاد ونحن في اشد الحاجة الى مثله ولا نعلم اسمه ولا وسمه ولا ندري انه طبع مع سهولة المواصلات بيننا و بين سائر اطراف الدنيا

ظهر بيننا قريباً بعض علماء ممن بحثوا عن بعض الكتب القديمة النفيسة وطالعوها فكنا نعد الواحد منهم رب العلم ونظن ان هذا محض الفيض الذي خصهم الله به وكنا نبهت حين نسمع منهم معلومات وتحقيقات ومباحث لم نكن نعرفها من قبل . ولكن هذا على الحقيقة امرهم سهل جداً ولو بحثنا كما بحثوا وطالعنا من الكتب مثل ما طالعوا لكنا احسن منهم او مثلهم ولزال هذا التعجب وذلك الاستغراب

الكتبخانات

بلغ هذا القصور معنا اننا لانعرف ابواب الكتبخانات ولا نقصدها بل ولا يخطر ببالنا ان نقصدها يوماً من الايام للاستفادة

بما فيها من غرائب الكتب ونفائس العلم ولو كانت بجوارنا بل معنا ونمر عليها كل ساعة (ككتبخانتي الازهر والجامع الاحمدي) اللتين لاحظ للعلماء والطلاب منهما الا استعارة الكتب المشهورة لغرض التعلم والتعليم . . اليس من العجيب ان نرى الاجانب يصرفون اغلب اوقاتهم في الكتبخانات بحثاً وتنقيباً ثم نري آثار ذلك في مؤلفاتهم ومعارفهم وجميع احوالهم ولا يكون لنا شيء من هذا الحال مع اننا اولى به منهم على ما نعتقد

اليس من الغريب ان يسافروا من مملكة الى اخري ويسيحون في الارض ومن اجل ما يقصدون الوقوف على ما في الكتبخانات من نفائس الكتب في حين اننا لا نرضى ان نكلف انفسنا خطوات الى الكتبخانة الخديوية مثلا

يقولون ان في الكتبخانات الاجنبية كثير من غرائب الكتب العربيه . أفاقول كان ينبغي ان نسافر لاستطلاعها على فيها ما ليس عندنا

تكوين الكتبخانات وفتح ابوابها للقاصدين نعمة كبرى وباب سعادة هائلة لمن يدخل منه وبمقدار احساس هذا المعنى والاقبال

عليه تكون الحياة في الامم والاحزاب والفرق لكن ومن المحزن الغريب ان ليس لنا من هذا نصيب

كان ينبغي ان يسأم منا موظفو الكتبخانات لكثرة ترددنا وكثرة ما نطلبه من الكتب وكان ينبغي ان لاتخلو الكتبخانات منا . وكان ينبغي ان ننتظر الفرص بكل تشوف وننتهزها لزيارة الكتبخانات . وما هي الا الجنات لو كانوا يعلمون

فلهذا ولما تقدم ارى اولا انه لابد ان توجد الداعيه في نفوس العلماء والطلبة للبحث والتفتيش عن نفائس الكتب والسوءال عنها وجعل ذلك من موضع العناية . ثانياً انه لابد من انتهاز الفرص لزيارة الكتبخانات والاطلاع على ما فيها من الكتب الغالية المفيدة . ثالثاً انه لابد من اعداد محل واسع للمطالعة فى كتبخانتي الازهر والجامع الاحمدي . رابعاً تاليف لجنة تبحث عن الكتب النفيسة المطبوعة هنا او في الخارج و بيان فوائدها ومزاياها واثمانها والاماكن التي تطلب منها فى مصر او الخارج . خامساً الاتفاق مع اصحاب الكتب العالية الثمن على تخفيضها بالنسبة للعلماء وطلاب العلم حتى لايحرم منها الفقير

سادساً تاليف لجنة تبحث عما عساه يكون موجوداً من الكتب التي تكون اليق وانفع في التدريس من الكتب الحاضرة لكي يقرر مجلس الادارة الاعلى تدريسها والله ولي التوفيق

المؤلفات الحديثة

كان من نتائج الجمود عندنا والتمسك بالعادات والاحوال الموروثة ان صرنا لانحب الا الكتب القديمة ولا نميل الي الكتب الجديدة التي الفت في هذا العصر. بل ونعتقد ان ليس في الامكان ابدع مما كان وان من ضروب المحال ان يأتي اللاحق بشيء يساوي به السابق فضلاً عن ان يفوقه. وهذا كما ترى من اشد دواعي الانحطاط والتأخر ومن الامور المثبطة للهمم والقاضية على ثمرات افكار الفضلاء اهل العقول الراجحة الذين لايخلو منهم زمان

لو نظر المتامل الى تاريخ علومنا والتأليف فيها كيف كانا رأى ان تلك العلوم نشأت صغيرة ناقصة وان الكتب التي الفت فيها اولاً لم تكن وافية بالغرض ولم يزل يكتب ويؤلف علماء كل عصر تحقيقاً وتحريراً وتكميلاً واستدراكاً وتسهيلاً حتي وصلت

العلوم الحديثة لائقة وان اسلافنا كانوا اذا رأوا كتباً ظهرت انفع من المتداول تركوا هذا المتداول وتمسكوا بالنافع. فلماذا امتدت هذه الحركات حركات التقدم والترقي ولما وصلتنا وقفت ألجمودنا وانحطاطنا وتأخرنا كان هذا السكون ام لانه ليس فى الامكان ابدع مما كان على ما يقولون

تالله ان من القصور في النظر اعتقاد انه ليس في الامكان ترقية علومنا وايصالها الى درجة اعلى مما اوصلتها اليها يد السلف وان ليس فى الامكان ان توجد كتب اخرى واراء جديدة بل وعلوم ثانية لم تكن معهودة لمن قبلنا تفيد اعظم افادة في ترقي المعارف وتقدم الانسان

لو كنا نستعمل الجيد من كتب اسلافنا لكان لحجتنا في عدم قبول غيره شيء من القبول ولكن كيف ونحن ما تمسكنا الا بالردي. قليل الجدوى

انا لا ادري كيف يسوغ لأقوام تركوا نفائس الكتب القديمة وراء ظهورهم ورفضوا مبدأ المحافظة على القديم وتمسكوا بالحديث من نحو حواشي السجاعي وابي النجا والبناني وهي على ما نعلم من

الرداءة ان يعكسوا هذه القضية الآن ويتمسكوا بهذا الحديث الذي صار (قديماً) ويتركوا ما يحدث بعده مما لانسبة بينه وبينه في المنفعة والافادة · ها نحن نرى باعيننا فائدة الاعتناء بالحديث وتمتع بآثاره الباهرة من مخترعات ومكتشفات وآراء وافكار الاوربيين الذين بلغوا اعلى مبالغ بسبب عدم اهمال ما ينشر بينهم من الكتب والآراء والافكار الحديثة

انا لاانكر ان من الحديث ما يجب اهماله وما هو مضر ضرراً بيناً ولكني اريد ان لاندوق الباب على وتيرة واحدة وان لانسرع في الحكم قبل النظر والبحث وان لاتكون المعاصرة سبباً في الحرمان وفيض الله عام لايختص بزمان ولا مكان ولا طائفة دون اخرى من افراد الانسان والحكمة تؤخذ من الكبير والصغير والامير والحقير وكم ترك الاوائل للاواخر ورب مبلغ اوعى من سامع وذلك فضل الله يعطيه من يشاء · ولقد كان احتقار كل جديد سبباً في اهانة النبيين والمرسلين وحرمان الكثيرين من الاستضاءة بانوار الاديان المتعاقبة وكان ينبغي ان يكون لنا من هذا عبرة · ولقد وفينا هذا الموضوع شيئاً من حقه في كتابنا (التفاضل

بالفضيلة) فراجعه ان شئت

وعلى الجملة فاني ارى اولاً انه لابد من الاعتناء بالموءلفات الحديثة والاستفادة منها وثانياً انه لابد من تشجيع كل موءلف يمتاز تأليفه بمميز مفيد بالمكافأة المادية والادبية من الادارة العلمية العالية

ثالثاً تأليف كتب جديدة للتدريس او المطالعة في العلوم المتداولة او غيرها متي تبين ان هناك حاجة الى ذلك والله هو الموفق والمعين

الباب الرابع

فى طرق التعليم ونظامه

طرق التعليم تنقسم قسمة اولية الى ثلاثة اقسام طرق التعليم العالي في نحو الازهر والجامع الاحمدي وطرق تعليم الجمهور وطرق التعليم الابتدائي في المكاتب وقد ينقسم كل واحد من هذه الاقسام الى اقسام شتى فان طرق تعليم الاميين لاتكون ابداً كطرق تعليم تلامذة المدارس ونريد الآن ان نتكلم على طرق التعليم العالي

اما القسمان الاخران من طرق التعليم فسيأتيان في فصول تعليم الجمهور والتعليم الابتدائي

بيان تمهيدي

ما هي علومنا اليوم

علومنا اليوم وان تكثرت فى اول النظر فهى على التحقيق ليست الا علمين علم اللغة وعلم الدين · فاما علم اللغة فمما لاشك فيه اننا اقرب الناس الى اللغة العربية بل نحن اهلها فكيف تستغرق معرفتها منا اكثر الاوقات بل كيف نمضى فيها اكثر الوقت ثم لانعرفها

هذا الحال الاخير بلا مرية حال طلاب العلم بل والعلماء الذين يشتغلون بعلم اللغة العربية اكثر اعمارهم ثم اذا قرأوا لحنوا وان تكلموا غلطوا وان كتبوا لم يعرفوا كيف يكتبون في حين ان طلاب المدارس الاخرى يتعلمون اللغات الاجنبية المجهولة عندهم من قبل بصورها وموادها جهلاً تاماً و يتقنونها بآدابها وسائر متعلقاتها في سنين قليلة لاتعد شيئاً في جانب مدة اشتغالنا العقيم

اما علم الدين فمهما تفرع فانه يرجع الى معرفة العقيدة و بيان المنهي والمطلوب والمباح . وهذا ايضاً اذا نظر الى الحقيقة وأصل وضع الدين امر سهل لايحتاج الى هذه الصعوبات وامثال تلك المجاهدات والمشقات بل من الممكن ان يبلغ الانسان نهايته في ثلث اقل مدة مقررة الان . اذاً فكيف هم اليوم يمضون فيه هذه المدد الطويلة ولا يتحصلون منه على درجة الكمال . لو كنا فى زمن تفرق العلم وتشتته فى صدور الرجال المنتشرين لكان لنا بعض العذر ولكن كيف وقد تعب فيه الاولون حتى جمعوه كله فى اسفار سهلة وجاهدوا كثيراً في تحريره وتنقيحه وتفننوا في اساليب تسهيله وتقريبه حتي صار سهل التناول قريب المأخذ لايكلف الانسان الا كما يكلفه اكل الطعام الذي يتعب في ايجاد مواده وتحضيره اقوام عديدون

ولو كنا مجتهدين نحتاج الي اعمال الفكرة وسهر الليالى في ادراك مناط الاحكام واستنباطها ومعرفة مقاصد الشريعة وتحرير القياس لكان لنا فى طول الزمان وعدم بلوغ الغايه بعض العذر. ولكن كيف ونحن مقلدون محجور علينا ان نعمل عملاً ما او

تتصرف اي تصرف وما لنا الا معرفة ما قاله المجتهد الذي نقلده وتلقيه بالقبول . بل لو كانت الغاية عندنا استحضار جميع الاحكام الشرعية ومعرفة ما قاله المجتهدون حتى يكون الانسان كما سئل اجاب . وكلما استفتي افتى لكان لنا شيء من المعذره بالنسبة لطول المدة ولكن كيف والغاية عندنا الآن لاتخرج عن الالمام ببعض المسائل ومعرفة اصطلاح التأليف لكي يمكن الانسان ان يراجع ما يطلبه . فما هذا الحال الذي لا يرضاه عاقل لنفسه

نضيع اكثر اعمارنا في معرفة لغتنا ثم لانتقنها وفي معرفة ديننا ولا نبلغ الغاية فيه ثم مع هذا الاقتصار على بعض ما لابد منه ومع القصور فيه على طول الزمان وتتابع السنين نرى اننا ارقى الناس واعلمهم وان ما نحن عليه هو الحق وغيره بدعة وكل بدعة ضلالة . تالله ان هذا لهو الجهل المركب لو كانوا يعلمون ولكن لاعجب فهكذا سنة الله يظن كل قوم انهم المصيبون وغيرهم المخطئون بل قد يظن جنون الناس من به جنون . انا لاادري على عاتق من القي مسئولية هذا النقص والى من انسب سببية هذا التاخير أ الى الاولين

الذين شعبوا العلوم واكثروا التفريع واسترسلوا مع الخيال وذهبوا معه شوطاً بعيداً واكثروا من التفصيلات والتدقيقات التي لايكاد الانسان يحيط باطرافها وذلك منهم اتباعاً لشهوة النفس العلمية وميلها وسرورها بتجلي المعلومات على اختلافها وادراك الدقائق وان لم تكن ذات فائدة حتى صعبت العلوم على طالبيها وصار طالب المقصود من بين مباحثهم اللفظية والخيالية كطالب ذرات التبر من اكوام التراب

ام الى المتأخرين من العلماء الذين لم يرقوا العلم ولم يسيروا به خطوة واحدة كما سار به من قبلهم خطوات ولم يقربوه من اذهان العالم ولم يحسنوا تعليمه

ام الى نفس المشتغلين بتحصيل العلم حيث لم يجهدوا انفسهم في طرائقه الموروثة وان صعبت وتشعبت وبعدت الشقة فيها وان لم توجد مساعدة من العلماء حتى يتحصلوا منها على خلاصة نافعة في زمن يسير

وعلى الجملة فان هنا نقصاً ظاهراً متعدداً وهو وان تعددت اسبابه فان من اهمها فساد طرق التعليم وعدم الالتفات الى اصلاحه

وهذا ما نريد ان نبحث عنه هنا والله هو الهادي الى سبيل الرشاد

اهمال العلماء في امر التعليم

مما يوجب الاسف ان امر التعليم اليوم اصبح عند العلماء من الامور العادية التي لاتوجد في النفس داعية لتكميلها بل لاابالغ ان قلت انه عند الكثير من الرسوم والتقاليد التي يجب ان تؤدي كيفما كان وهم لذلك لايبالون فهم الطلاب او لم يفهموا تعلموا او لم يتعلموا وجدت نتيجة لتعليمهم او لم توجد وانما يهمهم ان يقال مثلا قرأ كتاب كذا وختمه فمثلهم في هذا مثل العامل الذي يشتغل باليومية فهو لايهمه اتقان العمل بل ان يقال اشتغل

ويديهي انه ان لم توجد الداعية القلبية للتعليم ونجاح الطلاب في نفس الاستاذ يكون النجاح بعيداً

ولا ارى طريقة لايجاد هذه الداعية احسن من تخصيص الطلاب بالعلماء وتمييز تلامذة هذا عن تلامذة ذاك واناطة الامتيازات الادبية والمادية بنتائج التعليم ليكون هناك تنافس بين العلماء

في ترقية شؤون الطلاب وعلومهم وآدابهم مع ملاحظة ان لايكون العدد كثيراً فان ذلك من معوقات التعليم

اهمال المشيخة في التعليم

المشيخة او رئاسة المدارس الدينية لا عمل لها الآن ولا نظر في امر التعليم الا من جهة انها تدعو العلماء الى القاء الدروس والطلاب الى تلقيها على (صفحات الجرائد) عند ابتداء مدة الدراسة وربما عملت ما يسمونه (بالحصر) اما ان الطلاب بعد حضورهم يتلقون الدروس او لا يتلقونها واذا تلقوها فهل يفهمونها او ان العالم يقرا كتاب كذا او كتاب كذا او ان طرق التعليم حسنة او غير حسنة الى غير ذلك فلا عمل لها فيه اصلا بل هو ومثله موكول الى حرية العلماء والطلاب وضرر هذا الحال وكونه تقصيراً شديداً ظاهر اذ امر التعليم هو المقصود الاصلي وما عداه فمن التوابع ولا يجوز ابدا ان تغض المشيخة عن الامر الجوهري المقصود الي هذا الحد مشتغلة بفروعه من امر الجرايات والمرتبات ومكاتبات المصالح ونحو ذلك

ولي هذا استلفت انظار المشيخة راجياً ان تغير امر التعليم

التفاتة يكون بها النجاح مضموناً والله هو الموفق والمعين

الطريقة العمومية للتعليم

ان الطريقة المتبعة اليوم في التعليم طريقة ناقصة مضيعة للزمن مفوتة للغرض لان اكثر المعول عليه الآن انما هو ايجاد ملكة ادراك الدقائق في اللفظ او المعنى والاول هو الاكثر استعمالاً مثل لم عبر بكذا . كلامه يشمل صورة كذا الصواب حذف كلمة كذا . الصواب التفريع الصواب ابدال الواو بالفاء . العكس . هذا مكرر مع ما قبله . الى غير ذلك . والثاني هو منتهي الكمال عندهم وهو يرجع الي دقة التصور والتخيل وادراك المعنى الواحد على صور مختلفه وحله وتركيبه باشكال متنوعه والفرق بين المفهومات المتقارب به وادراك الاشكالات الواردة ونحو ذلك وبديهي ان كلا الامرين من الكماليات في التعلم والمعول عليه اصالة انما هو الفقه في مسائل العلوم وحصول فائدتها وثمرتها والغاية المقصودة منها وبعد ذلك فلا بأس من النظر الى تحقيق الصور العلمية المشتبهة وما يتبع ذلك . وبعد هذا فلا بأس من النظر الي ان المؤلف اصاب او اخطأ في اللفظ

اما ترك فقه العلم ونبذه وعدم الالتفات الى حصول الثمرة المطلوبة من العلم ثم اكثار البحث في نقد الكلام وجعل النهاية هي تحقيق بعض المفهومات والمعاني فهو السفه الذي ليس بعده سفه

ما للمبتديء في العلم ولأن فلانا اصاب في اللفظ او اخطأ فيه وما له ولهذا التطويل الممل في تقرير ان الصواب ابدال الواو بأو مثلاً وهو لم يذق طعم العلم ولم يعرف المقصود منه

لعمري ان تلك الطريقة طريقة الاعتناء والتدقيق في الالفاظ هي طريقة التأخر وهي عقبة الارتقاء وهي السد الحاجز بين طلاب العلوم وبين الوصول الى حقائقها وان كانت طريقة لذيذة عند بعضهم نظرا لظاهر ما فيها من اكتشاف مجهول ومعرفة حقيقة وذلك من اماني النفس ومشتهياتها الا ان من ينخدع بتلك اللذة كمن ينخدع بلذة الاكل الكثير الذي يجلب انواع الامراض

ها هي طرق كبار الاعاجم وهم سادات العلوم بالاتفاق قد لا تجد فيها شيئاً من امثال هذه السفاسف وانما الاعتناء فيها بالتوسع

فى اصل الموضوع واشباع القول في المعانى وما ينشأ عنها على وجه يناسب الطباع السليمة وينمي العقول ويوسع دائرة الفكر ويورث بعد النظر وادراك الحقائق العالية ويوصل الانسان الي درجة نكون معها اهم المسائل لدينا واصعب المباحث من الامور البسيطة التي تدرك بادنى التفات وهذا بخلاف حالنا اليوم فانه شيء منحط من شأنه ان يحط الفكر ويقعد به بل ويفسده ولا يجعل للانسان قدرة على ادراك المعاني العالية ولا النظر فى المباحث السامية وكيف لا ونحن اليوم يعتبر منتهى الكمال لدينا ادراك بعض اشياء من فلسفة الاعاجم الخيالية في بعض المعاني ولا نكاد نصدق ان من الممكن الوصول الى ما يقرب مما وصلوا اليه مع انه كان فى الواقع من السهل ان نكون ارقي منهم لان لطرائقهم عيوباً ربما بيناها فى فرصة اخرى

ولهذا فانى ارى انه لابد من جعل المعول عليه اولا انما هو بيان فقه العلوم وتمكينه في النفوس حتى تتأثر عنه وان يكون موضوع الفاضل هو التوسع في المعاني واشباع القول فيها على وجه يناسب احوال الطلاب ومداركهم اما المباحث اللفظية فما لم

تتعلق بجوهر المعنى المقصود لا ينبغي ان يكون النظر فيها الا عرضياً

كثرة الاحتمال والتأويل

ومن احق ما تستلفت اليه الانظار ما يستعمله علماؤنا اليوم من كثرة التأويل وقولهم يحتمل الكلام كذا ويحتمل كذا فان ضرر ذلك على العقول شديد وبين تلك الاحتمالات والتأويلات تضيع الحقائق . ولو نظر في كل شيء للاحتمالات العقلية لتعطلت المصالح وفسدت الشرائع و بطلت العلوم وارتفعت الحقائق ولم يفهم احد مراد الآخر . بل المعول عليه هو ما يعطيه سياق الكلام والقرائن وما هو معتبر في عرف التخاطب فان امر التعبير سهل والمقصود منه انما هو الدلالة على المعاني ولا تتم هذه الدلالة الا اذا لوحظ العرف وما يفهمه الناس من المقال بقطع النظر عن الاحتمال العقلي ومن هنا تجد اساليب الكلام ومناهج التأليف مختلفة باختلاف العصور والازمان وقد يكون الكلام حسناً في عصر غير حسن في آخر وها هو زمننا الحاضر قد نهج الكاتبون فيه اسلوباً غير الذي كان معلوماً في القرن الذي قبله

وصار الاول احط من الثانى ولكن هو وان كان احط منه الآن فلم يكن احط منه ابان رواجه وتعارفه بل ربما كان الامر بالعكس ولاجل ذلك فان الواجب ان يفهم قول كل مؤلف على وفق ما كان فى عرفه وبالجملة فان امر التعبير لايستحق هذا التشديد كله ويجب ان يكون التعويل على ما يعطيه السياق ونحوى الكلام

الا ترى ان المطالع ربما استرسل مع المعني وسياق الكلام ففهم من الكلام شيئاً يكون هو مراد المتكلم او الكاتب ولو نظرنا الى العبارة وحدها لم تفده بل ربما افادت ضده كما يحصل في كثير من الاحوال

ولا يظن الناس ان ذلك الخطأ في بعض العبارات او قصورها النوعي هو لقصور اصحابها . كلا ولكن الكاتب اذا كتب في موضوع واسع كان المعول عليه عنده هو المعنى ولم يبال باللفظ (وهذا هو حالي في هذا الكتاب) وهم لو ارادوا تحرير العبارة امكنهم ولكن كانوا حينئذ لايأتون في طول اعمارهم بعشر ما اتوا به وكانت تضيع ثمرات افكارهم الكثيرة النفيسة نظراً للاهتمام

بتحرير العبارة

ان الذي يكتب في اليوم اكثر من عشر ورقات في دقائق العلوم مع وجود الشواغل الاخرى لجدير ان لايلتفت الى اللفظ ولهذا تراهم كثيراً مايكتبون ويظنون ان العبارة مفهمة لما يريدون تماماً ويكون هذا عندهم فقط لا بالنسبة الى غيرهم

والخلاصة ، ان كثرة التدقيق في اللفظ مفوتة للغرض وكثرة الاحتمال مفسدة للفكر ومضيعة للمعاني الحقيقية

على اني وان قلت ذلك فاني ارى من المستحسن في بعض الاحوال التدقيق في اللفظ لغرض بيان مرامي الفكر في العبارات ولكن ذلك لايكون دائماً ولا بالقصد الاول بل في بعض الاحوال تعليماً وتمريناً على طرق الفهم كما ان ما كان منها متعلقاً بجوهر المعنى فلا بد منه وكذلك بيان الاحتمالات لو كان في بعض الاحوال ومقروناً بابطال غير المراد توسيعاً لدائرة الفكر كان حسناً

ويحسن عندي ان يبتدئ المعلمون بالكلام على المعنى و يوفوه حقه من كل وجه ثم يقرأوا جمل الكتب التي يدرسونها مبينين

ما فيها من الاحتمالات والخطأ ولكن على وجه لا يضيع معه الزمان

فوا أسفاه على ذلك الزمان الطويل الذي يضيعونه في المباحث اللفظية ثم يخرجون بعد ذلك بلا جدوى

الفلسفة الخيالية

كما انتقد طريقة الاعتناء بالالفاظ اكثر من اللازم وطريقة كثرة الاحتمال والتأويل فاني ارى مثلهما ضرراً طريقة التوسع في المعاني الخيالية التي لا توجد لها فائدة حقيقية. ذلك لان خيال النفس غير محدود وهي دائماً تسر حينما تتجلى لها المعاني في صور واسعة وعلى اشكال مختلفة وتحب معرفة المجهول من حيث هي معرفة بقطع النظر عن ان تكون ذات فائدة في الخارج وهذا الحال كان الغالب على اكثر العلماء في اكثر الازمان (خصوصاً بعض الاعاجم) وعلماؤنا اليوم يعدونه الكمال الذي قد لا يحصل عليه الا الواحد بعد الواحد. ولكني ارى ذلك شهوة من شهوات النفس التي تؤدي الى الفساد لانه فضلاً عن ان ذلك لا يستتبع

فائده فان اطلاق عنان الفكر والتخيل كثيراً يوءدي الى ادراك الاشياء على غير حقائقها والى التردد في البديهيات بل انكارها واكثر ما هو منقول عن كبار علماء الكلام مما قد لايصدق الانسان بوجود عاقل يذهب اليه هو مبني على هذا · ويوءدي ثانياً الى الخلف حيث لاخلف في الحقيقة · وكم لهذا الباب من شواهد فرقت الامة وجعلتها احزاباً بسبب توهم الخلاف وعلى الحقيقة لاخلاف وانما هو الخيال يدرك المعنى الواحد على صورتين يتوهم إن احداها ليست الاخري، وهي هي على الحقيقة و يوءدي ثالثاً إلى فوات اكثر الواجبات وضياع الزمن في تحقيق معنى واحد وتصويره على انماط مختلفة بلا فائدة هذا فضلاً عن ان هذا المعنى وذلك التصوير لايبقى ايضاً في الذهن بواسطة التخطيط وكثرة المسائل

نعم هناك طريقة تقضي بان ينقطع الانسان لفن او فنين ولكن ذلك انما يكون بعد الحصول على جملة وافية من كل العلوم

على ان ذلك الانقطاع انما يقصد به بذل الفكر في معرفة

حقائق العلم وتذليلها وتقريبها بسائر الطرق الممكنة لكي يمكن اعطائها للطلاب على الوجه الحقيقي بكيفية سهلة في زمن وجيز لا لاجل ان يفيض مع الطلاب فيها و يعطلهم عن غيرها من باقي الواجبات

فمن هذا ارى انه لايجوز دوام هذا التوسع المضر وان يكون ذلك بقدر معلوم و بطرق معينة حرصاً على الزمن وعلى الفائدة من سائر وجوهها وخوفاً من الوقوع فيما لاتحمد عقباه والله ولي التيسير

طرق اصلاح التعليم

ان الاركان التي يرتبط بها حسن التعليم والتعلم لاتكاد تتجاوز ما يأتي . انتقاء الكتب . حسن التدريس . تقديم الاولى فالاولى الاعتناء بالحفظ . عدم اهمال الكتابة . المحافظة على الوقت . وبيان هذا كما ترى

انتقاء الكتب

انتقاء الكتب من اهم الامور التي يتوقف عليها حسن التعليم اذ غير خاف ان المؤلفين مختلفوا المشارب مختلفوا الاساليب

وان الكتب تختلف بالسهولة والصعوبة في التركيب وكثرة الخطأ وعدمه والتطويل وعدمه وترك مسائل بعض العلم وعدمه واغفال بعض الشروط والقيود والمستثنيات وعدم ذلك الخ الخ . وقد التزمت فى المدارس الدينية كتب خاصة في كل علم لايقوم برهان على انها افضل من غيرها بل قد يقوم على ان بعضها مضر وان هنالك ما هو اولى منه وافيد وانسب لحال الطلاب ففي النحو يبتدئون بشرح الكفراوي وهو لايناسب حال المبتدىء لانه يعرب كلمات المتن ثم يشرحها والمبتدىء اذا لم يكن يعرف شيئاً من قواعد النحو اصلا فكيف يدري الاعراب وكيف يجوز ان تكون اول كلمة تلقى اليه (بعد اوجه البسمله) (الكلام) مبتدأ مرفوع بالابتداء الخ (هو) ضمير فصل على الاصح . مع انه لايعرف المبتدأ من الخبر الا في وسط الكتاب ثم هذا الشرح يجوز بعد قراءة المتن مجرداً او بشرح الشيخ خالد . وحاشية ابي النجا ضررها على الطلاب شديد اذ لايكاد يفهم منها شيئاً الا القليل وكذا حواشي الازهرية والقطر والشذور وابن عقيل والاشموني قرائتها معوقة مضرة لانهم يمكثون في دراستها ثمان سنين ومع ذلك لايخلصون بنتيجة واكثر

الطلاب في نهاية الاشموني يجهل المعاني البسيطة لاكثر متن الالفية وقد قدمنا ان من السهل الاستعاضة عن ذلك بثلاث سنين او اربعة يدرس فيها متن الاجرومية فشرح الشيخ خالد فالقطر فالشذور فابن عقيل وقد يمكن ان يضم الى ذلك شرح الاشموني او الاوضح ويكون ذلك على نحو الترتيب الآتي متن الاجرومية فشرح الكفراوى او شرح الشيخ خالد مع ملاحظة الاكثار من الامثلة واعرابها في سنة ثم القطر والشذور في الثانية ثم شرح ابن عقيل مرتين في الثالثة ثم شرح الاشموني او الاوضح في الرابعة وهذا على سبيل التمثيل والا فقد يكون هناك طرق وكتب اخرى افيد وانفع وقد يمكن تأليف كتب جديدة تكون اسهل واقرب (كالتي تدرس فى المدارس الاميرية) وقد يمكن ان يدرس من الكتاب بعضه المفيد الحسن ويدرس باقي العلم من كتاب آخر متى كان فى بعض كل منهما ما لا يوجد فى الآخر وفي البلاغة قدمنا ان متن الخطيب مختصر اختصاراً مخلاً ثم شروحه وحواشيه لم تنهج المنهج الحسن فى ايضاح المعاني على الوجه المطلوب هذا فضلا عن ان الحاشية المستعملة اليوم

في جمل منثورة من مؤلفات كثيرة قد لا يمكن فهمها الا بمراجعة اصولها و كلها من الابحاث الغامضة والاعتراضات الكثيرة التي لاتليق بالمبتدي، في البلاغة على ان الاسترسال مع هذه المباحث يعوق عن التحقق بمعنى البلاغة فانها كالنحو من الصناعات التي ليست غايتها معرفتها بل غايتها امر آخر يترتب عليها لو كان حاصلاً دونها لم يكن لها فائدة كما انه لافائدة في معرفتها اذا لم يحصل ذلك الامر وقدمنا ايضاً ان من الممكن الاستغناء عن هذا الكتاب بكتب حسنة لايأخذ مجموعها اكثر من المدة المقررة له وهي متن المفتاح ودلائل الاعجاز واسرار البلاغة

وفي المنطق يدرسون السلم بحاشية الباجوري ثم شرحه بحاشية الصبان وفي الاول نوع من الموافقة لولا ان نوعه كلام على الخطبة فيضيع الزمن في غير المقصود ولا جرم ان هناك من كتب المنطق ما هو اولى وافيد من الملوي بحاشيته ككتاب الشمسية وسلم العلوم والبصائر النصيرية ، وشرح بيرم على ايساغوجي من افيد الكتب للمبتدئين

و بالجملة فان اكثر الكتب المستعملة الآن غير جيدة و يحسن

استبدالها بغيرها وقد ذكرنا شيئاً من ذلك عند الكلام على العلوم وذكرنا ايضاً انموذجاً مما ينبغي ان تبدل به لان الجمود على كتب معينة هذا حالها موجب للغيبة والتاخير وهناك من الكتب ما يحصل للعلماء والطلاب من العلم اكثر مما يتصورون فى اقل من المدة المعروفة الآن . واهم ما ينبغي ان يعني الطالب والعالم معرفة اسماء الكتب النافعة فقد يكون معرفة اسماء بعض الكتب سبباً للسعادة الابدية وكثيرون تحصلوا على شهرة فائقة ومزايا عالية فى العلم بسبب الحصول على بعض الكتب الغريبة العالية

ولهذا فاني استلفت الانظار الى الكتب المستعملة الآن ونقصها الشديد ولا اريد ان اعين كتباً وطرقاً اخرى اذ متى توجهت الفكرة فقد يوجد ما لايخطر لمثلى الآن على بال واري ان تعين لجنة من كبار العلماء للنظر فى هذا الموضوع

دراسة الحواشي على العموم

وظيفة الحواشي تكاد تكون محصورة فيما يأتي . بيان خطأ

في المعنى · بيان خطاء في اللفظ · بيان شروط وقيود لابد منها · توضيح المواضيع الغامضة · ذكر مسائل من العلم لم تذكر في الشارح · تفريع الخ الخ : ولا شك ان وظيفتها حينئذ وظيفة مهمة ضرورية نشأت من قصور الشروح عن تأدية كل المطلوب على الوجه الحسن فالتمسك بالشروح وحدها اذا يقع في الجهل ويفقد ملكة الفهم التي تحصل من مطالعه ابحاث الحواشي

ولكن مع هذا ارى ان الحواشي الموجودة توسعت اكثر مما يلزم واكثرت من المباحث القليلة الجدوى وطولت الكلام بلا فائده حتى وصل الامر الى انهم يذكرون تقرير المسألة ثم يقولون وبهذا يظهر فساد ما قاله بعضهم هنا وان اجاب عنه شيخنا بما حاصله كذا لانه يرد عليه كذا وكذا ولا يقال كذا وكذا لانا نقول كذا وكذا وربما استغرق هذا اكثر من خمس ورقات بلا جدوى ولا فائدة الا التشتيت والضياع بسبب حب اظهار العلم وتمطيط الكلام · ولا يخفي ان العلم وان كان حسناً كله ولسائر فروعه وصنوفه لذة وفائدة ما ولكن من الواجب

عدم الاغترار بذلك فان هذا قد يأدي الي فساد فى الفكر بسبب كثرة التشويش والى التاخر في العلوم الاخرى بسبب ضياع الزمن فكون البحث في ذاته له فائدة ما لا يقضي بالاشتغال به فان وجود انواع كثيرة حسنة من انواع واصناف الملابس مثلا لايقضي بشرائها جميعها وانفاق جميع النقود فيها والا اخلّ بالحاجيات الاخرى ولانها ثانياً وقعت فيما جائت لاجله وهو الحاجة الى الاصلاح بل قد يكون احتياجها لحواش اخرى اشد من احتياج الشروح اليها فكثيراً ما توجد فيها اغلاط شديدة وآراء باطلة وقصور على بعض الشيء ومن هنا جائت التقارير المبتورة المدمجة او الممطوطة المشوشة وقد يكون حالها في ذلك لايقل عن حال الحواشي . واعمال كهذه توقع الطالب في ارتباك شديد يؤخره ويضره واكثر الضرر يأتي من حيث تتوهم المنفعة . ولانهم ثالثاً اعتبروها للمبتدئين وضررها عليهم اشد ولا يعلم الا الله مقدار ما تعوق حاشية ابي النجا المبتدئين في النحو فانها لهم كالعاهة التي تلحق النبات في صغره فتوقف نموه

ورابعاً انهم اعاروها من العناية في التدريس اكثر من اللازم

حتى كأنها هي المقصودة فلزم على ذلك ضياع الوقت في ما لا يعني وبلا شك ان قراءة شرح ابن عقيل مرتين افيد من قراءته مرة بالحواشي . واهم ما يتشبثون به في مزيد التمسك بها انها خير واسطة لتربية ملكة الفهم وهي امر ضروري لكن لو تأمل المتصفون علموا ان تربيتها لا تحتاج الى هذا العناء كله وان ميدان التربية ليس امثال هذه المباحث التي تحويها الحواشي وخصوصاً النحوية وان الاطلاع على الكتب العالية والمباحث الثمينة يربيها اكثر . فلهذا ارى اولا انه لابد من اصلاح الحواشي بانتخاب حاشية تؤخذ من مجموع حواشي الكتاب تكفي وتحيط بالغرض . ثانياً ان هذه الحاشية يطالعها الطلاب والمعلمون ولا تقرأ في الدروس بل يلخص الاستاذ ما فيها اثناء قراءة الشروح وان كان ولا بد فليكن مع التساهل في قراءتها خوفاً من الضياع

هذا واني الاحظ ان هناك مسائل لم توف حقها من العناية ولا يمكن معرفتها على وجه حقيقي من الكتب المتعارفة وهي فيها لم تزل موضع اللبس والاشكال فاري انه لابد من تاليف مجتمع ينظر في هذه المسائل ويقررها على الوجه التام بعد المراجعة حتى

نزول عقبة كبري طالما اورثت تاخيراً كثيراً وقد كان ينبغي ان يكون مثل ذلك من اهم ما يعني ارباب الحواشى ولكن هكذا كان وفي الختام استحسن المثل المشهور

(من تتبع الحواشي ما حواشي)

حسن التدريس

هذا هو الاساس الكبير لنجاح امر التعليم وتقدم الطلاب وخصوصاً المبتدئين فكثيراً ما يذهب الطلبة حتى الازكياء منهم ضحية عدم احسان التدريس . ولا جرم ان هناك اصولا ولوازم كثيرة لابد منها فى حسن التدريس من اهمها ما نريد ان نذكره في هذه الكلمات الوجيزة

الاول تمام الالمام بالعلم الذي يكون التدريس فيه حتى يمكن اعطاءه للطلاب على الوجه الحقيقى المعاني بطريقة سهلة مختصرة ولكن لاينكر علينا احد ان التعويل الآن ليس الاعلى ان يفهم الشيخ الكلمات التي امامه وان كان جاهلا باصول العلم غير واع لها وغير متمكن فيه . وكثيراً ما يكون الاستاذ في العلم المطلوب

كالتلميذ لايزيد عنه الا بقوة الفهم وذلك خطأ يورث الخبط والخلط والتطويل وعدم تمام الفائدة فكثيراً ما ترتبط مسائل العلم ببعضها كما في الاصول . فمستحضر مسائل هذا العلم يمكنه ان يفهم مقدمة جمع الجوامع مثلا على الوجه الصواب بسهولة بخلاف غير المستحضر فانه يسير بمجرد قوه العقل فاولا لايتمكن في الفهم

وثانياً يحتاج الى عناء شديد لعدم وجود المواد والمعلومات التي تساعده

وثالثاً يكون اقرب الى الخطأ . فالاستاذ لابد ان يكون متمكناً من قبل في العلم الذي يعلمه محيطاً باسراره ومقاصده عارفاً باصطلاحاته ورموزه ولا يجوز ان يتكل على انه يمكنه ان يفهم المقصود من الكتاب الذي يدرسه فيكون كاعمى يقود عمياناً ولا يشترط ان يكون اطلع على خصوص الكتاب الذي يدرسه وان كان ذلك اولي

هذا واني استحسن ان ينفرد العالم بفن او فنين بعد تأدية الامتحان في سائر العلوم لان ذلك يأتي بفوائد جمة فى

تقدم العلوم و يكون خير ضمان لنجاح الطالبين ويمكنهم من حقائق العلوم في ازمان قليلة

الامر الثاني الاعتناء باستحضار خصوص الموضوع الذي سيلقي ودرسه درساً دقيقاً . والتمكن فى فهمه . ومعرفة مطوياته . ومراجعة ما يلزم لذلك من الكتب حتى يكون محيطاً تمام الاحاطة بسائر اطرافه ومتعلقاته . ولكن مما يوجب الاسف ان اكثر العلماء يتهاون في ذلك اما اتكالا على ذهنه واما اكتفاء بالاطلاع البسيط على بعض الحواشي والتقارير لكي يمكنه متى جلس فى الدرس ان يأتي بشيء من المناقشة اللفظية او غيرها حتى يتخيل للطلاب انه اتي بشيء جديد وانه وفى الموضوع حقه وبهذا يسوغ لنفسه معنى القراءة والتدريس وقد يكون الموضوع الحقيقي والابحاث اللازمة لم تمس ولا تزال مجهولة له كما هي بالطبع مجهولة للطلاب والغرض انه اتى بشيء وقرأ وبحث فقط بقطع النظر عن فهم الطلاب وعدمه وعن ايقافهم على النقط الجوهرية فى الدرس وذلك بلا ريب نقص شديد ظاهر تكون عمليات التعليم والتعلم والقراءة والتدريس معه صورية محضة وتكون النتيجة التاخر والانحطاط

ومزيد الجهل نعوذ بالله من سوء هذا الحال

الثالث الامانة فى العلم وعدم الاقدام على قول ما ليس للانسان به علم ائلا يقع الاستاذ زيادة على جهله فى اشد انواع الخيانة والكذب و يوقع غيره فى الجهل اما الاستحياء من اظهار الخطاء او الجهل والتجرء على ترويج الباطل خوفاً من الخجل ان رجع عنه وقال لا ادري فامر يجب (ان يعدل) عنه فان قررنا مسألة وتبين لنا خطأها لم نستنكف من الرجوع الى الحق وان سئلنا فى شيء لانعرفه فلا نبالي ان نقول لاندري وان لم نفهم شيئاً من مواضيع الدرس فلا نستحي من تأجيله وعدم الخوض فيه بجهالة . فتلك هي الامراض التي تفشت في جسم التعليم انهكته وهي الموانع والسدود التي قامت بين الطلاب و بين معرفة الحقائق ولا نقص اشد من هذا النقص ولا عيب اكثر من هذا العيب ولا خيانة اشد من هذه الخيانة وقانا الله السوء

الرابع استعمال الانصاف مع الطلاب فيما يعن لهم من الآراء ويظهر لهم من المباحث فليس ببعيد ان يكون ما ظهر لهم هو

الصواب دون ما ظهر للمعلم بل ودون ما هو مكتوب في الكتاب الذي يدرسونه اذ في ذلك فضلا عن الرجوع الى الحق وترك الانتصار الى الباطل تشجيع الطلاب وبث مبدأ الحرية والاستقلال الفكري فيهم وحملهم على مثابرة البحث والتنقيب وعلى مداومة الجد والاجتهاد اما تلك الفكرة التي تغلب اليوم علينا من رد كل عبث وارد من احد الطلبة والاجابة عنه بحق او بغير حق فهي فكرة باطلة معطلة تبعد عن الحق وتورث الجمود في افكار الطلبة وتنزع منهم مبدأ الاستقلال

ومع مزيد الاسف ارى انه لابد من الالماع الى ذلك الامر الذي يقع فيه اكثر اكابر العلماء حتى من يدعي منتهي الكمال والوقوف علي اساليب التعليم وآداب التربية وهو اهانة اكثر السائلين من الطلاب وزجرهم واستعمال الامور المخالفة للآداب التي لاتليق باحاد الناس فضلا عن العلماء لمجرد كونهم يسألون وكثيراً منهم يحكم على من يسأله بالخروج عن الدرس بالمرة فان تغاضى حباً في العلم والاستنارة استعملت معه القوة: فما هذا الحال السيء

والامر الشنيع أذلك هو التعليم الصحيح ام ذلك هو الاقناع والارشاد اللازمين ام تلك هي الاداب التى تعطى من علماء الاسلام لمن يجلس اليهم

طالما سمعنا من علمائنا اليوم اعتذاراً عن مثل ذلك انهم اخذوا العلم عن اساتذة كانوا يضربونهم بالنعال اذا سألوهم ويسبون ابائهم اذا ما بحثوا معهم فانا لله وانا اليه راجعون

الخامس ان لايجعل المعلم تدريسه قاصراً على ان يستحضر في نفسه معاني ومباحث ويرتبها . ثم يأتي ليلقيها بكيفية هي بالخطبة اشبه منها بالتدريس فان ذلك وان حسن ظاهره وارتاحت اليه نفوس الطلاب لكونه يوقفهم على المعانى بسهولة لكنه يورث الجمود ولا يمكن ان تقوي معه ملكة الفهم وتتسع دائرة الفكر ويبعد مرمى النظر ولا ان توجد ملكة التبصر ولا ان يفرزوا الحق من الباطل بل يلبس الامر عليهم فان تلك الطريقة الخطابية اقرب طريق لترويج الباطل وقد لايدركه معها الا صاحب الذهن الوقاد . بل اللازم ان تكون طريقة التدريس طريقة تفهم وتدبر وتروي و بحث حتى كأن المعلم يفهم المباحث

مع الطلاب من جديد مع التأني والاخذ والرد وان ذلك يجعل لذهن الطالب مجالاً ان ينظر ويبحث وربما جعل المعلم بطريقته هذه فكر الطالب يسبق الى ما في المقام من بحث او اعتراض قبل ان يصرح به . وينساق الى المعنى المراد بنفسه ولكن مع ذلك فلا يجوز كثرة الاخذ والرد الى حد يوجب الاملال والتشويش ولا التوسع في التأني والتروي الى حد يميت روح النشاط ويوجب الخمود والكسل

السادس ان يوفي المعلم كل مسألة حقها من البحث والبيان فلا يغادر في المسألة شرطاً الا ذكره ولا تخصيصاً الا بينه ولا خلافاً الا نبه عليه

السابع ان يكون اجمع الناس بفكره للمعاني المترامية حتى يمكنه ان يصورها بصور سهلة على الطالبين وان يستعمل كل فكره في تقريب البعيد وتذليل الصعب واختصار المطول وان يكون له قدرة على التحليل والتركيب والتصرف في المفهومات العقلية حتى يمكنه ان يصور المعاني المنتشرة الصعبة بصور مرتبة سهلة وان يجتنب التشويش والاطالة وان يسلك اقرب الطرق واسهلها وابسطها الخ

الثامن ان يرتب المباحث ويحسن التقسيم والترديد والوضع فلا يذكر مبحثاً قبل ما هو اولى منه بالتقديم وليجعل الترتيب والانتظام بين عينيه في كل شيء وخصوصاً في المعاني ويحسن ان يشير اولاً الى النقط والمباحث ويسردها اجمالاً مرتبة ترتيباً متناسباً

التاسع ان لايستعمل في الالقاء من اساليب الكلام الا الاساليب العالية التي تنبه الطالب وتحاكي الوجدان وتمثل المعاني اتم تمثيل وتؤثر في نفوس الطلبة

العاشر ان لايجعل عمدته البحث عن غير النقط المفيدة فلا يسترسل في المباحث اللفظية مثلاً قبل توفيـة المعنى حقه من الايضاح والبيان

الحادي عشر ان يسلك فى تدريسه لسائر انواع العلوم مسلك تطبيقها على الواقع والنظر فى حقائقها بقطع النظر عن المنقول وان يكثر من التدريب على استعمالها ويحرص على حصول غايتها فلا يعتني بها في ذاتها بقطع النظر عن فوائدها والمقصود منها

الثاني عشر ان لايعلل الا بالعلل الحقيقية ولا يترك شيئاً من غير ان يبين علته وسببه ولا امراً عقلياً منقولاً الا اذا فهم سره وبرهانه وليحذر ان يسوق الحكمة مساق العلة او ان يذكر فيها شيئاً غير معقول الخ الخ الخ

تقديم الاولى فالاولى

هذا امر لايخفي وجوبه وضرورة الاعتناء به وان اهماله يؤدي الى مفاسد كثيرة ولكن من الغريب ان ذلك مهمل الآن لدينا بالمرة . فاهم ما يحتاج اليه المبتدىء امر التربية والادب وهو منتف في المدارس الدينية لا التفات اليه بالنسبة الى المبتدئين وغيرهم وكذا من اعظم ما يجب الابتداء به تنمية الشعور الديني وتقويته وايجاد الملكات الاسلامية الروحانية والحث على التمسك بالدين بالوجوه المقنعة والارشادات المؤثرة وبيان مزاياه واسراره وما يتعلق بابحاثه العامة من نحو ان الدين لايضاد محاسن المدنية وان الغرض منه ليس الا مصالح الانسان وان ما فيه مما يبعد فهم حكمته عند العقل فهو لمصالح حقيقيه غامضة يعجز العقل عن معرفتها

لان العقل لايدرك كل شيء الى غير ذلك مما يبعث في قلوب المبتدئين محبة الدين ويدفعهم الى العمل به دائمًا ويوجد فيهم الداعية القوية الى امتثال اوامره واجتناب نواهيه مهما تحملت النفس في ذلك من ضروب المشاق: ولكن ذلك غير منظور له الآن بوجه من الوجوه لا بالنسبة الى المبتدئين ولا سواهم حتى كانت نتيجة هذا الحال ما اشتهر من تهاوننا في اوامر الدين واننا من اهل الجرأة على الله ولعمري ما فائده مفاجأة الطالب منذ بدايته بتعليم دقائق فروع الزكاة · والصلاة · واحوال الامام والمأموم · ونحو ذلك اذا لم توجد داعية للعمل بشيء من هذا وما معنى جعل ذلك هو كل تعليم الدين مع ان معرفة ان حكم الصلاة كذا وحكم الزكاة كذا يمكن ان يفوق فيه غير المسلم المسلم·

لاجرم ان اللازم ايجاد الداعية اولاً للعمل بقانون الدين واشرابه قلوبهم وهم بعد ذلك يقبلون بانفسهم على تعلم احكام الفقه و يقاسون اشد المشقات في تحصيله: من اهم الامور التي يجب الابتداء بها ايضاً تعليم عقائد الدين على وجه ملائم معقول بسيط سهل

ولكن الآن قد يمضي على الطالب السنين العديدة من غير تعلم شيء من التوحيد لانه ليس من العلوم المقرر لها اوقات معينة رسمية بل دراستها بحسب اختيار العلماء وهذا نقص كبير . وكذلك علم التفسير من الامور المهمة الضرورية وهو الآن يعد من الكماليات واكثر الطلاب بل العلماء لايهتمون به وقد لايعرفون معنى ما يتلونه في الصلاة

الاعتناء بالحفظ

قد اشتهر بين الطلاب من الامثال قولهم (من حفظ المتون حاز الفنون) وقولهم (ليس بعلم ما حوى القمطر . العلم حقاً ما حواه الصدر) ولكن من الغريب ان ما تشير اليه هذه الامثال الحكيمة الحقة غير معمول به اصلاً . اصبح امر الحفظ الآن منبوذاً وكثر التعويل على مجرد تربية ملكة الفهم وغير خاف انها وان كانت ضرورية فهي لاتكفي وحدها وان الطالب والعالم ما لم يحفظ لايمكن ان تحصل له خصوصية معنى العلم فالحفظ اهم ما ينبغي ان يهم الطلاب والعلماء واهم ما ينبغي ان يبادروا اليه فانه

فضلاً عن ان يوفر اكثر من نصف مدة الطاب فانه يكون اكبر
معين لاتساع دائرة العقل وتربية ملكة الفهم التي يتمدحون
بها على وجه صحيح في اسرع وقت لان خير الابحاث ما بني
على اصول العلم الصحيحة وهو الذي يورث الشرف والسؤدد والفخار
لصاحبه ويرفع من قدره فى المجالس ولبئس الحال السيء ان يوجد
الانسان في محفل حافل ويسئل في امر بسيط فيقول لاادري
(حتى اراجع) . وكثيراً ما فاق الاصاغر الاكابر بسبب الحفظ
وطالما تعب العلماء فى بعض المسائل وتحيروا فيها بسبب عدم الحفظ
وكم مرة اخطأوا فى الدروس وفي كثير من الاراء والمذاهب
بسبب عدم الحفظ وبالجملة فان الحفظ هو السلم الذي يمكنك
ان ترقي به سماء العلم في اقرب وقت بل هو كل العلم وهو الذي
يحقق مفهوم عالم على الحقيقة وقد بلغ من اعتناء الاولين به
انهم كانوا يحفظون الكتاب الكبير الذي يقرب من ثلاثين
كراساً كما كانوا يحفظون من الاحاديث باسانيدها واشعار العرب
ونحو ذلك ما لايعلمه الا الله ولا يمكن ان يصل اليه احد الآن
وامر الغزالي فى ذلك معلوم حيث كان فى ايام طلبه يكتب

العلم ولا يحفظه فلما رجع الى اهله اخذ قطاع الطريق متاعه وفيه مذكراته العلمية التي هي نتيجة ما تحصل عليه فما زال يستغيث طالباً هذه المذكرات فقط قائلاً انها لاتنفعكم حتى اعطوها له فلما انتهى من سفره اشتغل بحفظها ولما اتمها قال ما معناه(الآن لايمكن ان يسرق مني علمي ولا ان يغصب)

اهمال الحفظ اورثنا انحطاطاً شديداً وتأخراً كثيراً. وما معنى تكرار مزاولة الكتب وفهم المسائل ثم تركها واضاعة العمر بين فهم وترك حتى صار مثلنا في هذا كالذي يشغل سائر اوقاته بالصيد فاذا ما وقع في شبكته شيء اطلقه وهكذا طالب العلم ومتي اشتغل بالحفظ هان عليه الامر جداً وتحصل في ربع زمنه على اضعاف ما يحصل عليه الآن فيه كله

فمن هذا ارى انه لابد من جعل الحفظ اجبارياً واعتباره في الامتحان بان يحتم على الطالب ان يحفظ في كل علم متناً متوسطاً على الاقل ولا بد من انتخاب المتون التي تحفظ ولا يشترط ان تكون متون كتب تدرس فان شدة اختصار بعض المتون اوجب غموضها حتي صارت لاتفيد كثيراً ولا يمكن اخذ المعنى

منها الا بصعوبة شديدة تحتاج الى زمن كثير فهذه يجب ان تجتنب. وزيادة اسبوع في الحفظ او ورقات في المتن اهون من هذا التعسف والتصعيب ولقد كان تاليف الاقدمين مرسلاً لاينقسم الى شرح ومتن فالمتأخرون اخترعوا هذا الاسلوب لتسهيل الحفظ والتعلم وهو اختراع مفيد ولكن ان جرى على قانون معتدل

وهنا اشير ان يكون الحفظ بعد مطالعة المتن وحله حلاً بسيطاً لان ذلك يسهل الحفظ ويثبت المعاني في الفكر ويجعل للانسان فيها مجالاً لكثرة تكرارها على الفكر

الكتابة

قد اشتهر ايضاً قول بعضهم حثا على كتابة العلم

العلم صيد والكتابة قيده   قيد صيودك بالحبال الواثقه

ولكن الطلاب اهملوا ذلك اليوم بالمرة فضاعت عليهم فوائد كثيرة فكم من تحقيق رائق يبديه الاستاذ في مسألة فيعجب به الطلاب ثم لايكتبونه فلا يلبث ان يضيع من افكارهم

ثم يحتاجون اليه فلا يجدونه وكأنهم ما عرفوه ولا سمعوه وهكذا الآن نتائج الجد وعمل الفكر تذهب وتضيع بسبب اهمال الكتابة · تالله لولا الكتابة ما امكن تدوين العلوم ولا ايجاد هذه المؤلفات التي نراها اليوم أيظن الناس ان التأليف كله يكون بالنقل عن الكتب او الاخذ من المحفوظ · كلا ان من اعظم التاليف ما لايأتي الا بكتابة الواردات والخواطر والمسموعات والمعلومات المتفرقة ولولا كتابتها ما امكن جمع تلك الكتب وذهبت منافعها العالية ادراج الرياح · قد كان من حرص الاولين علي الكتابة انهم لم يتركوا شاردة ولا واردة الا قيدوها وها هي كتبهم نجدها ناطقة بذلك فهناك من الحكايات والوقائع ما لايعتنى به ولكنهم قيدوه واودعوه كتبهم حرصاً على سائر ما نشم منه رائحة الفائدة وهناك من المعاني ما يري ويسمع الانسان الآن ويخطر على باله ما هو احسن منه بكثير ولكن هم قيدوا فحفظ عنهم ونحن اهملنا فضاعت الفوائد

كثر ما يكون في خطرات بعض العلماء او الطلاب ما لو اعتني به وقيده لافاد العالم اي افادة وخلد له ذكراً لاينسى

وامكنه ان يجمع من شتاته كتاباً يعجز كبار العلماء عن الاتيان بمثله ويعجز هو ان يأتي به قصداً مع انه كنز السعادة ومفتاح الكمال

ان الاعتناء بالكتابة لايفيد الكاتب فقط بل ويكون اعظم مساعد على ترقي سائر الناس وعلى تقدم العلوم ووصولها الى درجة الكمال المطلوبة : وبالجملة فان اهمال الكتابة نقص كبير وارى ان لابد ان يكون مع الطالب والعالم مذكرة (وقلم رصاص على الاقل) يكتب فيها خواطره الحسنة في اي موضوع كانت وما يسمعه من المسائل النفيسة وان كانت مبسوطة في الكتب فقد لايتيسر له مراجعتها بل قد لاتخطر له بعد ذلك على بال وما يعن له من الآراء في اي مسئلة من مسائل العلم وما يظهر له من نحو اوجه نقد المؤلفات بل وما يسمعه من كلام سائر الناس حتي العوام الذي يجد فيه من المزايا والمعاني العالية ما يستحق به ان يودع الدفاتر (وهو كثير) وعلى الجملة فليقرن حركة قلمه بحركة فكره وسمعه وبصره وسائر حواسه الظاهرة والباطنة وليكتب كل شيء ان استطاع فذلك هو عنوان السعادة وداعية التقدم

والرجل الذي يكون هذا حاله ينتفع حقاً بسائر حركاته ويمكنه ان يستخرج من مذكراته اليومية كتباً نفيسة في مواضيع مختلفة ولايكلفه ذلك شيء من التعب بل يمكنه ان يتركها على حالها وتكون بذاتها كتاباً كبيرا يحوي المواضيع المختلفة كأنه كشكول او دائرة معارف كبرى ولكن هذا الكسل والتراخي يحرمان الانسان من ثمرات اعماله ووجوده حتى من المنافع الكبرى التي لاتكلفنا الا قليلا من العمل وفقنا الله الى ما فيه الخير والصواب

عدم الاهتمام بالوسيلة اكثر من المقصد

من اشد الامور ضررا على التعليم ما هو حاصل اليوم من اعطاء الوسائل من العناية اكثر ما للمقاصد فالعلوم الدينية المقصودة من التوحيد والفقه والحديث والتفسير والاخلاق الدينية ليست موضع الاهتمام ولا موضوع التنافس وانما ذلك لبعض للعلوم التي تعد من الوسائل كالمعاني والبيان بل لاابالغ ان قلت ان كثيرا

من العلماء والطلاب ربما تباهوا وافتخروا بنبذ العلوم المقصودة والاقبال على سواها نعم قد يوجد الآن شيء من الاقبال على علم التوحيد والافتخار بمعرفته ولكن ليس ذلك من اجل انه علم ديني بل من جهة انه علم عقلي تمتحن به درجات العقول وتتسابق فيه الافكار ومن الغريب ان هذا التهاون كما هو بين الافراد فهو في مجلس الامتحان فلا يعتنى فيه بشيء من العلوم الشرعية الا بالتوحيد للعلة المتقدمة ولا شك ان هذا هو السبب في التهاون العام وانه نقص يجب تداركه نعم جودة العقل مطلوبة وقد

يكون ظهورها في بعض العلوم الآلية اكثر من بعض العلوم الشرعية ولكن ذلك لايقضي باهمال ما هو المقصود فمعرفة الوسائل لازمة ولكنها لاتكفي بدون المقاصد اذ ما كانت لازمة الا لاجلها كما ان معرفة العلوم الشرعية لازمة ولكنها لاتكفي دون التحقق بمضمونها اذ ما كانت الا من اجله ولهذا فاني ارى وجوب الاعتناء بالعلوم الشرعية جميعها باعتبار انها المقصود الاول ووجوب التنبه الى هذه النقط الجوهرية التي يترتب على اهمالها قلب الموضوع وزوال المقصود وفقنا الله الى ما فيه كمال الحكمة ومزيد السداد

المحافظة على الوقت

هذا من اهم ما لابد من ملاحظته فان الوقت نفيس واغتنام الفرصة واجب وقد قيل (الوقت كالسيف ان تقطعه لم قطعك) ولكن الجاري الآن غير ذلك فانك اولا لاتجد في نفوس اكثر الطلاب الغيرة على تحصيل الغاية فى الزمن المناسب بل هم قد لايتصورونها حتى يعملوا لتحصيلها وقد ينشأ من هذا ان يمضي احدهم اكثر عمره في تحصيل شيء من العلم او ملكة الفهم يكفي له اربع سنين على الاكثر ولو حاسبنا الطلاب على ساعات العمل الحقيقية ما وجدناها تبلغ الاربع مع انهم بظاهر الامر منقطعون للعلم ليلاً نهاراً عاكفون فى المساجد لهذه الغاية وثانياً تجد اوقات المسامحة اكثر من اللازم فضلا عن ان الاساتذة يسامحون دائماً قبل الميعاد المحدد في القانون ويبتدئون بعد زمن الابتداء فكأن الامر امر تأدية رسوم ووظائف لاامر جد وعمل لتحصيل الغاية في اقرب وقت ممكن وثالثاً تجد طبيعة دراستهم تقتضي ضياع الزمن من جهة الاشتغال بالامور التافهة ومن جهة التمطيط والتطويل والاسهاب

في الكتب وكل ذلك ضياع كبير. فمن هذا ارى انه لابد من ايجاد ترتيب وتحديد اساعات العمل وتحتيم ذلك علي الطلاب ولابد من حملهم مع العلماء على العمل بالقانون في مواعيد الدراسة والمسامحه بسائر الطرق الممكنه قهرية كانت او اقناعية ولا بد من ايجاد نظام كاف لايضيع المعلم معه الزمن فى كتاب او كتابين ولا يعطى شيئاً اكثر مما يستحق من المدة. وهنا انصح الطلاب ان لايقتصروا على تلقى الدروس وان لايجعلوا لهم اوقات مسامحة ودراسة بل ليشتغلوا دائماً وليتصوروا الغاية ثم ليتنافسوا في الوصول اليها بآخر سرعة في اقل ما يمكن من الزمن لكى لاتطول مده طلبهم وليغتنموا السعادة قبل ذهاب زمن الشباب فان اشتغال المسامحة الواحدة من المسامحتين الصيفية والاعتياديه يكاد ان يوفر سنه من سني الطلب والله الموفق والمعين

الباب الخامس

في تعليم الجمهور

تعليم تلامذة المدارس الاميريه والاهليه

لا اريد من ذلك تعليمهم شروط الصلاة واركانها ومفطرات الصيام وغير ذلك من فروع الفقه ولا اريد من ذلك تلقينهم براهين التوحيد اذ ذلك كله لايفيد وحده وانما اريد تنمية الشعور الديني العام وتربية الملكات والوجدانات الاسلامية والاخلاق الدينية وايجاد الداعية للعمل بقانون الدين وايقافهم على حقائقه واسراره وغرس مبادئه الحقه في قلوبهم وحثهم على العمل به واحترامه وحبه اذ هذا متى وجد حملهم من انفسهم على البحث عن معرفة احكام الصلاة وغيرها من مسائل الفقه . اذا تصور خطر على الدين فليكن من جهه تلامذة المدارس الذين يجهلون حقائق دينهم ثم ينشأون على طرائق التمدن الغربي وان تصور قوم يمكنهم ان ينتفعوا بمزاياه فليكن في مقدمتهم هؤلاء التلامذة اذا تربت فيهم ملكة الدين والقيت اليهم تعاليمه الصحيحه

تلامذة المدارس هم الذين سيكونون الطبقه العليا من الامه او هي والتى تليها وهم هم الذين ستكون بايديهم ازمة الامور ويكونون حكام الامه وقضاتها ومديريها ونظارها وغير ذلك . وهم هم الذين سيكونون اهل التأثير واهل التقدم الذين يقلدهم غيرهم فى مشاربهم ومذاهبهم واميالهم فجهلهم بالدين خطر على الدين واي خطر

الخطر الذي يأتي من هذا الجانب شديد جداً وهو يوءثر اكثر من الاحتلال الاجنبي لان الطبقة الراقية متى كانت متمسكة بالدين تضعف كل الموءثرات الاخري

ولكن من المحزن اننا كدنا ان نقع (بل وقعنا) في هذا الخطر بسبب اهمال تعليم تلامذة المدارس حقائق الدين الاسلامي واقناعهم بوجوب التمسك بأحكامه . فان اكثرهم كاد يعد امور الدين من الامور الثانوية الشخصية التى تنزل منزلة اتخاذ لون (المصباغ) ابيض او احمر والفكرة التي كادت ان تسود على كثيرين منهم ان الدين غير مطابق للعقل وانه تكاليف شاقة مجهولة المنفعة بل بدأ يدب في عقول البعض انه ربما كان من الاوهام القديمه والملفقات التي اوجدها بعض الناس لغرض

الاصلاح وردع الناس عن الشر و بالجملة فان كلمة دين وتدين تعطي عند الاكثر. معنى غير المعنى الاصلى وهي به عندهم عنوان الانحطاط بل قد تكون موضوع الازدراء والسخرية

لذلك الحال اسباب اولها اهمال تعليمهم وثانياً ميلهم الشديد الى التقاليد الاورباوية التي لم تكن من قبل ووجود فكرة (جديد وقديم وانحطاط وتقدم و بساطة وتمدن) وهذه اقوى المؤثرات على المعنى الديني الثابت عندهم من الاباء والامهات (لا من العلماء) في دور الطفولية. وثالثها خروج من يشتهرون بانهم من رجال الدين (كاكثر اهل الطرق) بالدين عن وضعه وما قصد منه الى اشياء باطلة تضاد الحقائق الثابتة وتضاد الطبع السليم من نحو قول بعضهم ان الاقتراب من المدنية الحديثة يضاد الدين حتى فيما هو منها منطبق على اصوله وقوعده وقولهم ان مذهب اهل السنة ان الارض بسيطه لا كرويه واعتقادهم في الامور الروحانيه الكاذبه وغير ذلك من العوائد والخرافات والاوهام التي لو صح انها من الدين لكان الدين من الاشياء المحقرة الدنيه التي يجب اهمالها بل الانسلاخ عنها وهذا فضلا عن انحطاطهم في انفسهم

وارتكابهم ما لايليق واتصافهم بالصفات الدنيئه وتمكنهم في الجهل المطبق

ولقد سمعت ان احد ابناء الطبقة العليا كان من المتمسكين بالدين في صغره وكان له معلم ديني يعلمه و يحثه دائماً على العمل باوامر الاسلام واجتناب نواهيه فذكر له يوماً فى الحث على الغسل من الجنابة ووجوب المبادرة اليه ان الجنب ان ظل جنباً وكان في سفينة غرقت فاتفق ان سافر هذا التلميذ الى اوربا واحتلم في السفينة ولم يتمكن من الاغتسال فصار فى اشد حالات الحزن يتوقع غرق السفينة فلما وصلوا آمنين علم ان ذلك كان كذباً وخامر فكره انه ربما كانت امور الاديان كلها من هذا القبيل وكانت العاقبة انه نبذ العمل بالدين واعتقد ان اكثره من الخرافات الملفقه . ولا شك ان الخطر الذى يأتي من مثل هذا لايقدر فانه فضلا عن ان يفقد الدين اعظم رجاله ونخبة ابنائه فانه ربما افقد البقية الباقية بحكم تأثير القوي على الضعيف والعالم على الجاهل والمتنور على غيره (وان كان هذا التاثير يكون بطيئاً في الامور الدينية الا انه لا بد منه)

كم مرة رأينا قوماً من العمد كان في غاية الصلاح والتقوي فتعلموا شرب الخمر والزنا وسائر الانواع المنكرة بحكم مجانسة بعض الكتبة او مأموري المراكز ومعاونى البوليس مثلا وكم مرة رأينا كثيراً من هو. لاء الموظفين وامثالهم يهينون الدين والعلماء واهل التقوى ويضطهدونهم ولا يألفون الامن كان على مشربهم حتي اصبح مثل العلماء اليوم واهل الدين كمثل القسس في اوربا مع دعاة التمدن حيث اضطهدوهم بسائر انواع الاضطهاد حتى صار سلطان الدين قاصراً على الكنائس لانهم رأوا القسس عقبة في طريق ترقيهم فهكذا نحن اليوم يرى ابنائنا واخواننا من المسلمين المتعلمين فى المدارس اننا عقبة فى طريق السعادة والمدنية ودعاة الى التوحش والهمجية

ويعتقدون اننا البقية الباقيه من آثار البساطه والعباطه والجهالة الاولى واننا العضو الاشل والاحمر المشوه للجامعه والطبقه المنحطه التي قد لايرجى منها ولا لها فلاح وسبب هذا كله عدم تعليمهم وسرعه تقليدهم ونقصنا الظاهر واي خطر ومصاب اشد من هذا المصاب الاليم الواقع بين ظهرانينا ونحن لانحس به

ولا نتألم منه ولا يخطر ببالنا كيف الخلاص كاننا طبعنا على الهوان والجمود والضعف . في اكثر المدارس حصص دينيه ولكنها مهملة وغير معتنى بها وعقيمة لانها لاتعلم شيئاً مما اردناه من تعليم التلامذة وبناه اولاً بل هي تختصر على بيان بعض عقائد الدين واحكامه وهذا وحده لايفيد ما لم توجد الداعية القوية والروح الاسلامية العالية . فلذا ارى ان يكون تعليم التلامذة موضع العناية وذلك اما بالسعي وراء ان يقوم به معلموا المدارس على الوجه المطلوب كما ينبغي وان يكون من الواجبات الاولى واما بانتقاء فرقة من نبهاء العلماء لمباشرة هذا التعليم ومخابرة المعارف في هذا الشأن لكي يعطي في كل مدرسة درس او درسان مجاناً اسبوعياً

نشر العلم بين العامة

نشر العلم وتعليم الامه من اول واجبات العلماء فان العالم سراج واذا لم ينتفع بضوء السراج فلا فائدة من وجوده وقد قالوا ان العالم لايكون عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه وقلنا فيما تقدم ان العالم ليس مسئولاً عن نفسه فقط بل وعن عشيرته وامته

ايضاً فمن الواجب عليه ان يعلم و يعظ و يبلغ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن من الاسف اننا اليوم لانقوم بشيء من امثال ذلك ودليل هذا اجمالاً حال الامم الاسلامية في الجهل والجمود والانحطاط والغباوة وعدم معرفة اسرار الدين ومزاياه وغايته الحقيقية. ولا استدل تفصيلا باكثر من بيوت العلماء انفسهم فاننا لو بحثناها وجدناها مناخاً لمكروبات الجهل وجراثيم الاوهام والخرافات والابتعاد عن معانى الدين الحقيقية وكثيراً ما يجري فيها عادات ورسوم منكرة شرعاً ويسود فيها الجهل على مرأى ومسمع من (الشيخ) بدون ان يخطر بباله ان يزيله ولئن خطر بباله فقد لايجد من وسائل الاقناع والارشاد ما يساعده على ذلك لانه لايعرف العلم الا باللسان الفني الصعب العقيم الذي الذي لايناسب عقولهن ولئن ساعدته المقادير ونجح في شيء من ذلك فليكن هو خاصة الصلاة والصيام مثلا دون سائر العادات والاعتقادات النسائية القبيحة كأن الفكرة السائدة على عقولنا ان العالم هو الذي يذهب كل يوم الى خاصة الازهر والجامع الاحمدي، مثلاً ليعطي درساً هناك بلغة العلوم الخاصة وانه ان

كان في غير العلوم الشرعية كان عنوان التقدم وغزارة العلم اما نحو الوعظ والارشاد فهو مهمل بالمرة وقد كانت نتيجة ذلك موت اكثر العلم الحي النافع المقصود اولا وحصر الباقي في جامعين او ثلاثة او اربعه في القطر كله ثانياً

اما الاول فلان الارشاد والاخلاق الدينيه والدعوة الاسلامية مفقودة بالمرة

واما الثاني فلان الباقي من العلم المتداول لايعلم الا في مصر وطنطا واسكندرية ودسوق ودمياط . و بديهي ان الناس جميعاً لايمكنهم الارتحال الى هذه الجوامع ليتعلموا فيها الدين خصوصاً وتعلم القدر اللازم يحتاج على طريقة هذه المدارس الي سنين عديدة لانه يلزم ان يتعلموا النحو و يتقنوا اصطلاحات العلوم والكتب واساليبها الصعبة . واذا كان الامر كذلك والذين يأتون هذه المدارس لايغرس فيهم ملكة نشر العلم بين اقوامهم سواء كانوا من الواصلين لدرجة العالمية ام لا فكيف يمكن اذاً تعليم الامه وما هو السبيل الى ذلك . ايكون السبيل ترك الناس يهيمون في بيداء جهل الامور الدينيه لكي يستعدوا لاخذ المبادىء

التي ينشرها اليوم دعاة النصرانيه مقرونة بشبه تؤثر على غير المتمكنين في العلم او لكي يستعدوا لخلع ربقه الدين ويتناسوا تعاليمه وجبه الموروث عن (الآباء والامهات) و يأخذوا باطراف المدنيه البحته الزاحفه جيوشها من اوربا فيكونوا مدنيين بلا دين حقيقي

لاشك ان هذا خطر كبير لايزول الا بنشر العلم وتعليم الناس امور دينهم وذلك فيما اري يكون بالامور الآتيه

اولاً ايجاد الداعية الشديدة للتعليم في العلماء بصنوف المرغبات الدينية والمادية والادبية · ثانياً تعلمهم طرق التأثير على قلوب العامه واقناعهم واستعمال طرق التعليم المناسبه لهم ولعقولهم · ثالثاً اكثار مراكز العلم في القطر · رابعاً محاولة ان يوجد في كل بلد عالم يقوم بامثال هذه الواجبات و يكون قاضي البلد الشرعي والمعول عليه في جميع الشؤون الدينيه · خامساً تاليف كتب في الفقه والتوحيد والتفسير والاخلاق وجميع المباحث الدينية اللازمة بلهجة واسلوب يناسب العوام و يسهل عليهم فهمه وارى ان يكون هذا باللغة العربية القريبة من العاميه او بالعاميه الصرفه ولا يقول

الناس اني اريد اماتة العربيه . كلا ولكن اريد ايجاد روح الدين وملكاته وعلومه في قلوب الناس فان وجدتُ ان اللغة العربية عقبه في الطريق اهملتها مع علمي وتعليمي انها هي الاولى والواجب ولهذه المناسبه فاني ارى ايضاً ان يؤلف بالعاميه كتاب يدعوا الى تعلم العربيه

سادساً ان يكثر العلماء من زيارة البلاد والسياحه فيها لهذا الغرض ولا يتهكموا بحال مشائخ الطرق في اصل السياحه والانتشار في البلاد فان تلك طريقه دينيه عاليه اصلها ان تكون للعلماء كما ان الاصل ان يكون العالم هو المرشد ولكن انعكس الامر وكان المرشدون والعلماء فرقتين ثم انفرد المرشدون او اهل الطريق بالسياحة واخرجوها عن وضعها من نشر الدين الى ان تكون واسطة من وسايط المعاش

وهنا اراني مضطراً الى ذكر ذلك الحال المخجل والامر الشنيع الذي جرى رسمياً بين العلماء منذ سنتين او ثلاث وهو ان العلماء حاولوا ان يكون لهم جميعاً امتياز السفر على قطارات السكة الحديد بنصف اجرة وكان هذا من قبل خاصاً باصحاب

كساوي التشريف فخابروا الحكومة بواسطة روءسائهم في ذلك وطلبوا ان يعاملوا معامله القسس فاجيبوا ولكن علي شرط ان يكون السفر (لتعليم الاهالي امور دينهم) كما يفعل القسس وان يستحضروا شهادات بذلك من مشيخة الازهر فكانو كلما سافروا لقضاء اوطارهم الخصوصية سافروا بتلك الشهادات التي صارت قاصرة على مثل هذا السفر ولا اظن انها استعملت فيما وضعت من اجله على حقيقتها مرة واحدة لان ذلك لايخطر على بال احد من علمائنا اليوم وكم مئات من الشهادات صدرت كذباً بهذا المعنى وكانوا يتأولونها بان العالم ربما سأله احد الناس في سفره عن حكم فما اجمد تلك النفوس وما اشدها بعداً عن اللازم · كذبٌ وعدم تأدية للواجب مع وجود المقرعات الشديدة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم · ولكن فضيلة الشيخ الحالي السيد علي البيلاوي حين علم بذلك قبل انه ابطل هذه الشهادات فجزاه الله خيراً

البعثات العلمية

ان الخلل والفساد والانحطاط والجمود والجهل والتمسك بالاوهام

الخ الخ وان عمت الامم الاسلامية جميعها فلا شك انها في بعضها اقل منها في البعض وان منها ما حاجته الى الاصلاح اشد من غيره فها هي مراكش مثلا بلغت مبلغاً عظيماً في الجهل والانحطاط الا انها لازالت مستقلة يرجى لها الخير ان هي اصلحت احوالها وفتحت فتحاً علمياً جديداً يبنى على ازاله الاوهام والخرافات السائدة عند الاهالي وبيان حقائق الدين واصوله وما يوافقه من احوال المدنية الحاضرة وما لايوافقه ومن هو المسلم الكامل وما هي الحالة التى ينبغي ان يكون عليها فى العصر الحاضر والتفتت افكار رجالها الى تدارك النقائص المادية والدينية والادبية والنظر في المصالح العامة والشعور بالوحدة وترك الاحقاد والانقسامات والعمل بواجب الاتحاد والاخوة والحرية الدينية والمساواة الخ الخ ولا يمكن ان يقوم بهذا الواجب المهم ويوءثر التأثير المطلوب بالنسبة للعامة والخاصة الا حضرات العلماء اذا انتشروا بينهم وبثو فيهم المبادىء الصحيحة وقاموا بواجب النصح والتعليم والوعظ والتنهيض والارشاد الى سائر الكمالات المادية والادبية والدينيه

وكذلك حال جزيرة العرب تلك الجزيرة صاحبة التاريخ

الاعظم ووطن. اولئك الرجال العقلاء الذين نهضوا بالامم وفتحوا لهم باب التقدم والترقي واستعمال قوة العقل في ما خلقت لاجله والوصول الى اعلى الغايات واسمى المراتب والتي وصلت من النظام الى حد كانت تقوم معه الظعينة من اطراف اليمن قاصدة مكة ليس معها احد ولا تخاف على شيء. قد اصبحت من اسواء الاحوال التي تحزن القلوب وتستنزف الدموع وتوجب التفات سائر العقلاء من المسلمين فضلاً عن كبار علمائهم الى رتق هذا الفتق ومداركة هذا النقص وملافاة هذا العيب الفاضح والخلل الكبير. اي نعم ان حال جزيرة العرب اليوم هو النقص الذي لا يضاهيه نقص والعيب الذي ليس بعده عيب اذ كيف يجوز ان تكون تلك الجزيرة التي منها اشرقت شمس العلوم والكمال على سائر بقاع المسكونة ومنها ظهر الاسلام وعلى يد رجالها فتحت الممالك وانتظمت الاقطار وبلغت الغاية في العلم والمدنية على مثل هذا الحال من الهمجية والتوحش والانحطاط الى ادنى مراتب الحيوانية البهيمية. كيف يجوز ان تكون باهلها كالوادي المسكون بالحيوانات المتوحشة والكلاب العقورة. كيف

يجوز ان تهمل سلالة العرب اهل الشرف الاعلى والكمالات الكبري واصحاب الفضل على المسلمين في سائر القرى والامصار بل على العالم اجمع الى جاهلية وفساد وانحطاط اكثر مما كانوا عليه قبل الاسلام. كيف يجوز ان يكون مهد الاسلام ومهبط الوحي ومظهر العلم مناخاً للجهل مسكناً للتوحش وما لايمكن ان يصفه الواصفون من النقص الكبير. كيف يجوز ان نترك اخواننا في الدين وسكان الارض المقدسة على مثل هذا الحال السيء والجهل العظيم وفساد الاخلاق الاكبر الذى يجلب العار والشنار على الاسلام والمسلمين اليس حق الاخاء وقانون الدين يوجب على العلماء ان يسعوا في ترقية تلك الشعوب المنتشرة ذات الاستعداد الفطري العظيم تالله ان الجهاد والغزو العلمي والمصابرة على مثل هذا العمل المهم قد يكون افضل من كل عمل حتى من جهاد الكافرين الذي اصبح متعذراً غير معمول به ابداً

أيظن الناس ان حفظ النظام وتقدم العمران وحصول ضمانة السلام والامن على الحجاج يكون بقوة الجيوش ومزيد التنبه الاداري فقط. كلا ان ذلك لايفيد الا بجهد جهيد وحرب

شديد تسيل فيها انهار الدماء ولكن هناك ما يفيد هذه الفائدة ويفيد غيرها من الفوائد العظمى التي لاتحصى وهو الفتح العلمي والتربية الصحيحة ونشر العلوم بين هذه القبائل على اسلوب حسن مناسب. على ان الواجب اليوم ان لاينظر الى الحكام في الاصلاح ما دام امرهم هكذا وآثارهم في ترقية شؤون رعاياهم هو ما نراه باعيننا ويضج العالم اجمع من هوله وقد وصلوا في الاهمال والتراخي الى حد يوجب اليأس منهم وان يقوم العلماء والمسلمون بواجب التربية ونشر العلم فان هذا هو منبع السعاده واساس الاصلاح

ومثل ما يقال عن جزيره العرب يقال عن اكثر الامم الاسلامية خصوصاً في افريقيا وبعض الممالك العثمانية فقد بلغوا من الجهل والانحطاط مبلغاً لايليق بالنسبة للعصور الاولى فضلاً عن هذا العصر عصر العلوم والمعارف فمن الواجب على العلماء ان ينتشروا بين هذه الامم ليرقوها ويوقفوها على الخطط التي ينبغي ان يسلكها المسلمون في هذا العصر الحاضر وليقوموا فيها بواجب التربية والتعليم وليرفعوها من هذه الوهدة

التي سقطت فيها وليأهلوها لان تكون من امم هذا العصر لها ما لها وعليها ما عليها لا من الامم القديمة التي اخنى عليها الدهر وضربت عليها الذلة والمسكنة والاستعباد

وارى ان من اهم الواجبات على اولي الامر واهل الاداره الدينية ان يبعثوا البعوث الدينية العلمية في سائر الممالك والافطار الاسلامية قياماً بهذا الواجب الجليل وخدمة للامة والملة فان هذا احق ما يتنافس فيه المتنافسون ويتسابق اليه المتسابقون وما يعقله الا العالمون والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الباب السادس

في التعليم الابتدائي

نعني بهذا التعليم تعليم صغار المسلمين وتربيتهم تربية صحيحة عالية تجعلهم من كبار المتنورين العقلاء الانقياء العاملين لأمري الدين والدنيا · ولا شك ان هذا من اهم المهمات التي ينبغي ان تكون موضع العناية والاهتمام لانه اقوى ضمانة لتكوين امة

اسلامية حية عاملة تقف في مصاف الامم العظمى وتستعمر هذا الكون على الوجه المطلوب وتعبد الله وتقدسه وتسبحه وتمجده وتراعي احكامه وحدوده على وفق ما هو مبين في الشريعة

ان التعليم الابتدائي هو اسهل وسيلة وابسطها واقربها لتحصيل هذه الغاية العظمى وغيرها من المطالب العالية والمبادئ الشريفة التي قد يصعب الحصول عليها من غير هذه الوجه مهما بذل في سبيل ذلك من النفوس والاموال . ذلك لان الانسان مفطور على محض القابلية فهو فى جميع شؤونه واخلاقه وعاداته ودينه ولغته على حسب الظرف الذي يوجد فيه وعلى وفق المبادي التي تلقى له اولاً او يكتسبها من طبيعة الاختلاط والمعاشرة على طريقه التقليد الذي يصير فيما بعد ملكات ثابتة

عرفت هذه الحقيقة الامم الغربية فوجهوا عنايتهم لتربية اولادهم تربية كان من نتائجها هذه السيادة والرفعة التى تراهم فيها اليوم وجعلوا القيام بهذا الواجب الجليل من اهم الاعمال التي

لاينبغي ان يقوم بها الا كبراء الرجال وصار بهذا علم التربية لديهم من اجل العلوم واسماها

وعلم هذه الحقيقه دعاة النصرانية ايضاً فلم يروا حيله لاقناع المسلمين مثلا بوجوب اعتناق المسيحية الا فتح المدارس باسم العلم ليقبل عليها اولاد المسلمين وهناك تعطى لهم بعض التعاليم التي تضعف الشعور الاسلامي الموروث وتعدهم لان يكونوا مسيحيين (على ما يتصورون)

اما نحن فقد اغفلنا بالمرة هذا الواجب المهم والوسيلة لابل المقصد الشريف ولم نعمل لبث مبادىء الكمال الاسلامي بواسطة التعليم الابتدائي في نفوس ابنائنا فكانت نتيجة ذلك نقصاننا الشديد خصوصاً فيما يتعلق بامر الدين

بلغ هذا التهاون الى حد يعد معه علمائنا (وهم المسئولون) امر تعليم الاطفال من الامور الحقيرة التي لاتليق بمقامهم العالي فاسلموا مع باقي الامة اولادهم الى رجال جهلة وهم فقهاء المكاتب لايصلحون من حالهم شيئاً بل ربما ساعدوهم على زياده النقص والفساد

المكاتب

المكاتب هي دور التعليم الاولي على الحقيقة ولكنها ليس فيها من معنى التعليم شيء بل ربما كان فيها مساعدة على الجهل والفساد الا انها مع ذلك تؤدي للدين خدمة مهمة وهي ايجاد فرق كثيرة (وان كان نسبتها الى من يدخل هذه المكاتب كنسبة اثنين الى مائة) يحفظون الفاظ القرآن وان لم يعملوا به بل وان لم يفقهوه فهي بهذا من اختصاصات الادارة الدينية ويجب اصلاحها ولا يجوز بقائها على ما كانت عليه ولكن من المحزن ان علمائنا وكبرائنا اهملوها حتى فسدت ثم اغتصبت واصبحت على وجه يكاد ان يكون مدنياً بحتاً فضاعت تلك الفرصه الثمينه وقرب الخطر من اساس الدين اوليه وكان الحال من باب تدارك النقص بما هو اشد نقصاً منه

لو تنبه العلماء من سالف الزمان الى ما هو واجب عليهم بازاء المكاتب وعلموا انها هي المدارس الدينية الاولى فقاموا باصلاحها لوجدوا خير وسيلة الى ترقي الامة وابلاغها منتهى الكمال فيما

يختص بامري الدنيا والآخرة ولكفوا الامه والملة شر هذا الحادث الجديد والاغتصاب الهائل الا وانه استيلاء نظارة المعارف على المكاتب الاهلية الذي قد يتسبب عنه اعظم حادث فى الدين وهو عدم وجود من يحفظ القرآن الا قليلاً بعد خمسين سنة

ولكن كيف كان يمكن هذا الاصلاح وعلمائنا للآن لم يعرفوا ان المكاتب من اختصاصاتهم ولا من الاشياء التي يجب اصلاحها بل كيف يكون ذلك وهم لم يحسوا بهذا الحادث المدلهم والخطر المنتظر ولم يتأوهوا منه ولم يحتجوا عليه كانهم ليسوا حراس الدين وحفظته وحماته

جزى الله صاحب المؤيد خيراً حيث احس بهذا الخلل فقام محتجاً عليه في الجمعية العمومية طالباً اطالة ساعات حفظ القرآن في المكاتب التابعة للنظارة ولو سأل سائل اين كان العلماء ورؤساؤهم اذاً خصوصاً ومنهم الاعضاء في الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين لاجيب كانوا فى هذا الوقت يتنازعون فيما بينهم وينقسمون على انفسهم · كانوا في هرج شديد وخصام مستمر على

شي يشغل عن المحافظة على القرآن) ولا ادري متى يوفق الله
بيننا و يرشدنا الى معرفة الواجب وعدم اهماله

لاينكر عاقل ان المكاتب كانت في نقص شديد وان
الواجب اصلاحها ولكني لااقول ان اصلاحها الذي يوافق اصل
تكوينها و يلائم المصلحة الدينيه يكون بمثل ما فعلت نظارة المعارف
الآن فانها كادت تحولها من ذلك المعنى الديني الى غاية عمرانية
مدنية صرفة وهي تنوير الطلبة تنويرًا عامًا لكي يكونوا فيما بعد
رجالاً اكفاء للعمل في الحياة ولترقية المجتمع المصري وتلك لاانكر
انها غاية شريفة ولكن يجب ان تكون مبنية على الشعور الديني
والقانون الاسلامي ومركبة على ذلك اذ المسلم ينبغي ان يعلم
و يعمل و يترقى و يتنور مع علمه بان ذلك من واجبات الدين وهذا
المبدأ الذي نجري عليه النظارة من شأنه اماتة الشعور الديني
تدريجيًا وجعل المبدأ العام مدنيًا اكثر منه دينيًا وان كان هناك الآن
بعض امور دينية لم تكن من قبل هذا فضلا عن ان الفقهاء لجهلهم
لايقصرون الامر على الحد الذي تريده النظارة بل هم يتغالون ايضًا في
اهمال الامور الدينية والاعتناء بنحو الحساب والخط حتى صار البلاء

عظيما والخطاب جديا

ومن هذا فاني ارى ان تكون تلك المكاتب تابعة للادارة الدينية وان تصلح لا كما تريد النظارة فقط بالنسبه للآداب والتنور العام والالمام بالعلوم الضرورية بل اكثر مما تريد لان ذلك من اهم ما يلائم المصلحه الدينية ولاكن على شرط الاعتنا بحفظ القران وتقوية الشعور الديني وتنميته وبيان الغايه من الدين وبيان الخرافات والاوهام والعقائد الشائعه الباطلة وان الدين يجامع منتهى السعادة فى الدنيا ويحث على الاختراع والاكتشاف وبيان ما يوافق قانون الدين وما يخالفه من العادات والاحوال التي عليها الناس الآن ونحو ذلك

وان يتبع في طريقه حفظ القرآن تفسير معانيه البسيطه بوجه سهل يفهمه التلامذة ليسهل عليهم الحفظ اولا ولتتربى فيهم ملكة التعقل ثانيا ولكى يستفيدوا منه في الآداب والعقائد والاخلاق الخ الخ وهو على الحقيقه افضل ما ينمي الفطرة السليمه ويعدل العقول و يبلغ الانسان الى اعلى مراتب الكمال

وان ينشيء في الازهر والجامع الاحمدي قسم لتعليم واجبات

تلك الوظيفه وطريق احسان القيام بها ليكون من بين العلماء او من يقرب منهم على الاقل من يقوم بهذا الواجب الاعلى الذي لايمكن ان يقوم به كل عالم في الحقيقه وان يحترس فى انتقائهم وانتخابهم تمام الاحتراس فان اخلاقهم تسري بالعدوى الى التلامذه فهم بذلك ممكن ان يكونوا مصدر السعادة وممكن ان يكونوا مصدر الشقاء

وارجو ان لايستغرب حضرات العلماء مقالى هذا و يسخروا منه حيث اريد ان اجعلهم فقهاء مكاتب فان احتقار امر المكاتب اليوم لايوءثر على مقامها الرفيع الحقيقي وعلى كل حال فاني ارجو التامل في هذا الموضوع الجليل

هذا واذا لم يمكن الآن جعل هذه المكاتب تابعه الى الادارة الدينية فاني اري وجوب السعي فى ان يجعل لتلك الادارة حق الاشراف على الامور الدينية واعطاء الفقهاء من التعليمات الاسلامية ما يكون لازماً وان تعين مفتشين يراقبون سير التعليم الديني فى تلك المكاتب غير مفتشي النظاره

الباب السابع

في الارشاد

الارشاد من اهم ما يتوقف عليه ترقي الامة وحسن نشأتها في سائر الشؤون الدينية والادبية والمادية وهو العامل الاكبر للنهوض من هذا السقوط والانتباه من هذه الغفلة ولا يمكن ان يقوم به على اتم وجوهه غير العلماء الا ان هنا امرين مهمين يجب التنبه لهما : الاول ان امر الارشاد ليس بالامر الهين فكثيرًا ما سمعنا من جاهر بالحق فلم يسمع منه ومن نصح فلم يفد نصحه الا عنادا ولم يستفد هو الا معاداة المنصوح فلابد حينئذ من معرفة الطرق اللائقة المقبولة التي تأتي بنتيجة حسنة فقد سمعنا من اكثر العلماء الاعتذار عن ترك الارشاد بانه لايفيد ولكن ما ذلك الا للجهل بطرقه اذ لايكفي لارشاد تارك الصلاه ان يقال له صل او ترك الصلاه حرام او نحو ذلك . الثاني ان بعض الناس يظن ان موضوع الارشاد مقصور على نحو الصلاه والصوم وترك الغيبة والزهد في الدنيا والرغبة في الآخره ومنهم

من يظن ان موضوعه قاصر على التقدم فى المدنية والعمران ومجاراه الامم الغربية في الاختراع والاكتشاف واحياء الصناعة والتقدم في شؤون هذه الحياة مع ان امر الارشاد اعم من ذلك ويجب ان يكون بحسب الدواعي والمقتضيات وهو كما يكون في الشؤون الدينية البحتة يكون في الشؤون الادبية والمادية وسائر ما يرتبط بصالح الامة فى عاجلها وآجلها

ولا شك ان الكمال في الامر الاول وهو ما يتعلق بكيفيه الارشاد وطريقه يتبع سعة العقل وكمال الاخلاق وحسن التفرس ويحتاج الى لوازم كثيرة سيأتي بيانها اما الكمال في الامر الثاني وهو ما يتعلق بموضوع الارشاد فيتبع معرفه اسرار الدين ومقاصده وتطبيق ذلك على الواقع بعد معرفة مواقع الضعف وكامن الداء وذلك شيء شاق لايمكن التوصل اليه بسهولة. ومن هنا ترى طلاب الاصلاح والعاملين على الارشاد فى الامة الاسلامية مختلفي المشارب متباعدي المرامي ومع ذلك فقد يكون الكمال فوق ما يطلبون ويتصورون ويكون كل واحد ادركه من وجه دون آخر وكثيراً ما ادى اختلافهم هذا الى ضد ما

يقصدون من حيث لايقصدون ومن هنا كان التغاضي عن الباطل احياناً خير وسيلة لنصرة الحق و بالجمله فهذا المعنى من اسمى المعانى واعلاها وادقها واخفاها واجل ما يعتنى ببيانه وتحقيقه وتحديده ولا اريد الآن الافاضه في تفصيله فذلك ان يكن ففي كتاب آخر ولغا اريد التنبيه على انه امر واجب يجب الاهتمام به والتوجه نحوه ومتى توجهت اليه الافكار فلا بد ان يبلغ منتهاه من الكمال وقد يأتي بعض الناس بما لايخطر لمثلي على بال وقبل النهاية اقترح جعل الارشاد علماً مستقلا مدوناً تبين فيه موضوعاته وطرقه وكيفياته ولوازمه الخ الخ والله هو الهادي الي ما فيه الخير والرشاد

طرق الارشاد ولوازمه

علم مما تقدم وجوب الارشاد على العلماء ونشر العلم بين الناس وحثهم علي العمل به واخراجهم من ظلمات الجهاله الى نور العلم وتحريرهم من رق الاوهام ولآن نريد ان نبين شيئاً من طرق الارشاد ولوازمه ونقول انه لايكفى فى القيام بواجب الارشاد على الوجه المفيد مجرد معرفة احكام الفقه بل ولا هذه العلوم

المتداولة الآن جميعها الا نري ان اكثر الحرام والواجب معروف لدى الناس ومع هذا فهم يخالفونه بل في الحقيقة العلم بمسائل مثل النحو والفقه والتوحيد شيء وسياسة الارشاد وعلومه شيء آخر لايكون الا بكمال العقل وحسن الفطنة والحلم وسرعة الادراك ووجود التأثير والجاذبية واستعمال منتهى ما يمكن ان يصل اليه الفكر من الاساليب والحيل الشريفه التي تؤدي الى الغرض المقصود

صاحب سياسة الارشاد هو من يتمكن بسبب استعمال فكره في استنتاج وسائل الاصلاح واختراع اسباب الهداية من ان يجعل له سلطاناً على القلوب وتأثيرا في النفوس حتى تكاد ان تكون فى رقه يوجهها كيف شاء واين شاء ومتى شاء

صاحب سياسة الارشاد هو الذي يكون مثله في الوصول الي اعظم الغايات النافعه المفيدة التي قد لايخطر ببال الناس وصول احد اليها كمثل مخترع الوابور والتلغراف والفوتوغراف والتليفون حيث وصلوا باستعمال عقولهم فى التخايل والتفنن الى اعظم الغايات التي قدمت العالم ونفعته نفعاً لايقدر وكانت من قبل

تعد فى حيز المستحيل لايصدق احد بامكانها فضلاً عن حصولها

صاحب سياسة الارشاد هو الذى يقدر بقوة تأثيره على تبديل العقائد (الفاسدة) وقلب العادات (القبيحة) وجعل المحبوب مكروهاً والمكروه محبوباً وقد لايحتاج فى كل هذا لان يقول بالتصريح ان هذا حسن وهذا قبيح بل تكفيه الاشارة والتلويح بكيفية تدلي بطبيعتها الى هذه النتائج وتسوق العقول اليها

صاحب سياسة الارشاد هو الذي يتنازل من سماء علوه الى مخالطة سائر طبقات العالم شريفها ووضيعها ومشاركتهم فيما هم فيه بل واستحسانه موقتاً وان كان في ذاته قبيحاً . بينما تجده مع اكبر كبير يتحادث ويتسامر وينتقل من موضوع الى موضوع ومن اسلوب الى اسلوب اذا به مخالطاً لاحقر حقير يشاركه فى حاله ويساعده على عمله ويخاطبه بالخطاب المألوف عنده وفى الموضوع المشتهي لديه وغايته من كل ذلك واحدة وهي التوصل لغرس شجرة الهدايه الى منتهى السعادة وتأجيج نار الشوق الى الكمال الاسلامي فى قلب مجالسه وكل افعاله واقواله انما يسوقها على وفق مقتضيات الاحوال ودواعي الظروف ليتوصل بها الى مقصده الذي

يدعو اليه

صاحب سياسة الارشاد هو الذى لا تؤثر عليه العادات ولا يكون عنده غرور بفكره ولا ثقة شديدة بنفسه لا هو من المتهورين ولا اصحاب الجمود

صاحب سياسة الارشاد هو من ينظر فى الامور نظر الخبير ويتدبر العواقب والمبادي والغايات ويتقن التطبيق وادخال الجزئيات تحت الكليات وترجيح ما ينبغي ترجيحه من جهتي المصلحه والمفسدة في الشيء الواحد اذ كثر ما يكون الشيء في ظاهره من المفاسد والامور المنهيه ولكن يكون وراءه مصالح جمه تسوغه او تكون المفاسد التي تنشا عن ابطاله اكثر منه وطالما يكونون الشيء بظاهره من المصالح والامور المطلوبة ولكن يكون وراءه او في حمل الناس عليه مفاسد لا تحصى وكثيراً ما يكون ظاهر الامر ادخال هذا الجزئي تحت القاعدة المبيحة ولكن عند التأمل يوجد من حاله او آثاره او ما يترتب عليه ما يدخله تحت القاعدة المحرمة والعكس اذ قواعد الشرع المختلفة تتوارد على الشيء الواحد باعتبارات شتى وقد يندر وجود ما لا تعتريه الاحكام الخمسة. فعمل المرشد

البصير ان يدقق النظر في التطبيق والترجيح حتى يشير بفعل او ترك اذ الى هذا المعنى كان يرجع اسم الفقه في صدر الاسلام . فاذا رأى مثلاً من يحلق لحيته من موظفي الحكومة ومعلوم ظاهر ان ذلك مذموم شرعاً فقد يكون اذا بدأه بان من قواعد الدين ذم حلق اللحية وترك التعمم وعدم اسبال العذبة وامره ان يعمل ذلك نفر منه نفوراً تاماً ووجد وحشة كلية من قواعد الدين واحكامه وتمثلت عنده بهيئة الشيء الثقيل والتكليف الشاق الذي لايناسب الاذواق فضاع هو من يد المرشد وضاع ما كان ينتظر منه من الاحوال والاعمال اذ ربما كانت استقامته لو استقام كاسلام عمر في العود على الدين بالعز والشرف وفي التسبب في استقامة الكثيرين وتأييد الدين الخ الخ الخ

ولكنه لو تغاضى عن ذلك اولا . لابل قال له ما بهذا من بأس على شرط ان تعرف ربك الذي انعم عليك بنعمة الوجود ولو شاء لاعدمك وبنعمة العقل ولو شاء لجعلك مثل هؤلاء المجانين وبهذا الرزق ولو شاء لجعلك كأفقر المسلمين وان تحبه فان النفس ميالة الى حب من احسن اليها وان تعمل ما طلبه

منك وهو لم يطلب منك الا ما فيه مصلحة لك وان خفيت عليك وان لاتشرب الخمر ففيه من المضار كذا وكذا وقد قال الحكيم فلان (والمسيو كذا) في ذمه كيت وكيت وبين الاكتشاف الاخير انه يورث داء كذا وكذا الخ الخ الخ . لو فعل معه هكذا لاطاعه واستأنس به وانصت اليه ثم لايزل معه على هذا المنوال حتى يأتي وقت يقبل فيه بكل ارتياح ذلك الفعل الذى لو امره بفعله اولاً لترك الشرع واهله بالمرة واستمر على اعراضه بل زاد فيه

وبالجملة فان الارشاد له طرق دقيقة ولوازم كثيرة ولا يكفى فيه مجرد العلم فكثيراً ما يعرف الانسان الحق ولكنه لايدري كيف يحمل الناس عليه بل كثر ما يعرف الحق فى امر ويريد ان يحمل عليه فيأتي بكيفية تورث من المفاسد والمضار ما يفوق ترك ذلك الحق بمراتب ومع ذلك فلا يتمكن من اقناع الناس بوجوب التمسك به

ومن اهم هذه اللوازم حسن البصيرة في عاقبة الامر واتقان التطبيق والترجيح (على ما مر) والابتداء بالاهم والاسهل على

النفوس وعدم مفاجأة من ليس على مذهبه بنقط الخلاف. فان رأي شيعياً او معتزلاً لا يصلى فليتحبب اليه وليقوي معنى الرابطة الاصلية بينهما بقطع النظر عن نقط الخلاف وليرشده اولا الى وجوب الصلاة لا الى ان ابا بكر افضل من علي او ان الافعال مخلوقة لله لا للعبد فان الكلام في الثانى لايفيد الا التنافر دون الاول ومع الابتداء بهذا الاول فقد يسهل الكلام في الثانى. وعدم المجاهرة بالمقصد دفعة بل قد يحتاج الى الاغضا اولاً عن كثير من الامور المخالفة بل الي اظهار استحسان شيء منها على وجه مناسب. وحسن التفرس وعدم الغلظة والعناد ومخاطبة كل انسان بمثل المعهود لديه و بالاسلوب الذي يكون موءثراً عنده والحلم والاناة والتواد والالفة والالمام بكثير من وقائع التاريخ واجادة التمثيل والتشبيه والتزيي بالزي الحسن والجرأة وعدم الانفة والاستحياء من الامر الذي لم يعتده و يري انه سبيل الى الخير والاحاطة باسرار الدين ومقاصده في الاحكام وتقريب المنقول من المعقول وتجنب الاملال من اي موضوع والتشويق دائماً الى ما عنده بعدم الاندفاع في ابدائه دفعة واحدة ومعرفه تطبيق الآيات والاحاديث

على وقائع الظروف والاحوال والصبر والثبات والتحمل والبشر التام ومدح المخاطب والثناء عليه وملاطفة الصغار ومسايرة الكبار الخ الخ الخ والله هو الهادي الى سبيل الارشاد

مخالطة الناس

اذا كان العالم مسئولا عن غيره وعليه القيام بواجب الارشاد والتعليم للناس فهذا بالطبع لايتم الا بمخالطتهم عل اختلاف طبقاتهم خصوصاً والمخالطة سبب الميل والانس الموجب لقبول ما يلقى اليهم من الارشاد النافع هذا فضلاً عن انه يعتبر من اعظم الاسباب لانتشار العلم والفضيلة والاستقامة والكمال أما اولاً فلان العالم اذا خالط الناس فقد تسعده الصدف بمعرفة من يكون خير عضد له فيما هو بصدده وكثيراً ما يوجد في الناس اقوام متحدون فى المبادىء والمشارب راغبون فى الكمال والفضيلة ولكنهم متفرقون لايعرف بعضهم بعضاً موجودون بين اقوام على غير مبادئهم كل منهم يبحث عن مثله فلا يجده فالمخالطة اعظم وسيلة لحصول كل على ضالته ووصوله الى بغيته ...

والتقائه بمن يطلبه ولا يجده وقد يكون في التقائهما ما لا يحصى من المنافع والمصالح التي تعود على المجتمع الانساني بالخير والكمال

واما ثانياً فلان في معرفة الطبقة العالية اكتساب نفوذ وتأثير حسن لا يستغني عنه مريد الاصلاح فان الحق اليوم ما صدر عن كبير وان كان في ذاته فاسداً ولست اذهب مذهب من لا يحبون الاختلاط بالحكام واهل الطبقة العالية ولا من يذمون مصاحبة السلطان نعم اقول انه لابد ان يكون بقصد ارشادهم فان السعي في هداية اولئك من اجلّ الاعمال وافيدها اذ الناس على دين كبرائهم وملوكهم ولا يعلم الا الله مقدار ما ينجم عن مخالطتهم بهذا القصد من الفوائد الكبرى سواء اهتدوا واثر فيهم الارشاد ام لا فان تلك المخالطة في ذاتها تفيد في ارشاد غيرهم. على انه وان لزم ان تكون مخالطتهم بهذا المقصد فليس معنى ذلك مفاجأتهم بما يكرهون بل ايجاد الفرص والمناسبات القولية والفعلية واستعمال سائر ضروب السياسة في سبيل اقناعهم برفق ولين

وكما ارى مخالطة الكبراء فاني احتم مخالطة الضعفاء والطبقات السافلة من الناس والتحبب اليهم ومشاركتهم في احوالهم فانهم جمهور الامة وهم اقرب للامتثال من غيرهم وخير اعمال البر ما ترفع به السافل الى مرتبة العلو اذ هذا هو مقتضى العقل وسنن التكوين

اما العزلة وعدم مخالطة الناس والاكتفاء بالاستقامة الشخصية والعكوف على ضروب من العبادات كالصلاة والتسبيح وزيارة الاولياء فصاحبها لايسمى عالماً بل زاهداً . اولى شيء به ان يذهب الى شعاب الجبال ليعبد الله لا ان يتصدى لمقام العالمية ويجعل نفسه من العلماء فان لكل حال رجالا الا ترى ان الاعمى لاينبغي ان يكون قاضياً وان كان في ذاته كاملاً ولا الاخرس او ضعيف الصوت لاينبغي ان يكون خطيباً وان كان من خير الاتقياء

هذا الحال حال العزلة وترك الاختلاط وان لم يناسب العلماء ولم يجز ان يكون منهم من يتصف به فهو حسن ومناسب بالنسبة لفريق من الناس ولكن اسوأ الاحوال واشدها بؤساً

ما يفعله بعض العلماء اليوم من التزلف والتملق والتقرب من بعض الموظفين واهل النفوذ والجاه واحترامهم والتواضع اليهم بكيفية يمجها الذوق السليم. يفعلون ذلك لا لقصد التمكن من الارشاد بل حباً فى الجاه والشهرة وقضاء بعض المصالح الدنيوية ومن العجب انهم مع ذلك يأنفون ويستكبرون على سائر الناس من امثالهم ومن هم دونهم ويتشا خون بانوفهم كانهم ظنوا ان لين الجانب والمعاملة بالحسني مع غير الكبراء لاتليق بهم وهم آلهة النوع الانساني ولبئس القوم وبئس حالهم فان امثال هؤلاء لاقيمة لهم في الوجود وان كانوا يعدون عند الناس من كبراء العلماء كما انهم لايعرفون قيمة العالمية التي علقت في اعناقهم كما يعلق الدر فى جيد من لايصلح له. ولعدم معرفتهم قيمتها تراهم . اولاً يتسابقون الى معرفة الذوات والخضوع لهم لاحراز الشرف والجاه بحسب زعمهم لانهم يرونهم اعظم منهم بمراحل وتراهم . ثانياً يحقرون ابناء جنسهم من العلماء لظنهم انهم صاروا اكبر منهم بسبب الانتماء الى الاكابر ومعرفة الذوات. واقبح ما يكون شغل امثال هؤلاء لبعض الوظائف فطالما رأينا من ساداتنا العلماء الموظفين حتي الشاغلين للمراكز

السامية من اذا دخل عليه بعض العلماء او اهل العلم نظره بعين الاحتقار والتكبر كانه من عبيده او عبيد ابيه بل كأنه المنعم عليه بنعمة الوجود وان اعطاه شيئاً من علامات الاحترام والتحية المعتاده فمع مزيد التكلف وشديد الاستثقال فاذا ما جاء زائر من غير ابناء جنسه قابله كما يقابل الصغير الكبير خصوصاً ان كان (من الاغنياء او لابسي الطرابيش) فانه حينئذ يعطي له من الاحترام والاقبال ما يخرج عن حد الاعتدال وقد يشمئز منه الزائرون انفسهم فما اقبح واسوأ هذا الحال

ان اكثر العلماء اليوم لا يرضون مخالطة الطبقات المنحطة ظناً منهم ان هذا يشينهم او يحط من قدرهم وهو ظن فاسد مضر مؤخر بل بمثل هذا التنازل والتواضع والاختلاط ينبغي ان يكون التفاضل بين العلماء لا بالابهة والكبرياء والتعالي والا فمن الذي يتواضع ويتنازل ان لم يفعل العلماء ذلك ومن الذي يرشد تلك الطبقات ويقدمها ويرفعها اذا لم يقبل العلماء مخالطتها هل كتب عليها الذلة والمسكنة والجهالة والانحطاط الى الابد وهل العالم وجد لاجل ان يتعالى ويتغالى في علوه وكبره واعجابه

بعلمه وطنه انه فوق الناس وأعلى من ان يخالطهم لم لاجل ان يتواضع وينفع ويرشد الناس ويأخذ بايدي الضعفاء . صلى الله وسلم على من كانت الجارية تأخذ بيده فتنطلق حيث شاءت من جهات المدينة . وما العلماء الا ورثة الانبياء . تالله لو تنازل العلماء وتركوا الفخفخة والكبرياء وخالطوا ضعاف الناس لامكنهم ان يصلحوا من الاحوال ويرقوا الشؤون ويكتسبوا المحمدة والثواب الاعلى والرفعة الحقيقية . بهذا يكون الفخر . هذا هو عمل الرجال . هذا هو الذي ينبغي ان يكون موضوع التفاضل بين العلماء . هذا هو داعي الاحترام والرفعة والدال على المروءة والكمال . ولا ادري متى يعلم ساداتنا العلماء وخصوصاً كبرائهم ان الكمال اللائق بهم لايكون بالتعالي والتكبر وتصدير اليد للتقبيل فان ذلك عمل اهل الطيش من الحكم بل كمال العالم من حيث هو عالم فى التواضع واللين وخفض الجناح والاحترام للضعفاء والفقراء والاقبال عليهم والبشاشة في وجوههم والأخذ بايديهم في الاستكمال والترقي المطلوب لكل انسان بالفطرة

وبالجملة فان مخالطة سائر الطبقات واجبة على العلماء ولمخالطة كل طبقة منها شروط وآداب كثيرة لابد من رعايتها والا اضرت المخالطة فمثلا مخالطة الكبراء لابد ان تكون مع العزة والمحافظة على الحيثية العلمية ولكن على شكل مقبول لايؤدي الى الاستثقال ولا يبعد عن معنى اللطف والرقة والتواضع والايناس الخ الخ والله الموفق للصواب

مجالس الوعظ

كان للوعظ العناية الكبرى والتأثير المهم فى القرون الماضية لانه من اهم الامور التي يتوصل بها الى نفخ روح الحياة في الامة ولا ارى زمناً احوج الى الوعظ من زمننا هذا لفساد الاخلاق فيه وضعف الاحساس ولكن من الاسف اننا اهملنا هذا الواجب بل واحتقرناه حتى كأنه ليس مما يليق بالعلماء فلا نجد الآن احداً منهم يجلس للوعظ والتذكير في مسجد جامع ليعظ الناس ويرشدهم الى امر دينهم مع ان الناس في اشد الحاجة الى ذلك واشدهم احتياجاً الطلبة انفسهم وحبذا لو جلس

احد كبار علمائنا مجلس وعظ فى الجامع الازهر ليعظ طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم . على ان العلماء وان احتقروا الوعظ بسبب كبرهم العاطل فلا ابالي ان اقول انهم لايحسنونه وان اكثرهم لايمكنه ان يؤدي هذه الوظيفة كما ينبغي خصوصاً والوعظ ينقسم الى اقسام شتى فوعظ طلاب العلم غير وعظ العوام ووعظهم غير وعظ المتنورين من تلامذة المدارس . فمن هذا ارى وجوب الاعتناء بهذا الموضوع المهم وان يتاهل العلماء للقيام بهذه الوظيفة السامية واقترح ان تعوض قراءة سورة الكهف في المساجد الجامعة بمجلس وعظ من احد افاضل العلماء لان هذا الوقت الذي يجتمع فيه الناس مع صفاء الفكر والانقطاع عن الشواغل الاخرى والمكث لانتظار الصلاة خير فرصة تغتنم للقيام بالوعظ والتأثير على الناس وتنبيههم خصوصاً والخطبة اليوم اصبحت غير مؤثرة بل غير مفهومة وان كانت موضوعة في الاصل لاجل ان تفيد ما نريد ان تفيده مجالس الوعظ تداركاً لهذا الخلل ومثل الخطبه فى عدم التاثير قراءة القرآن

الخطبة

الخطبة من اجل الامور واهم الاسباب لتقويم العقول وتعديل

الاخلاق وانتهاج مناهج التقدم والفلاح وهي على الحقيقة خطاب ارشاد يكون بصوت عالٍ على مكان مرتفع (المنبر) ليسمع جميع الناس فمن اللازم فيها قوة التأثير من الخطيب وفهم الناس لمقاله وكونه من اهل النفوذ والمكانه والاستقامه حتى تفيد وتكون لها ثمرة وتطابق اصل الوضع .

ولكن مما يوقع في الاسف ان الخطبة خرجت عندنا عن هذا المعنى المقصود الي ان صارت من الامور التعبدية والرسوم الدينيه التي لايقصد من الاتيان بها الا توفية المطلوب بحسب الصورة فلم يكن هناك تعويل الا على الاتيان بها محاكاة لما كان في صدر الاسلام . كلام بليغ مسجع غريب المفردات لايفهمه الخطيب فضلاً عن غيره . بل كان اكثر الخطبا لايظن ان الخطبة خطاب (وان كان فيها ايها الناس) لذلك هم يلقونها القاء التلاوة بنغم وترنم خاص كانها الآية التي تقرأ عقب الفاتحة في الصلاة وهذا لعمري خروج عن الوضع وابتعاد عن المقصد الذي وضعت من اجله الخطبة من وعظ الناس وارشادهم وتعليمهم بطرق مؤثرة فان ذلك يقضي ان تكون الخطبة بالاسلوب والالفاظ المفهومة

وهذا الاسلوب المستعمل الآن كان يفهم و يؤثر في العصور السابقة حين رواج العربية الفصحى ببلاغتها العالية ولكنه الآن غير مؤثر ولا مفهوم عند اكثر الناس فمن العبث شدة التمسك به ومن السفه ان يخاطب اقوام بما لا يفهمون

الخطبه كانت في سالف العصور من الامور الرفيعة والوظائف العالية التي لايقوم بها الا الخلفاء ونوابهم وهي الآن يقوم بها كثير من جهلة الناس واهل الاخلاق السيئة منهم وهذا نقص عظيم فان الخطبه من العظماء توجد التأثير المطلوب بخلافها من غيرهم

الخطبة هي الدرس العام الاسبوعي الذي تتلقى فيه الامة جوامع الكلم المعدله للعقول والمصلحه للنفوس والهادية الى الصراط المستقيم والمبينة للحسن والقبيح من الاشياء والصحيح والفاسد من الاخلاق وهي التي تستنهض الهمم للعمل بما فيه خير الدنيا والآخرة

الخطبة هي الامر العام الذي اليه المرجع في الشؤون الاسلامية التي تنفع الامة وترقيها وتبلغها اوج الكمال

ولا شك انها بهذا وذاك لاينبغي ان تقتصر على ضرب معين ولا على موضوع خاص بل يجب ان تكون على وفق ما يقتضيه حال السامعين وما هم في حاجة اليه وذلك يختلف باختلاف الناس والازمنة والامكنة والاحوال فان انواع التقصير مختلفة وضروب المنافع متفاوتة وقد يوجد من كل عند اقوام ما لايكون عند آخرين

ولكن الخطباء اليوم قصروها على مواضيع خاصة نحن فى اشد الحاجة الى غيرها بل قد لاتفيدنا اصلاً . فمثلا يجعلون خطب المحرم في وعظ الحجاج فتراهم يخاطبون الحجاج وقد لايكون من البلد حاج اصلا بل قد يتوسعون و يذكرون المعاني السخيفه فقد سمعت خطيباً يخطب فى جامع كبير مشهور وجلّ خطبته يدور على ان شين شعبان شين الشكر وعينه عين العناية و باءه باء البر الى غير ذلك من الامور التي تشمئز منها النفوس

هذا فضلاً عن ان الخطيب قد لايفهم ما يقول وقد يقع بين يديه فى كل جمعة من المنكرات ما لايجوز عنه الاغضاء ويجب ان يكون من اول ما ينبه عليه في الخطبة

وذلك بلا شك اعظم برهان على جمود الامة وتقهقرها وانحطاطها · واى برهان يكون على هذا اعظم من التمسك بالقشور ونبذ اللب وترك الامور والمعاني الحية والخطب المؤثرة المنهضة والعكوف على صور تحاكيها فى بعض الهيئة والوضع وتخالفها فى الموضوع والفائدة والتأثير

واأسفاه · اين هم ثم اين هم اولئك الخطباء الذين كانوا اذا صعدو المنبر خطبوا عن البديهة ما يجعل الرجال تجود بارواحهم واموالهم حتى ان الكلمة الواحدة منهم كانت تفعل مالا تفعله القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة وينال بها ما لاينال بالقهر والضرب بالسيوف

اين هم ثم اين هم اولئك الذين رقوا المدارك وارشدوا الى اوجه المصالح وكانوا كلما صعدوا المنبر صعدوا باممهم الى اوج المعالي وسماء الكمال

تالله لقد ذهبوا وذهبت آثارهم وخلف من بعدهم خلف وضعوا وظائف الملوك في ايدي الصعاليك وسلموا زمام الخطبة الى من هم في اشد الحاجة الى المعارف البسيطه وضيعوا تلك الفرصة

الثمينة والتشريع العالي الذي شرع لارشاد الامة وهديها للصراط المستقيم واتخذوا الخطبة مأخذ الامور المتممة لاحتفال ركعتي الجمعه مع انها من اهم المقصود بالذات * ما هذا الذهول عن اسرار التشريع والخروج عن مقاصد الشريعة

اني لاكاد ان اقف خطيباً يوم الجمعة على المنبر في مسجد جامع اخطب باللغه القريبه من العامية حاثاً مستنهضاً مشوقاً مرغباً مخوفاً مبيناً وجوه النقص وكيف يمكن تداركها معرضاً عن الكلمات اللغويه والاستعارات المكنيه والتخيليه والسجعات الرباعيه والخماسيه ليعلم الناس كيف تكون الخطبه وليعلموا انها كالانسان تموت وتحيى وتسعد وتشقى وان كان اكثر الناس عن هذا غافلين

الخطبه ياقوم لايلزم بل لاينبغي ان تكون محفوظه من قبل · ولا ان تكون من باب الاستعارة والتمثيل · الخطبه ياقوم لابد ان تكون مصحوبة بحال عال وغيرة شديدة وداعية كبرى من نفس الخطيب فان كل كلمه عليها حلة من القلب الذي خرجت منه

الخطبه لابد ان تكون في الموضوع المحتاج اليه و بالعبارة

المفهومه المؤثرة

الخطبه لايلزم قصرهـا على يوم الجمعه بل ينبغي ان تكون كلما دعت الحاجه

فلهذا كله ارى ان من اشد الواجبات وجوباً اعتناء الادارة الدينيه بامر الخطبة والخطباء و بتعليم العلماء والطلاب وتمرينهم على هذا الامر المهم العالي ولو بتعليم خاص وان يعطى امتياز لمن يمكنه ان يخطب ارتجالاً بالعربية ثم ارتجالاً بغيرها وان تنشيء خطب كثيرة بلهجة مؤثرة وعبارة مفهومة في المواضيع الكثيرة التي تحتاج اليها الامة وان يكون منها ما يخص المدن وما يناسب الريف وان يعتنى بتشريف الخطبة وتعيين الخطباء من افاضل المتخرجين شيئاً فشيئاً حتى يستدير الزمان و يرجع الحال كما كان والله ولى التيسير

الباب الثامن

في طريق تنفيذ الاصلاح

ليس هناك اصعب على النفوس من الانتقال عن العادات الموروثة . ولا اشق عليها في مبدئها من الخضوع للدستور والنظام .

ولا يشك الناظر في حال علمائنا وطلابنا انهم راضخون لاحكام العادة متشبعون بمعنى الحريه الشخصية يبغضون ان يقيدوها باحوال لم يتعودوها وان كان فيها بحسب الواقع كمال النجاح ولهذا تجد قوانين المدارس الدينية في اغلب موادها قوانين صورية من سابق الازمان والعصور فقد كان للمرحوم الشيخ المهدي ثم الشيخ الانبابي قوانين مسنونة ولكن غير معمول باكثرها وها هو القانون الحالي الذي وضعه مجلس الادارة لاينكر احد ان كثيراً من مواده لم يعمل به وان علماءنا حتى الكبراء منهم لم يوجد منهم للآن مراعاة لمواعيد الدراسة والمسامحة بالدقة كما حددها القانون كما ان عهد تلك القيامة التي اقاموها على الادارة حين علموا أنها قررت بعض وجوه الاصلاح ليس ببعيد . اذاً فنقل العلماء والطلاب وجميع شؤون المدارس الدينية من الحال الحالي الى ما هو ارقى منه ليس بالامر السهل خصوصاً والعلماء من شأنهم الثقة والمدافعة واذا كان تكميل مطلق ناقص من الامور الصعبة فكيف بمن يعتقد في نفسه الكمال

واني اري ان من افضل طرق تنفيذ الاصلاح التي يجب

ان تستعمل غالباً مع العلماء هي طريق اللين والاقناع والترغيب لاطريق الشدة والترهيب لان الثانية تفضي الى اكثر مما هو موجود الان بين العلماء من الجفاء الباطني ولا تكاد تعود بمنفعة خصوصاً اذا كانت الاغلبية في غير جانب الموافقة على الاصلاح نعم لابد من الشدة ولكن في نادر الحال ومن غير عنف

المكافئات

واری ایضاً ان من افضل طرق تنفيذ الاصلاح والوصول الى الغاية المطلوبة التشجيع بالمكافئات المادية والادبية لمن يأتي بامر ما من الامور النافعة المطلوبة فان العالم متى علم انه يكون له من صفات الاحترام الرسمية ما يفوق به امثاله اذا ظهرت نتائج حسن تعليمه جد واجتهد وتفنن في طرق جودة التعليم وسرعته واوجد من العناية والوسائل المؤدية الي ذلك ما لايخطر بالبال

وكذا يكون متى علم انه ان فعل ذلك اخذ مكافأة مالية وما يقال في جانب العلماء يقال في جانب الطلاب بل هذا

فی جانبهم اشد تأثيرًا فلو علم الطلاب ان العلماء يقيمون حفلة
رسمية يمتدحون بها من يحيط باطراف الحديث واللغه فعلوا ذلك
بل واكثر منه ولو علمو ان الذي ينال درجه العالميه قبل ان يبلغ
عشرين سنة يفعل معه ذلك لكثر العلماء المرد . اذًا فمشروع
المكافآت لازم لابد منه ولقد كان مقررا في الازهر شيء منه
ثم الغي واري ان الالغاء خطأ كما لااوافق على ان تكون كما
كانت . فاولا يجب ان لاتكون قاصرة على المال بل والمظاهرات
الادبيه . وثانياً ان المال الذي كان مقررًا قليل جدًا اذ هناك
من الاعمال والاشيأ التي ينبغي تحصيلها ما لايصح جعل مكافأته
اقل من اربعين جنيهاً وذلك لصعوبته واستغراقه للزمن الكثير
فما لم تكن المكافأة كبيرة لاتوجد في النفوس داعية الاقبال
وثالثاً لابد ان تكون على الامور المفيدة الكثيرة المتنوعه . ورابعاً
ينبغي ان لاتكون قاصرة على الطلاب بل لابد ان تكون للعلماء
ايضاً . وخامساً لابد ان تكون على نظام يؤمن معه من الغش
والخطأ

المكافئة على الوعظ والارشاد

وتعليم العامة

هذه من اعظم المهمات اذ الارشاد وتعليم العامة من اعظم المطالب وهما مهملان بالمره وقد لايقوم بهما احد لمجرد انهما واجبان في ذاتهما . وتالله لو جعلت مكافأة حسنة لمن يعلم مائة عامي ما يلزم لهم من العقائد وفروع الفقه ما وجد من يجهل امر دينه من المسلمين . ولو جعلت مكافأة لمن يمكنه ان يزيل الخرافات والعقائد الوهمية من افكار خمسين شخصاً ما وجد من يعبد الوهم . ولو جعلت مكافأة لمن يمكنه ان يكون سبباً في استقامة عشرة من عصاة المسلمين لقلّ جداً عدد اولئك العصاة . وهكذا من الاعمال الجليلة المقصوده التي اشتغلنا عنها بتحقيق معان خيالية لافائده لها

المكافئة على الدعوة الى الاسلام

ومن اعظم ما يجب تعيين مكافأه عليه الدعوه الى الاسلام بالطرق المعقولة المقبولة فقد اصبحنا ومن النادر دخول احد فى ديننا

بعد ان كان الناس يدخلون فيه افواجاً بل اصبحنا تحت خطر النار الحامية المنبعثة على الاسلام من افواه دعاة النصرانيه ولعمري ما فائدة وجود مدارس دينيه (طنانه رنانه)مزدحمة بالالوف من المنقطعين لعلم الدين (بلا حرفه سواه) اذا لم يمكن هوءلاء الناس ان يدافعوا عن الاسلام فضلاً عن ان يؤيدوه ويجعلوه الغالب على كل غالب. فلأن جمدت نفوس علمائنا عن مثل هذا الواجب فان المال يلينها ولان جبنوا فان المال يشجعهم ولان غفلوا فان مظاهر الحفاوه والاحتفال بمن يقوم بهذا الواجب تنبههم والله هو الهادي ومنه التوفيق

المكافأة على السياحه

للتعليم والارشاد

وايضاً من اهم الاشياء التي ينبغي ان تقرر لها مكافأة وافيه السياحة في الاقطار الاسلامية لقصد التعليم والارشاد وتقوية عرى الجامعة وتنوير من لايزالون على الجهالة والبساطة والسعي في ترقية شوونهم على وجه علمي ديني محض لاتعلق له بالسياسة

بحيث تكون الحكومات الاجنبيه الحاكمة على فرق المسلمين معتقدة ان ذلك خدمة لها تعود على رعيتها وعليها بالخير والكمال. ولا ينكر احد مزيد حاجة المسلمين الى ذلك ومزيد اهمالنا خصوصاً ونحن لم نألف الغربة ولا يمكننا ان نهاجر هجرة لله فالمال والمكافآت من شأنها ان تهون على النفس هذا الامر الذي تصعبه العادة وتالله متى وجدت المكافآت اللائقة لذلك فسيوجد من علمائنا من يسيح في الارض على ما اظن و يبلغ اقاصي المعمورة . فى حين انهم الآن لايرضون ان يسافروا لجهة السودان مثلاً (وهي قريبة منا) لمواصلة اخوانهم هناك الذين يضعونهم فوق الروءوس ولا يغارون من القسس الذين يقصدونهم من مكان سحيق وهم اعدائهم فى الدين

وبالجملة فانني ارى ان اعتبار المكافآت على الاعمال المختلفة ووجوه الاصلاح المتكثرة مما اشرت اليه في كتابي هذا ومن غيره خير واسطة للوصول الى المطالب الواجبه وبلوغ منتهى الكمال يسر الله لنا ما فيه الخير والنجاح

ارشاد للواقفين

وهنا اشير على من يريد ان ينشيء وقفاً يلقى به من الله حسن الثواب ان يتحرى وجوه الخير النافعه نفعاً حقيقياً والعائدة على الدين ومجموع الامه بالفائده الصحيحه وان يجعل وقفه مقيداً بالاوصاف التي تفيد الامه وتعلي كلمة الله وتعزز الدين وتنصره فيجعل من ربع اوقافه مثلاً مبلغ كذا لافضل من يتقن الحديث ومبلغ كذا لمن يهدي خمسين عاصياً ومبلغ كذا لمن يوءلف احسن كتاب في علم الدعوه الاسلاميه ومبلغ كذا لمن يؤلف احسن كتاب في الارشاد والعقائد الى غير ذلك من الامور النافعة الصحيحة فذلك افضل عند الله من الوقف على المدافن بل وعلى الفقراء بل وعلى العلماء وطلاب العلم بلا قيد ما دام الامر على ما نحن عليه

كساوي التشريف

العلميه

هذه احسن شيء يمكن التوصل به الى الاعمال الجليلة والامور

النافعة ان اخذت مأخذ المكافأة ولوحظ في توزيعها ان لاتكون الا لمن يأتي بعمل مفيد او امر جديد بقطع النظر عن صغر السن او عدم التوظف او حداثة العهد برتبة العالمية

ولكنها توزع الآن على غير هذا النسق توزيعاً همجياً تلاحظ فيه اعتبارات ووجوه شتى ليست من هذا المعنى في شيء

على انها مع ذلك كادت تكون من خواص العلماء الموظفين بحيث لاينال غير الموظفين منها الا القليل وهو اجحاف وظلم بين . حقاً ان من الظلم البين ان قوماً يستأثرون بالوظائف ذات الاسم الكبير والاحترام العظيم والمرتبات العالية ثم بعد ذلك يستأثرون بكساوي التشريف في حين ان غيرهم ممن هو في العلم مثلهم او ارقى (خصوصاً من غير الاحناف) يقاسي اشد المتاعب في مزاولة التعليم ما بين اتعاب للفكر في الفهم وللجسم في الالقاء مع الرضى بالمرتبات التي لاتصل الى مرتبات خدمة البيوت ومع عدم الشهرة وعدم الاحترام والتبجيل ثم يحرم من كساوي التشريف ويفضل غيره عليه لمجرد انه موظف (والخير يجر بعضه) . التعليم اشرف من التوظف على الحقيقة واتعب جداً منه فاذا كنا نرى

المعلمين في تعب من العمل وضنك من العيش فلماذا لانشجعهم ونعطيهم حقوقهم من كساوي التشريف . فالذي اراه ان يجري توزيع هذه الكساوي على قاعدة المكافآت وان لايكون التوظف من المرجحات فيها بل تعطى على العمل المفيد من ارشاد او تعليم او تأليف او نحو ذلك

كساوي المظهريه

ليس هناك اغرب من ان يقع من انصار الفضيلة والعلم تعضيد (رسمي) للرذيله والجهل وهذا هو ما ينطبق على حال كساوي المظهرية التي انشئت لاولاد العلماء او اهل البيوتات كما يقولون. انشئت حطاً من قدر العلم ومساعدة على انتشار الجهل ونصرة لاهل البطالة ومن هم على الحقيقة عالة على المجتمع الانساني . لاوظيفة ولا عمل ولا حيثية الا انهم (من سلالة العلماء واهل الفضل) والفضل لايورث كما ان علم الوالد لايخفف من جهل المولود. كل الناس يعلم ما وصل اليه اكثر اهل (البيوتات) من الانحطاط والتأخير وما عليه اكثر اولاد كبار العلماء من الجهل والكسل واللهو واللعب الذي جعلهم لايحافظون على شرف ابائهم

فيحرزون رتبة العالمية حتى يكونون ورثة في الحس والمعنى . اليس من الواجب ازدراء امثال هوءلاء الناس من اولاد العلماء واهل البيوتات الذين لم ينبغو الا فى (الموضات) من الملابس والهيئات وفي انواع الشرف والخلال الناقصة (وفروع البطالة والكسل) . اليس من الواجب تحقيرهم لكي يرجعوا عن هذا الغي ولكي لايقتدي بهم غيرهم . ولكننا لانكتفي فى الخروج عن نهج الصواب بالكف عن تحقيرهم فقط بل ونحترمهم ونبجلهم بل ونفضلهم على بعض اهل الفضائل الحقيقية ثم لانكتفي بذلك ايضاً بل نضم اليه احترامهم واعلاء شأنهم رسمياً وننشيء لهم كساوي تشريف شبيهة بكساوي كبار العلماء . فما هذا القلب للموضوع . اليس في هذا مساعدة لهم على نبذ العلم والاشتغال به اتكالاً على هذا الاحترام والامتياز الاعلي . ولماذا يتعب الآن ابن العالم نفسه ويقاسي مشاق التعليم ما دام مقرراً له امتياز يضارع اكبر امتياز للعلماء بل اليس من المصائب ان يعطي لهوءلاء امتياز يحرم من شبهه اكثر العلماء حتى لو كان هناك اثنان من اولاد كبار العلماء لتصور ان يحصل غير العالم منهما على ذلك الامتياز دون العالم . ولماذا .

لانه عالم · وحينئذ فعليه ان ينتظر حتي يشيب وتسمح الفرص باعطاءه · هذا اذا كان موظفاً او من اهل الدرجة الاولى والا حرم للابد على ما يقولون · يعتذرون عن جعل هذا الامتياز لغير العلماء مع حرمان اكثر العلماء من امتياز يشبهه بانه امتياز منشأ لقوم لايعلمون ولكنهم ينتمون الى العلم ولهذا فهو يتميز عن كساوي التشريف العلمية ببياض لون قصبه وحرمانه من صفرة قصبها وهو اعتذار باطل لان هذا الفرق الدقيق انما هو عند خواص الناس وفي وقت التشريفات الرسمية فقط ولكن الحقيقة الثابتة المستفيضة انه امتياز يشابه امتياز اكبر العلماء وانه اعطي لغير العلماء وحرم من امتياز يشبهه اكثر العلماء والا فلماذا يقررون ان تكون تلك الكسوة على شكل (فرجية) مع العلم بان ذلك الآن من علامات العلماء ولماذا يسافرون بنصف اجرة (وكلهم من الاغنياء) دون اكثر العلماء (وهم من الفقراء المحتاجين)

انا لاانكر انه قد يكون من بين من نالوا هذا الامتياز من يحوزون شيئاً من خصال الكمال (غير العلمي) بل من لم يزدهم هذا الامتياز احتراماً عند الناس اكثر من الاحترام الفائق

الذي نالوه من قبل

ولكن هذا لايسوغ مطلقاً تأسيس هذا الامتياز كما اسس على اني لاابالي ان اقول انه توسع فيها اكثر مما كان يفهم من عبارة القانون التي قالوا ان الغرض منها جعل الكساوي العلميه خاصة بالعلماء فان الذي كان يطابق هذا ان لايزيد عدد كساوي المظهرية عن ثلاثة او اربعه للذين يزعمون انها لهم حق في الكساوي العلمية. على ان اصل التوسع لابأس به ولكن بشرط ان يكون على وجه عادل يأتي بفائدة حقيقية كأن تجعل مكافأة على الاعمال النافعة المفيدة ولا يمكننا ان نقول ان هذا متحقق في كل ما وزعوه او توسعوا فيه

وبناء على هذا فاني ارى الغاء كساوى المظهرية بالمعنى المعروف الذي جرى عليه التوزيع والاستعاضة عنها بكساوى تسمى (كساوي المكافئات) او نحو ذلك لايلاحظ فيها مطلقاً (اولاد علماء او بيوتات علم او شرف) بل تعطى مكافأة على الاتيان بالاعمال الاسلامية الكبرى مع ملاحظة الكمال الشخصي بقطع النظر عن ان يكون الانسان من سلالة العلماء او من ابناء

الفعلة او الاسكافية عملاً بالمثل (انما اصل الفتى ما قد حصل) وان تكون بشكل جبة (لا فرجية) والله هو الموفق للصواب

ملاحظة

وهنا الاحظ ان من غير المستحسنات اتخاذ شريط من القصب يوضع فوق العمائم وارى انه ان كان لابد من القصب فليكف ما هو موضوع على (الفرجيه) والا فان الذي اراه اوفق بالعلماء ان لايتخذوا في شعارهم الرسمي شيئاً من هذا الزخرف (وان افتى العلماء بجواز لبس حلل الملوك) ويحسن لديَّ ان يكون شعارهم في مثل ذلك ملابس من الصوف الابيض وعمائم لها عذبات مسبلة بين اكتافهم تكون على طرابيش بيض لاازرار لها او نحو ذلك من الهيئات المناسبة للعلماء

الباب التاسع

في الادارة الدينية

تنقسم المصالح الدينية الموجودة اليوم الى جملة اقسام

لاتجمعها جامعة واحدة ولا ترتبط برباط عام بل قد ينفصل بعضها تمام الانفصال عن الآخر ويمتاز كل برئاسة خاصة (كما في مشيخة الازهر ومشيخة الطرق) ولقد بلغ من حال هذا التفرق ان المدارس الدينية كانت منفصلة (وان اتحدت فى الغاية والمبدأ)

وغير خاف ان التفرق مؤدٍّ للاختلاف والضعف وان كثيراً من تلك المصالح جار على غير ما ينبغي وانها جميعاً لايكاد يستغني بعضها عن البعض الآخر وان هناك مطالب دينية ومصالح جمة وواجبات مهمة لابد منها لترقية المجتمع الاسلامي والنهوض به من هذا السقوط وليس هناك من هو قائم بها . فمن هذا اقترح على اولياء الامر تشكيل ادارة دينية عالية يرجع اليها اجمال كل شيء له ارتباط بالدين

كيفية تشكيل الادارة
الدينية

وارى ان يكون رئيس هذه الادارة الاعلى هو سمو الخديوي المعظم والرئيس العامل هو شيخ الجامع الازهر وان لايقل اعضاء

هذه الادارة عن ستين عضواً يكون ثلثاهم على الاقل من العلماء ومنهم روؤساء المدارس الدينية وقاضيي مصر والاسكندريه والثلث الباقي يكون من كبار الفضلاء المتنورين وفي مقدمتهم شيخ مشايخ الطرق ومدير عموم الاوقاف وروؤساء الجمعيات الاسلامية كالعروة الوثقى والخيرية الاسلامية

اعمال الادارة الدينية

تنظر هذه الادارة على الاجمال في كل ما يتعلق بالشؤون الدينية وكل ما يعود على الامة الاسلامية بالترقي والخير المادي والادبي والديني وتقوم بنشر مبادئ الاسلام وتربية اهله الخ الخ وتنشئ المجتمعات الادبية الارشادية وترسل البعثات وتنظر في طرق التعليم واصول التربية العالية ونظامات المدارس الدينية واعمال مشايخ الطرق وطرق انتخاب القضاة والخطباء والمرشدين ونحو ذلك

فروع الادارة الدينية

يجب ان يكون من اهم فروع الادارة اولاً ادارة التعليم

الدبني باقسامه الثلاثة التعليم العالي وتعليم الجمهور والتعليم الابتدائي ثانياً اداره الارشاد بقسميه العام والخاص (وهو ما يرجع الى مشيخة الطرق) ثالثاً ادارة القضاء الشرعي رابعاً ادارة الاعمال المتنوعة من نحو انشاء المدارس لتعليم ابناء المسلمين والمجتمعات النافعة وبعث البعثات المفيده ومساعدة النهضة الاسلامية وايجاد وسائل التقدم والترقي الخ الخ

وينبغي التوصل لان يكون هناك فروع لهذه الاقسام فى كل مدينة بل وكل قرية . وعلى الاجمال فلا بد ان تنشيء هذه الادارة العالية مجتمعات، ومحافل شتى وفروع كثيرة متنوعة للاعمال المختلفة في سائر القرى والامصار كما انه لابد ان يرجع اليها ما هو موجود الآن من الجمعيات

ادارة التعليم

لاارى من الحكمة جعل ادارة التعليم مطلقة موكولة الى عهدة واحد كما كان الحال فى مشيخة الازهر سابقاً فلذلك اضرار جمة توجب الانحطاط قد يرجع اهمها الى عجز الواحد عن

القيام بسائر المطالب واختلاف مبادي، ومشارب من تتقلب فيهم هذه الادارة والى كون الصفات والمزايا اللازمة لاتكاد توجد الا موزعة غير مجتمعة

ولا ارى من الحكمة جعلها مقيدة موكولة الى مجلس كمجلس ادارة الازهر الموجود الآن لان جعل هذا المجلس مركباً من ستة فقط (بل خمسة) لايجري انتخابهم كما ينبغي يجعله غير اهل لادارة جميع شؤون التعليم على ما ينبغي. على ان كل الناس يعلم التفاوت العظيم في النفوذ والقوة بين اعضاء هذا المجلس حتى يكاد يكون عبارة عن شخص واحد او شخصين

بل الذي اراه ان تلقى ادارة جميع شؤون التعليم الى مجلس عال يكون مشكلاً من خمسة عشر عضواً على الاقل تحت رئاسة شيخ الجامع الازهر وينبغي ان يكون تعيين ثلثي هذا العدد او نصفه بطريق الانتخاب والباقي بحسب اختيار الجناب الخديوي المعظم

وان يكون هناك مجلس ادارة لكل مدرسة دينية تحت رئاسة رئيسها وان يكون مجلس ادارة الازهر الحالي هو مجلس ادارة

مدرسة الازهر خاصة ولكن بعد تحويره وتعديله على وجه يضمن الفائده الحقيقية

وهنا ارى من الغلط اعتبار المميزات المذهبيه وتحتيم ان يكون هناك توازن بين المذاهب في عضوية نحو هذه المجالس كمجلس الامتحان اذ هذا اول عنوان التفرق والتعصب والتحيز وذلك لاينبغي ان يكون بين علماء الاسلام خصوصاً بالنسبه الى مذاهب الفقه التي اصبحت مسلمة تقريباً عند الجميع وثانياً لانه قد يوجد فى اهل المذهب الواحد عدد عظيم يفوق في الرأي والعلم والحكمه جميع اهل المذهب الآخر فمن الخطأ تركهم واخذ اناس اقل منهم لمجرد انهم شافعيه او مالكيه مثلاً

وكذلك ارى من الغلط اعتبار كبر السن او مدة العالميه او الوجاهه والظهور فقد يوجد في الاصاغر من يمكنه ان يفيد فائدة عظمى لايمكن ان يقوم بها غيره ومن الخطأ الجري على الخطة التي كانوا يسلكونها في تعيين بعض اعضاء مجلس ادارة الازهر الحالي فقد عينوا فيه من الاعضاء الشافعيه الطاعنين في السن من يعلم الجميع انهم لايفيدون شيئاً وتركوا كثيراً من اهل

الاراء والافكار الصحيحه

مشيخة الجامع

او رئاسة المدرسة الدينية

هذه الوظيفة هي التي يرجع اليها في الحقيقة امر الشؤون الدينية في جميع البلاد وهي المكلفة بمراقبة سير التعليم والتعلم بل هي المسئولة عن جهل الامة بالامور الدينية صغيرها وكبيرها بل وعن جميع شؤونها المتعلقه بتقدمها وارتقائها وتأخرها وانحطاطها لانها القابضة على زمام المدارس الدينية التي ينبغي ان تشرق منها شموس السعادة والكمال على سائر الامم الاسلامية . وهي بهذا وظيفة عمل علمي كبير يستغرق اوقات الليل والنهار ومع ذلك فلا بد من الاستعانة بالكثيرين من العلماء الاكفاء . لا وظيفة ابهة ومظهرية ولا وظيفة مرتبات كبرى شهريه ولا وظيفة نظر فى شؤون الجرايات والمعافاة من القرعة العسكرية وامثال ذلك من الامور الثانويه بل هي وظيفة نظر في الشؤون العلمية وتقدمها الحقيقي . صاحب هذه الوظيفه اذا اعطاها حقها من العنايه لم

تم له عين ولم يسترح له جسم ولم يأت محل الادارة لكي يجلس ويزار ثم يرفع اليه بعض اهل الحاجات حاجاتهم وينظر في بعض الاوراق الرسميه بل يأتي ليعمل عملاً كبيراً مفيداً حقاً ليقوم على اقدامه يباشر امر التعليم بنفسه ويتنازل فيشارك ويخالط العلماء والطلاب لكي يشجع ويعدّل ويراقب ويبعث في النفوس الامل ويحقق معنى الوحدة العلميه ويوجد في الطلاب ملكة حب التقدم والاخلاق العاليه . بل اقول ان صاحب هذه الوظيفه متى جاء محل العمل خلع عن اكتافه الثياب الواسعة (الفرجيه) وشمر عن ساعد الجد وقام يتفقد امر التعليم بنفسه لايهمه الا ان تظهر نتيجة صحيحة خارجية لهذا التعليم وان تظهر آثارها في اخلاق العلماء والطلاب واقوالهم وافعالهم وامانيهم وغاياتهم

صاحب هذه الوظيفة يجب ان يكون اول المنشطين والمنهضين باحترامه لاقل الطلاب وجعل التفاضل بالعمل النافع والعلم الصحيح بقطع النظر عن ان يكون الانسان اماماً فى مسجد او عضواً في المحكمة الكبرى وعن ان يكون صغير السن او كبيره لان التفاضل لايجوز ان يكون الا بالفضائل الحقيقية خصوصاً

على مائدة العلم التي لايجلس عليها طفيلي · صاحب هذه الوظيفة هو الاب الاكبر للعائلة الاسلامية ينبغي ان توجد عنده الداعية الملية والغيرة الشديدة على تقدم عائلته وامته وينبغي ان لايترك شيئاً من موجبات التقدم لهم الا ويأتيه وان يكون نظره اليهم نظر الشفقة والرحمة ونظره الى الامور نظر الحكيم الماهر لايدع فرصة تتركه ولا يوجد للخلل والقصور سبيلاً · صاحب هذه الوظيفه ينبغي ان يكون مستقل الفكر (لاتوثر عليه الموثرات الخارجيه) قريب الرجوع الى الحق شديد المحافظه عليه ليس من اهل العادات والجمود ولا من اهل الاستبداد في الفكر او الفعل ولا يكون من اهل الغلظه او الكبرياء ولا ممن يحرص على الوظيفه حرصاً يوجب متابعة الاغراض الدنيئة والتغاضي عن الواجب بل ينبغي ان يكون هو العزم والثبات مجسمين· صاحب هذه الوظيفه لابد ان يسهر على مراقبة احوال العلماء والطلاب كي لايكون منهم سيء السير فاسد الاخلاق · صاحب هذه الوظيفه ينبغي ان ينفخ روحاً جديده في العلماء والطلاب ويرشدهم الى مواضع النقص مع حسن اللين وتمام الحكمه ويسعي دائماً في جذبهم نحوه

واقناعهم بالادلة وتفهيمهم واجباتهم وما ينبغي ان يكونوا عليه حتى لايكون عملهم بما يرشد من حيث هو صادر عن الرئيس فقط بل لانه حق في نفسه

صاحب هذه الوظيفه لابد ان يحترس في انتقائه تمام الاحتراس حتي لايكون من المستبدين ولا من الضعفاء ولا من اهل الآراء السخيفه ولا من اهل الجمود ولا من اهل الثقه بالفكر والاعجاب بالنفس الخ الخ الخ

ومثل ما يقال عن مشيخة الجامع يقال عن العضوية لان الاعضاء دعائم الرئيس . ولعل في ذلك تذكرة نافعة والله يهدينا الى الصراط المستقيم

موءتمر اسلامي عام

اقترح على اولياء الامر ايضاً ايجاد موءتمر اسلامي سنوي ليعقد قبيل وقت الحج تحت رئاسة الجناب الخديوي المعظم ويشترك فيه من يشاء من الامم والحكومات والافراد الاسلامية تجتنب فيه الشوءون السياسية ويبحث فيه عن جميع ما عداها مما يرتبط بمصالح المسلمين ويعود عليهم بالتقدم والترقي في الشوءون

المادية والدينية والادبية بحيث يكون مقسماً الى اقسام كل قسم يبحث عن امر خاص ويقدم له ما يتعلق به من الآراء والافكار والاقتراحات والتحقيقات الخ الخ الخ

مجتمع للعلماء

ألم يحن لعلمائنا الاعلام ان يجمعوا شملهم ويجمعوا امرهم ويجعلوه شورى بينهم ويقوموا بالواجب عليهم ويظهروا بمظهر الجد والاتحاد ويتبادلوا البحث فيما ينبغي ان يقوموا به ويكونوا عليه على قاعدة الصفاء والحرية والتواضع والانصاف . ألم يأن لهم ان تخشع قلوبهم لذكر به وما نزل من الحق ويتركوا ما ورائه من موجبات التفريق والانقسام والتحزب والاختلاف . ألم يأن لهم ان يتعاونوا في نشر الوية العلم واعلاء كلمة الحق ومحاربة الاهواء والتقدم بالامة فى سلم الارتقاء . ألم يأن لهم ان يشد بعضهم ازر بعض فى سبيل خدمة الامة والملة والقيام بالواجب ألم يأن لهم ان يتركوا الانتصار للرأي ويسعوا فى طلب الحق غير مبالين ان يصدر من كبير او صغير . ألم يان لهم ان لا يقدسوا

العادات وان يتركوا هذا الجمود المؤخر ٠ من ذا الذي يجري في عروقه دم الحياة الانسانية والغيرة الدينية ولا يتألم من مثل هذا القصور والتفرق من ذا الذي يوجد عنده اثارة من علم او ذرة من عقل ويرضى بمثل هذا الحال المسيء٠ من ذا الذي لاتتأثر نفسه من هذه الزواجر والمقرعات وقد صار العلماء هدف سهام اللوم والانتقاد من سائر طبقات الناس حتى من لا يدينون بدينهم (راجع ما كتبه مكاتب المويد الاسكندري المسيحي في هذا الشان قريباً)

من ذا الذي لايموت اسفاً وتحسراً وقد تزعزعت ثقة الناس بالعلماء وقل احترامهم حتي كادوا يضطهدون اضطهاد القسس من الاوربيين سابقاً ؛ كيف يجوز ان نجمد على حالنا وقد اجمع العقلاء على تقصيرنا وتهاوننا واهمالنا ٠ كيف يجوز ان نبقى على اهمالنا ونحن نري باعيننا ان الاسلام تموت تعاليمه تدريجياً أيجوز ان يهمل الطبيب وهو يري الامراض تفتك بعائلته ٠ كيف يجوز ان نتفرق ونقسم ونختلف ونحن اولى الناس بالجمع والاتحاد والاتفاق ٠ نرى الناس جميعاً يقولون بتقصير العلماء واهمالهم ويلومونهم على افتراقهم ويجعلونه علة كل تأخر ونقص فهل لنا

بعد هذا ان ننفي عنا هذا التقصير ونؤلف مجتمعاً علمياً يكون
من موضوع بحثه معرفة واجبات العلماء والقيام بها على اسلوب
حسن مألوف ، نري علمائنا يختلفون في المشارب والمباديء والعقائد
وينكر بعضهم على بعض ويبالغون في الانكار والتشنيع الى حد
يقرب من التكفير فهل لهم ان يتركوا هذا التعصب الذميم والتشنيع
القبيح ويؤلفوا مجتمعاً يتبادلون فيه البحث على قاعدة التواضع
والصفاء والحرية والانصاف حتى تظهر الحقيقة ويكون جزاء
المكابر بعد ذلك سقوطه والاعراض عنه . الا يتنازل فضيلة
استاذنا الشيخ الشربيني ويسعي في ايجاد هذه الجامعة ويبين
لنا اغراضه ومقاصده وما يراه خطأ وما يراه صواباً ويأتينا
بالادلة المقنعة لكي نهتدي ونتفق : الا يتنازل هؤلاء النفر من
كبار العلماء الذين تخيلوا لانفسهم ناموساً عالياً ومقاماً سامياً
لايجوز معه التواضع ولا الرضوخ لآراء الغير ولا الاندراج تحت
رايته وان كان محقاً ويتركوا تلك الكبرياء والعظمة ويسعوا في
اتحاد العلماء واتفاقهم وفي تاليف هذا المجتمع النفيس ثم لايبالون
ان يكون الحق الى جانبهم او جانب من هو اقل منهم في

نظرهم ولا ان يكونوا روءساء او مرؤسين . الا يخشى الله اولئك الذين يريدون ان ينالوا من وراء هذا الاختلاف والتفريق شهرة فائقة فلا يضحوا المصالح العامه في سبيل الخاصه ويسعوا في ايجاد جامعة للعلماء وليطلبوا الشهرة ان شاؤوا من مثل هذا المسعى الشريف . ينكر فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده على جمهور العلماء اموراً كثيرة وينكرون عليه بعض الامور فهل لهم جميعاً ان يفيئوا الى امر الله ويحكموه فيما شجر بينهم ويعقدوا مجتمعاً يتركون فيه الحدة والشدة والغلو ويتباحثون علي مقتضى قاعدة الصفاء والحريه والتواضع والانصاف . الا يتنازل فضيلة استاذنا الشيخ محمد عبده فيسعى في ايجاد جامعة للعلماء يبين لهم فيها مبادئه وامياله وآراءه مع تمام التروي والتأني والحلم والرفق واللين ومعاملة الصغير كمثيل فعسي ان يكون انكارهم عليه غير صحيح . الا يتنازل فضيلة استاذنا الشيخ احمد الرفاعي ومن معه من العلماء الذين اقاموا القيامة الصغري على ادارة الازهر في العام الماضي ويسعوا في ايجاد هذا المجتمع ليبينوا اغراضهم ومقاصدهم وما ينكرونه على الادارة وعلى فضيلة الشيخ

محمد عبده على القاعدة المتقدمة . الا يتنازل اوائك الذين يتكبرون على المستضعفين من العلماء فيآخوهم ويساووهم بهم فى الحقوق والمعاملات ويوءلفوا منهم جميعاً مجتمعاً عاماً يحترم فيه الكبير ولا تهضم حقوق الصغير

انى ارفع ندائي بطاب تحقيق الحقائق وتوحيد المباديء وعقد مجتمع علمي عام لينظر في كل ما يتعلق بالعلم والعلماء ويعود بالخير والمنفعه على العلماء والامة والدين ولا يتعدي في عمله الحد اللائق المقبول وفقنا الله الى ما فيه الخير وجمعنا على الهدى وهدانا الصراط المستقيم

خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان هذا الذي قدمته فى كتابي هو عنوان مبدأى ومذهبي ورأيي . لااقول الذي انا متصف به (حاشا فانى لم ازل من الناقصين المعذبين بألم الاحساس بالنقص) بل الذي اناغريق في بحار التفكر فيه ومحاولة الوصول اليه والحصول كتبته ليكون

سادتي واخواني على بينة مما ارى واعتقد فيرشدوني الى مواضع الخطأ فاسرع في التنازل عنها والى مواضع الصواب فازداد ثقة بها

اري على الاجمال اننا معشر العلماء في نقص كثير وتقصير كبير واهمال زائد في اداء ما توجبه علينا للامة وظيفتنا الدينية من التعليم والارشاد وغرس المبادىء الشريفة وتأسيس الملكات الكمالية والتفنن في سبيل اعلاء كلمة الدين وترقية الشعوب الاسلامية الخ الخ واننا قد بلغنا في هذا النقص والتقصير حداً لم يبق للعلما معه رفعة ولا احترام ولا للامة الاسلامية شائبة قوة ولا تقدم ولا ارتقاء في حال من الاحوال . وان من الواجب التنبه الى هذا الامر الخطير والمبادرة الى الخروج من هذا النقص والتقصير والنهوض بالامة الإسلاميه وتخليصها من هذا الخطر الذي احدق بها بالارشادات العاليه والتربيه المفيدة ارى ان الامه قد فاقت العلماء الحاصرين في كثير من مراتب الاستكمال والترقي العقلي وانه قد فقدت صفة التناسب بينهما حتي لم يعدوا موثرين عليها وكان الواجب ان يكونوا دائماً هم

الفائقين ليكون لهم سلطان على القلوب وتأثير في العقائد والاميال والاعمال · ارى وجوب البحث والتدقيق والتدبر فى معرفة ما هو كما لنا لنسارع الى التحقق به ومعرفة ما هي وظيفتنا وما هي واجباتها حتى نوصل الليل بالنهار في طريق القيام بها واتقانها · اري وجوب البحث فى معرفة ما هي الغاية التي يدعو اليها الاسلام وما هي المبادئ والاحوال التي ينبغي ان يكون عليها المسلم في العصر الحاضر لكي نرشد الناس اليها · ارى وجوب استئصال ما هو متفش بين الامة والعلماء من العقائد الفاسدة والآراء السخيفة ارى وجوب التفاني في عتق الامة من رق الاوهام وتخليصها من النقائص التي لاتكاد تتناهي · ارى ان اجزاء الكمال الاسلامى قد تمزقت وتشتتت فكان منها شيء عند الصوفية وشيء عند العلماء وشيء عند المتنورين من طبقات الامة وهكذا (كل حزب بما لديهم فرحون) وكان منها ما فر من ايدي الامم االاسلامية وحلَّ عند الامم الغربية وما لايكاد يوجد من يتصف به واري ان العالم الكامل هو من يأخذ باطراف هذا الكمال او بتعبير مشهور من يمزج الحقيقة بالشريعة ثم يمزج هذا المجموع بخلاصة

التقدم الغربي والتمدن الحديث وبجميع صفات الكمال المتفرقة في الامم والافراد

يستمد في علمه من العقل المفكر والنقل الصحيح والوجدان العالي الحاصل من التقرب الى الجناب الاقدس . لايقدس العادة ولا يثق . بفكره يبشر و ينذر و يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويتفنن في اساليب الدعوة وطرق الارشاد . يبحث عن اللب ولا يقف مع القشور . يلاحظ مقاصد الشريعة واسرار التشريع يقدم الاصول على الفروع والحاجيات على التحسينات . يقرب المعقول من المنقول . يصفح ويسامح و يصافي سائر الطوائف والفرق الاسلامية ولا يجادلهم الا بالتي هي احسن (كأهل الكتاب) ويبذل الجهد في احياء الجامعة الدينية وامانة المميزات الخلافية وترقية الامة الإسلامية ويبث في العالم مبدئاً اسلامياً عالياً هو المبدأ الذي جاء سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ليعطيه لسائر الامم . يسعي فى سبيل سعادة الدارين وعمارة النشأتين . يجتهد فى سبيل تربية ابناء المسلمين وتقويمهم وارشادهم ويسلك فى التربية والتعليم والارشاد الطرق الصحيحة والاساليب العاليه . لاتفتر له همة ولا

يتراخى له حزم فى سبيل الوصول الى تلك الغايات الساميه والمطالب العالية والدعوة الى هذه المبادئ ونشر تعاليمها بين الناس سرّا وعلانية . اكبر همه ان يعلي قدر المسلمين ويرفع من شأنهم ويرشدهم الى ضروب السعادات الدنيوية والاخروية وان يظهر في الكون مبدءا اسلامياً عالياً وامة مسلمة جديدة وطبقة اخرى كاملة تضع غاية التصوف فى فؤادها ونهاية العلوم فى رأسها وتحمل لواء الدين الاسلامي باليد اليمنى ولواء التقدم المدني باليد اليسرى وتسير بسم الله فى حرب الاهواء السخيفة والاراء الضعيفة والاخلاق الناقصة والفرق المبتدعة والمارقة من الدين مؤيدة بالنصر معززة بجنود الحق وما النصر الا من عند الله

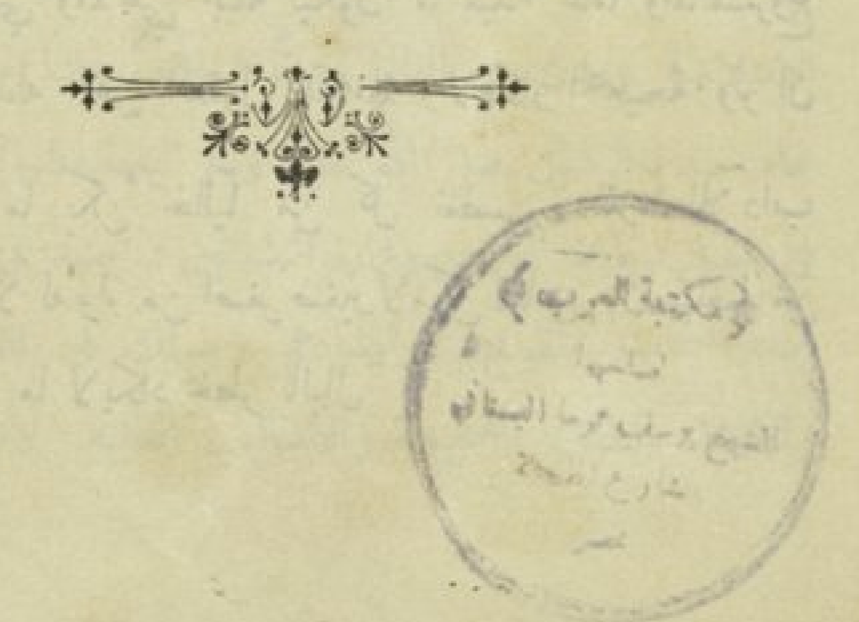
هذا رأيي ومذهبي ابنته ليكون اما مبدءا عاماً واما مشروع مبدءا عام يعدله اهل العقول الكاملة والافكار الصحيحة . ولو ان كلا يبدي ما يكنّ خالياً من كل تعصب ملتزماً للآداب طالباً للحق قابلاً له ولو من اصغر صغير لامكن للناس ان يبلغوا من غايات الكمال ما لايكاد يخطر بالبال

وفى الختام ارجو العفو عن ذلاتى وهفواتى وانادي . الخلاص الخلاص من هذا النقص الظاهر . الاتفاق الاتفاق . الهمة الهمة . العمل العمل . الكمال الكمال . وليحي الدين . ليحى العلم . ليحي العلماء . ليتقدم العلماء . ليستكمل العلماء . ليشرف العلماء .

ثم استأذن فى الانصراف على امل العودة الى الكتابة فى المواضيع النافعة الدينية تحت عنوان (التعاليم الاسلامية) واختم المقال كما بدأته بحمد الله والصلاة على رسوله والسلام عليكم

ايها المؤمنون

ورحمة الله



﴿ بيان صواب الخطأ الواقع في هذه الطبعة ﴾

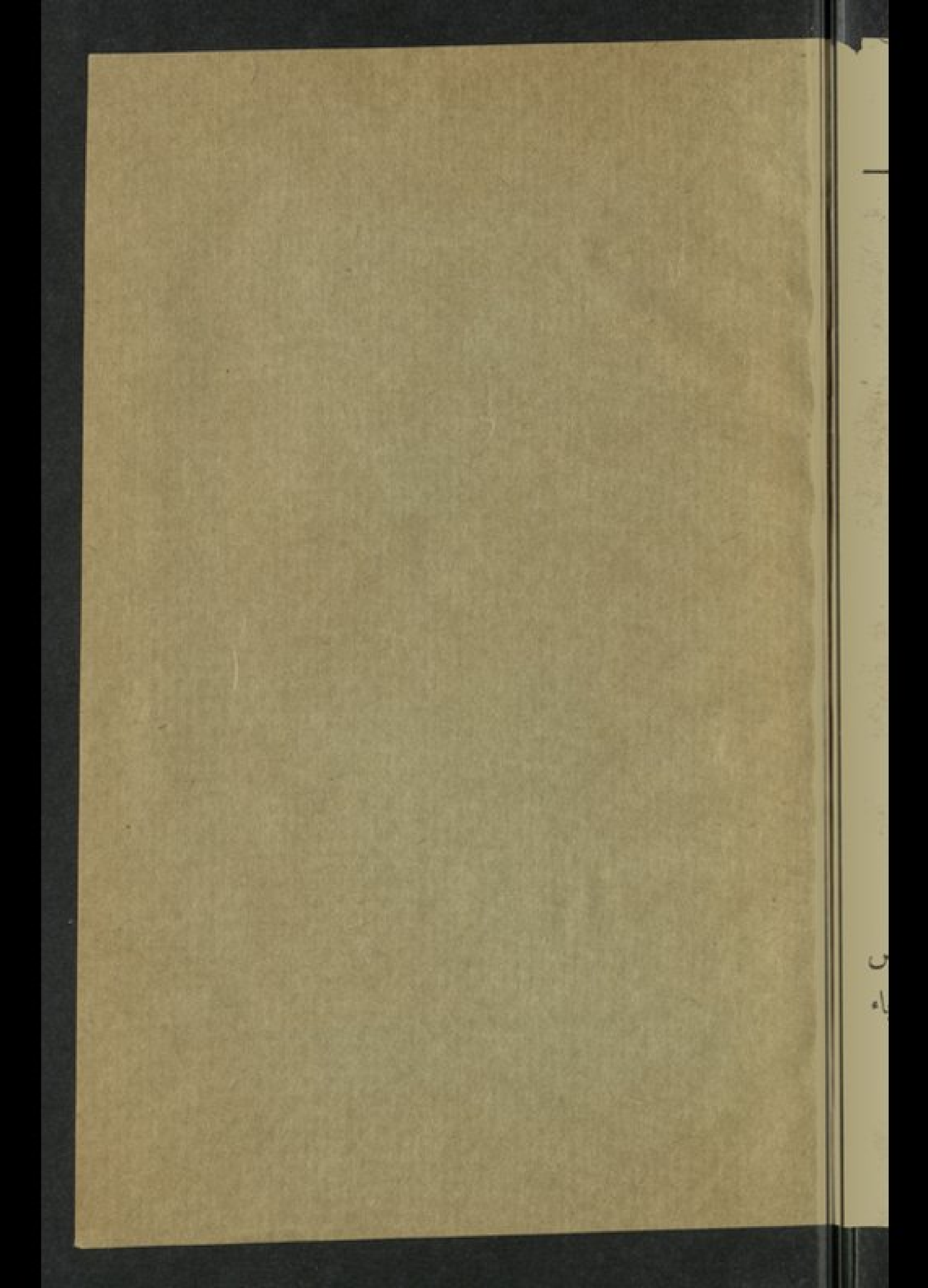
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨	١٦	الاورباويين	الاوربيين
٢٥	٥	ينافية	ينافيه
٢٦	١٠	حشوا	حشو
٢٩	٢	كالك	كالملك
٢٩	١٠	المامون	المأموم
٣٠	٧	شعو	شعور
٣٤	٤	الاولون	الاولين
٣٦	١٤	الاتصاف	والاتصاف
٣٩	١١	كنث	كنت
٤٣	٢	اذ	اذاً
٥٦	٥	العمل	بالعمل
٦٦	١٣	نوال	نيل
٧٠	١٦	مطلق المقدور	مطلق الامر . المقدور
٧١	٨	الحقيفة	الحقيقة

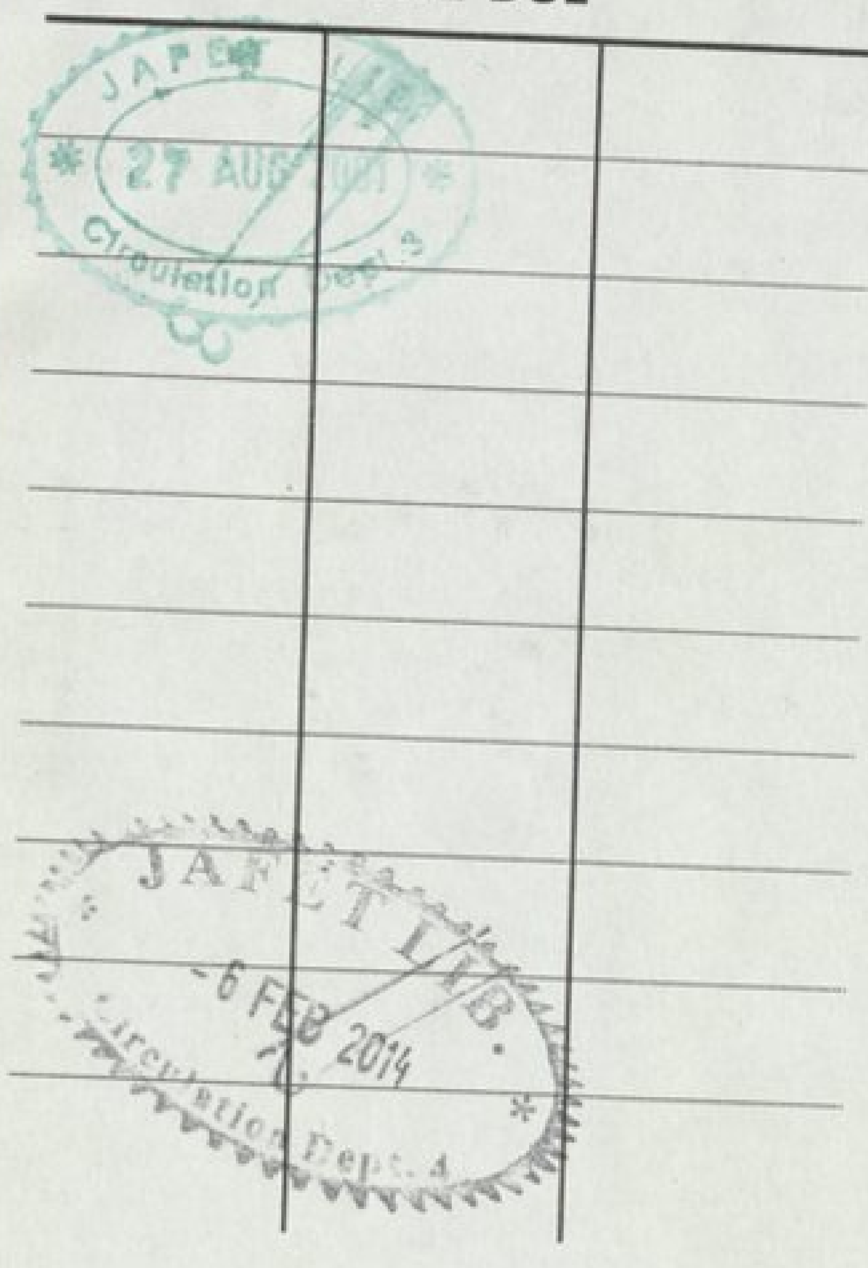
صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٨	٧	الخمسة جنيهات	خمسة جنيهات
٧٩	٦	اربع	اربعة
٨١	٣	تنكد عليه	تنكد عيشه
٨٣	١٦	الا ان	الا انه
٨٨	١٤	النوس	النفوس
٩٩	٦	المودوعة	المودعة
١١٣	١٣	وان يجمل لكل	وان يجمل الرؤساء لكل
١١٨	١٥	تعريب	تقريب
١٢٣	١٢	يتحصل	يحصل
١٢٧	١	وساعتين اخرى	وساعة اخرى
١٢٧	٦	من الفقه على	من الفقه عنده
١٣١	١٤	حظ	حظاً
١٣٢	٢	ثلاث	ثلاثاً
١٣٢	١٦	وما فرطنا	ما فرطنا
١٣٣	١	التي	الذي

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٤	٤	التي	الذي
١٣٧	٩	فان	فانه
١٤٣	٨	مقال	مقالا
١٤٥	١٠	ترمى	ترى
١٤٦	١	ان	انه
١٥٠	١	بغيره	منه غيره
١٦٩	٧	تحصل	يحصل
١٨٤	٤	ان	انه
١٨٧	١٠	لم لمن	لمن لم
١٩٦	٧	فلان	فلانا
٢٠٥	٩	كتب	كتباً
٢٠٦	١٠	هذا	هم
٢٣٠	١	منثوره	مبثوره
٢٣١	١	استبدالها بغيرها	استبدال غيرها بها
٢٣١	٢	تبدل به	يبدل منها

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٣٢	٥	فالتمسك	فالمتمسك
٢٣٨	١١	انهكته	فانهكته
٢٣٩	٦	عبث	بحث
٢٤٠	٧	قاصرًا	مقصورًا
٢٤٥	١	السنين	السنون
٢٥١	٣	شيءٌ	شيأً
٢٦٥	٦	قاصرة	مقصورة
٢٧٣	١٤	تنبة	تنبه
٢٧٩		قاصر	مقصور
٢٨٧	٦	عل	على
٣٣٠	٤	الشرف	الترف
٣٢٣	٩	به	الله

وهناك غير هذا ما يدركه القارىء اللبيب وعلى الخصوص شكل الهمزة والحرف الذي تُرسم علامتها عليه من الف او واو او ياء فلا نعوبل عليهما فى كثير من المواضع كما يظهر بادنى تأمل





DATE DUE




AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

